روايات عبير الجديدة

ايثون ويتال

بحر الشك

www.elromancia.com

مرمورية

عدد ممتاز

إيڤون ويتال

قبل سنتين، رودلف برنك، كان قد بعثر حياة جاين وكسر قلبها قبل ان يهجرها، ولنكون عادلين معه، فهو لم يكن يعرف انها كانت تحمل طفله في أحشائها.

الآن وقد عرف، أصر على ان يتزوجا، لكن بالرغم من قيامه بهذه الخطوة الكبيرة ليعيد تصليح الأمور، إلا ان زواجهما كان مجرد زواجاً صورياً.

فيما حبه القديم، سيبيل راميلنغ، ظلت جزءاً لا يتجزأ من حياته كما كان دائماً، وبالطبع بدا كأنه لا يدرك ولا يهتم بأن جاين لا تزال مغرمة به، ما هو الأمل الذي تملكه هي بإيجاد سعادة لها معه؟.

www.elromancia.com

www.elromancia.com

-١-

بدأ النهار كالعادة بالنسبة لجاين دويل، ما عدا انه كان اليوم الأول للأسبوع الأول بعد عطلة الميلاد وسيواجهها طبعاً بعض التوتر في إستقبالها للطلاب في الصف الجديد الذي ستبدأ بتعليمه، ما عدا ذلك كل شيء عادي، فقد قامت بالمراسيم اليومية في تحميم وتلبيس أبنها آندرو البالغ من العمر سنة وثلاثة أشهر ثم أطعمته طعام الفطور قبل ان تتركه بين أيدي أمها القادرة، ثم تذهب الى مدرستها.

لم تدرك تماماً في أية لحظة من النهار أحست بقلبها ينقبض وأنبأتها حاستها بأن شيئاً ما سيحدث اليوم، وحين خرج طلابها في النهاية للذهاب الى بيوتهم أدركت ان شيئاً ما لن يحدث في المدرسة وقفز عقلها الى بيت والديها وإلى أبنها آندرو فلو ان شيئاً سيئاً قد حصل لأحدهما كانا

ولا بد إتصلا بها وأعلماها.

«هل هناك أمر ما يزعجك جاين؟» سألها مدير المدرسة، حين دخلت الإدارة لتحضر بعض الأوراق خاصتها، حين لاحظ تقطيبة الإنزعاج بين عينيها الرماديتين.

تمالكت أفكارها وردت بسرعة:

«كلا، سيد ويليامز، ليس هناك أي مشكلة، لا شيء أعلم عنه».

«انت تعرفين طبعاً ان بإمكانك الإستعانة بي في أي وقت تحتاجينه جاين!».

نظرت اليه للحظة، كان فتياً قليلاً لإستلام مركز المدير، لكنه كان يعاملها بطريقة لطيفة جداً طوال السنة الماضية، وفي بعض المناسبات كانت تحس ان اهتمامه بها لم يكن فقط أمراً مهنياً صرفاً، لكنها نجحت في ان تبقي علاقتهما مجرد علاقة عمل دون ان تسبب له أي أذى أو خيبة.

«شكراً سيد ويليامز، هذا لطف كبير منك» قالت له بسرعة قبل ان تجمع أوراقها وتغادر الغرفة.

كانت تعيش بإنزعاج مستمر وعدم راحة كلية خلال السنتين السابقتين، لكنها أخذت قراراً لتناسي هذا، كان التناسي أمراً أكثر من صعب لكنها نجحت به، هم جميعاً نجحوا في تخطي الصدمة والعار، والهفوة المشينة التي أرتكبتها.

دفعت جاين بوابة بيتها وقطعت الحديقة الصغيرة الجميلة قبل ان تصل الى الباب، كل شيء كان يبدو هادئاً وعادياً كما تركته في الصباح، فكرت جاين وهي تفتح الباب لتدخل كالعادة، كان آندرو هو أول من يستقبلها فأخذ يدبدب على يديه وقدميه بأتجاهها وهي تضحك

بغبطة وإبتهاج. حملته ورفعته عالياً قبل ان تضمه اليها وهي تقول بكل حب:

«هل أشتقت الي يا حبيبي؟».

والتفت الذراعين الصغيرتين حول عنقها وأطلق صوت غرغرة محبب وأخفى وجهه في شعرها البني الكثيف، آه كم تحب هذا الطفل الرائع، بشعره الأسود الفاحم وعينيه الخضراوين، تحبه بألم يهدد بخنقها بعض الأحيان.

«جاين؟».

«نعم أمي، اني آتية» أجابت بسرعة وأتجهت وآندرو بين ذراعيها الى غرفة الجلوس حيث كانت والدتها.

لم تكن والدتها هناك وحدها، فوالدها ايضاً كان في الداخل، وهذا بدوره كان أمراً غريباً فليس من عادة والدها ان يترك عمله ويأتي في هذا الوقت الى البيت، كان يجلس على كرسيه وغليونه في فمه، وكان يقف وظهره الى النافذة رجل طويل القامة، أسود الشعر وذا عينين خضراوين لا تُنسيان أبداً.

كان كل شيء بالنسبة لجاين، كأنه حصل البارحة فقط، تخرجها من الجامعة مع صديقتها اليسون بيترز والذهاب من كان تاون الى ناتال على الساحل الجنوبي في رحلة مدفوعة المصاريف لمدة أسبوعين برفقة اليسون ووالديها.

الفندق كان على شاطىء البحر مباشرة وقضيا مساء ذلك اليوم الأول بالسباحة والتنقل بكسل على رمال الشاطىء.

«لا أصدق ان السنوات الثلاث القاسية والتي أنقضت بالدرس والجهد قد أصبحت وراءنا» تنهدت اليسون وقالت وهي تستلقي على الشاطىء وتبعد خصلة من شعرها الأشقر الطويل الى وراء كتفها.

www.elromancia.com

«وبعد حوالي الأسبوعين سيبدأ العمل القاسي الحقيقي» قالت جاين وهي تنظر بإعجاب الى رفيقتها الجميلة.

من بينهما الأثنتين، اليسون كانت هي التي تجذب نظرات الشباب دائماً بجسدها الرشيق الطويل القامة بينما هي، جاين، جاين العادية كما كانت تسمي نفسها كانت تكتفي بالبقاء في الظل وتفضل هذا بجسدها الناعم المعتدل الطول وبشعرها البني العسلي اللامع الذي ينسدل بنعومة على كتفيها، جاين لم تكن غير جذابة لكنها كانت صارمة وأقل تلاعباً من صديقتها.

«جاين، بالطريقة التي نطقت بها تجعلين أم التعليم يبدو كأنه حكماً بالأعدام» احتجت اليسون وهي تضحك وتابعت: «انت تأخذين الحياة بجدية كبيرة».

«كنت ستفعلين نفس الشيء لو ان والديك كانا يتخليان عن الكثير من الأمور ليؤمنا لك إكمال تعليمك».

هزت اليسون رأسها موافقة وقالت:

«اعتقد انك محقة، المال شيء كان دائماً عندي الكثير منه لم تكن عندي أي حاجة لأشعر بالخوف من عدم تمكني من تكميل التعليم بسببه فهو كان دائماً موجوداً... شيء كنت أعتبره عادياً... هذا مقرفاً اليس كذلك؟».

«كلا» قالت لها جاين وهي تهز رأسها «هذا أعطاك سلاماً داخلياً أحسدك أحياناً عليه، انا أدين لوالدي بالكثير وهذا ما كان يمنعني من الرسوب في أي إمتحان أقوم به ولهذا كنت أقضي معظم أوقاتي بين الكتب للدراسة بدلاً من المشاركة في المرح داخل حرم الجامعة».

هزت اليسون رأسها موافقة ونظرة إعجاب بجاين تلمع داخل عينيها، لم يأت أي شيء لجاين بسهولة، كل إنجاز

لها كان ياتي نتيجة كفاح كان يجعل طعم النصر ألذ وأجمل.

بعد العشاء في تلك الليلة فضّلا والدا اليسون النوم ولم يشاركا في الحفلة الراقصة التي كانت تقام في إحدى صالات الفندق.

«لكن لا تدعانا نحرمكما من الإستمتاع بوقتكما» قال السيد بيترز وهو يدفع اليسون وجاين بنعومة نحو صالة الحفلة.

«لا تتأخرا كثيراً بالسهرة» نبهتهما السيدة بيترز وتابعت: «فقد كان اليوم شاقاً وأنتما ايتها الفتاتين يجب ان تنالا قسطكما من الراحة ايضاً».

«توقفي ان إثارة الإزعاج ايتها الأم» قال السيد بيترز بإبتسام وهو يقول هذا لزوجته ويذهب هو وإياها الى غرفتهما.

ودخلا اليسون وجاين الى صالة الحفلة.

لم تعرف اليسون في أية لحظة بالضبط انتبهت الى الرجل الذي كان يجلس في الزاوية الأخرى للغرفة، كان يتكيء على البار وبيده كأس الشراب الذي يبدو كأنه قد نسيه. شعره كان أسوداً فاحماً وحتى رغم المسافة البعيدة كانت عيناه تلمعان بطريقة غريبة، كان يبدو مستمتعاً بعدم إكتراث وبملل بما حوله من راقصين يتمايلون على صوت الموسيقى.

اليسون وجدت شريكاً لها بسرعة بينما فضلت جاين ان تبقى نصف مختبئة في مكانها قرب نبتة مطاط كبيرة، لبعض الوقت جلست هناك وهي تشعر بالأسترخاء والراحة حتى شعرت بقوة ما أقوى من نفسها تدفعها لتستدير

www.elromancia.com

برأسها، نظرتها تشابكت فوراً مع نظرة الرجل الجالس على البار، وشعرت كأن تياراً كهربائياً مسَّ جسدها، توقفت عن التنفس للحظة، ونبضها ينتفض بشدة داخل شرايينها.

وتدبرت أخيراً ان تبعد عينيها عن عينيه، ولكن بالرغم من هذا كانت لا ترى وتشعر بشيء سوى بتلك القوة المغناطيسية الهائلة لتلك العينين التي لم تنفكا عن التحديق بها ولو للحظة.

نظرتها تلتقي مراراً بنظرته كلما أدارت رأسها لتنظر خلفها، وكانت عيناها تلمعان فوراً لسبب لم تستطع إدراكه مع ان قلبها كان يقفز من ضلوعها كلما التقت نظراتهما.

«لقد أكتفيت من الرقص، هذه الحرارة تكاد تقتلني» قالت اليسون وهي تتهالك على المقعد قرب جاين.

«لا تنظري الآن» قالت جاين بنعومة وتابعت: «هذا الرجل الذي يجلس على البار في زاوية الغرفة المقابلة، من هو؟».

«لا حاجة بي لأنظر» قالت اليسون وهي تخفض صوتها «إسمه هو رودلف برنك، هو يأتي الى هذا الفندق دائماً ومنذ ثلاث سنوات في عطلة الميلاد، كما نفعل نحن، ودائماً يبقى حوالي الأسبوعين، كل إمرأة غير متزوجة وكل فتاة شابة حاولت ان تفوز بإنتباهه لكنه دائماً يبقى غير متأثراً أو مهتماً، وأنا حاولت حظي معه مرَّة ايضاً لكنه كان مؤدباً جداً معي، ووصلتني الرسالة بكل وضوح وصراحة».

إلتقت جاين مجدداً بنظرته التي تثير إضطرابها وأبتعدت بعينيها سريعاً وقالت: «هناك شيء ما مميز به، شيء لا يفسَّر؟».

«نعم، اعلم هذا، أظن ان عدم إختلاطه بالآخرين هو

ما يعطيه هذا التمييز عن الآخرين، ولربما لما اعتقدته النساء مثيراً هكذا لو انه كان يختلط أكثر مع الباقين».

إزدادت حدة الموسيقى وأصبح الرقص حيوياً أكثر بينما كانت الحرارة ترتفع بطريقة غير محتملة داخل الغرفة المكتظة، وجدت جاين الحر خانقاً وهي تنحني الى الأمام في كرسيها ويدها ترفع خصلات الشعر عن عنقها، عليها الرحيل طالما بإمكانها الوقوف الهروب من جاذبية وقوة نظرة الرجل الذي دعته اليسون رودلد برنك.

«اليسون، إذا لم يكن عندك مانعاً، اريد ان أصعد للنوم».

«لكنها الساعة العاشرة والنصف فقط».

«أعلم هذا، أشعر بالتعب» قالت جاين هذا ونهضت عن الكرسي وهي تشعر بالإرتباك لمعرفتها انه كان يراقبها من مكانه البعيد.

«أعتقد انه حان الوقت لأذهب انا ايضاً الى النوم» أعلنت اليسون بدهشة وهي تتبع جاين وتغادر الصالة.

شعرت جاين بتلك العينين مدفونتين فى ظهرهما وهما تغادرا ولم تجرؤ على النظر وراءها لترى اليسون، كانت هذه تجربة غريبة وجديدة عليها، فهي لم تشعر هكذا، لم تتأثر لهذه الدرجة من نظرة أحد الرجال اليها سابقاً، لم يحدق بها أي شخص بجرأة كبيرة هكذا، لم يحرك بها هذه المشاعر القوية، كان شيئاً غير أرضي.

«جاين، لا تخسري قلبك لرودلف برنك» حذرتها اليسون فجأة حين وصلتا الى غرفتهما وتابعت: «لقد أخبرتك سابقاً، لا يوجد أي إمرأة في هذا الفندق لم تقع في حبه لبعض الوقت ولم تشعر بلسعة رفضه لها».

www.elromancia.com

قطبت جاين حاجبيها بقوة وهي تجلس على سريرها وتنظر الى اليسون وقالت: «انه وسيم جداً ولم أستطع عدم التحديق به... لكنه حدَّق بي هو ايضاً، بجرأة كبيرة على ما اعتقد، كان وكأنه يطلب مني ان أغادر مكاني وأن أقترب من مكانه» هزت رأسها وتابعت: «انه أمر غريب، شيء لا أتمكن من شرحه ولكن إذا كان هذا تأثيره على كل إمرأة فأنا أفهم سبب وقوعهم في حبه».

«لا أستطيع القول انه حدَّق بي ولو لمرة بالطريقة التي تصفين، لكن... انه الشخص الأكثر جاذبية الذي قابلته في حياتي».

كان هناك نظرة بعيدة على وجهها حين تركتها جاين ودخلت الى الحمام، الإرهاق قد يهيء أشياء خادعة وخيالية للإنسان، وهذا ما يحدث لها بالضبط قررت جاين وضحكت من نفسها حين خلعت ملابسها وأخذت تغتسل وتدع المياه الباردة تبرد أعصابها.

بعد فطور صباح اليوم التالي إرتدت الفتاتان رداء البحر وحملتا المنشفة والكثير من كريم الشمس ونزلتا الى الشاطىء، حتى في تلك الساعة الباكرة كانت أشعة الشمس حارقة والرمال الذهبية كانت تلسع أقدامهما حين كانا يرميان بالمناشف على الرمال ويسرعان الى المياه.

«هذا رائع» صرخت جاين بعد ان قفزت في الماء: «المياه في الكاب دائماً باردة، ولكن عندها لن نرتعب من وصول أسماك القرش الينا».

«هناك شباك لإصطياد أسماك القرش منصوبة قريباً من هنا» قالت لها اليسون وهي ترشها بالمياه بمرح وتابعت: «القرش الوحيد الذي ستجدينه هنا هو النوع الذي يمشي

على قدمين».

«اظن انني أستطيع تدبر أمري مع هذا النوع من أسماك القرش» قالت جاين ضاحكة وأخذتا تلعبان وترشان بعضهما بالمياه.

«هل تظني انك ستكونين قادرة على تدبر أمر رودلف برنك» سألت اليسون.

ماتت الضحكة على فم جاين وقالت: «هذا يعتمد على كونه سمكة قرش أم لا».

«لا اظن ان السيد برنك الغير مكترث يمكن ان يسمى قرشاً، ولكنه قد يكون واحداً متنكراً، وهذا النوع هو بالطبع أشد خطراً من القرش الظاهر».

كانت هذه فكرة مزعجة، فكرة تفضل جاين عدم التفكير بها، فخبرتها مع الرجال كانت محدودة جداً، لم يكن عندها وقت لأي شيء أكثر من زمالة عادية وصداقة، بينما اليسون كانت قد وقعت بالحب وتعافت منه لعدة مرات أثناء السنوات الثلاثة التي قضياها في الجامعة.

اليسون ستعرف كيف تتصرف حين تواجهها أزمة حقيقية، ولكن هل تستطيع هي ان تفعل هذا؟ كانتا تقومان بحمام شمسي حين نادى السيد بيترز اليسون فذهبت اليسون اليه لترى ماذا يريد منها.

استلقت جاين على ظهرها وأغمضت عينيها من أشعة الشمس، كان من الرائع مجرد الإستلقاء هكذا وعدم القيام بأي عمل، وكان لطفاً كبيراً من آل بيترز ان يدعونها لقضاء هذه العطلة معهم، كان الأمر رائعاً تعيش بهذا الكسل اللذيذ وهذا الأسترخاء بعد سنوات الدراسة الشاقة والوظائف المتعبة التي كانت تقوم بها بين الحين والآخر

www.elromancia.com

لتأمين مصروف تعليمها.

فتحت عينيها فجأة حين غطى أشعة الشمس خيال ما أمامها ونظرتها المندهشة التقت بعينين خضراوين كانتا تبدوان مستمتعتين، شعره الفاحم كان يلمع أكثر تحت أشعة الشمس وأسنانه البيضاء تلمع في وجهه البرونزي وهو يبتسم.

«مرحباً» قال قاطعاً الصمت بصوت عميق، واثق ولدرجة ما مهتم.

«مرحباً» قالت وهي تجلس وتشعر بنفسها يختنق بسبب شعور لا تستطيع فهمه، مغناطيس عينيه كان تماماً كالليلة السابقة لكن شعورها بقربه منه كان يضيف شيئاً آخر الى إضطرابها ويزيده.

«لقد هربت مني ليلة البارحة» اتهمها.

«انا... لم أعرف انني كنت... أهرب من أي شيء؟» قالت بتلعثم.

«بدوت خائفة!».

«خائفة؟».

«نعم» قال وهو يحدق بها: «وأنت خائفة الآن، أستطيع ان أؤكد هذا من شريان عنقك الذي ينبض بقوة وجنون».

امتدت يدها بسرعة الى عنقها وقالت: «هذا سخيف».

«أوافقك الرأي» وتحركت الكتفين الصلبتين قليلاً وتابع: «لا داعي لك لتخافي مني!».

وغمرتها نظرته الفاحصة وأمتدت الى كل جسدها فأحست كأنه يلامسها. فتصلبت عضلاتها وقلبها يدرك بقوة مدى خطورة تأثير هذا الرجل عليها.

«جاين» نادتها اليسون كاسرة السحر الغامض الذي كان

يرميه هذا الرجل عليها وتابعت: «أحضري لي منشفتي معك من فضلك، لقد أستأجر والدي سيارة لنذهب جميعاً في جولة على الساحل».

«أعذرني» قالت جاين بنعومة وهي تكاد تفقد الوعي بسبب فرحتها بالهروب منه، وجمعت المناشف ونهض رودلف برنك على قدميه ايضاً بجسده الرائع وقامته الطويلة.

«لن تتمكني دائماً من الهروب مني، جاين» حذرها بمسحة من التهكم وهو يلفظ إسمها وكأن له الحق في ذلك، لكن جاين لم تجبه بل أسرعت بالإبتعاد عنه والتوجه الى حيث كانت اليسون ووالدها ينتظرانها دون ان تخاطر بالنظر وراءها ولو لمرّة.

عينا اليسون كانت متساءلة وكان من الواضح انها تحترق شوقاً لتعرف ما كان يدور بينها وبين رودلف لكن جاين هزت رأسها وبقيت صامتة.

ذهبا في جولتهما وأستمتع الجميع بالجمال والروائع الطبيعية التي رأوها، كان كل شيء ساحراً ورائعاً، كان كالجنة الملوّنة داخل جنوبي أفريقيا.

كان الوقت يمر بسرعة وإستمتاع لكن جاين لم تستطع ان تنسى لقاءها الغير متوقع ومحادثتها مع رودلف برنك، لماذا هي جذبت انتباهه وأهتمامه حين كان من عادته ان يبقى بعيداً ولا يتكلم مع أحد؟.

انتفض قلبها حين لمحته أثناء تناولهم العشاء في المطعم وكانت مترددة في مرافقة اليسون الى قاعة الرقص حين كانت الفرقة الموسيقية قد بدأت بالعزف داعية الجميع للبدء بالرقص.

www.elromancia.com

ومرة ثانية أختارت جاين المقعد المخفي قرب نبتة المطاط ولفترة، جلست وأخذت تراقب الراقصين المتمايلين على ألحان الموسيقى، نبضها أخذ يتسارع وطغى صوت ضربات قلبها على ضربات الطبل حين رأت رودلف برنك متكئاً بجلسته على البار في زاوية الغرفة.

كان ينظر مباشرة اليها ومرة أخرى شعرت بقوة نظرته وبخفقات قلبها الجنوني، هذا التأثير الغريب والإضطراب الذي كانت تشعر به بسبب شخص غريب كان شيئاً غير معقولاً ومخيفاً، ولكن لدرجة ما مألوفة، واندهشت لإدراكها ان صورته قد أنطبعت بقوة داخل عقلها منذ اللحظة الأولى التي رأته بها، بشعره الفاحم المصفف جيداً الى الوراء، بعينيه ورموشهما الكثيفة التي تتحرك بتكاسل وتخفي الطاقة الهائلة المخبأة داخل العينين، أنفه الدقيق الشامخ، ذقنه القوية والغمزة المحفورة بها، وفمه الصلب والرقيق بنفس الوقت.

كيف عرفت كل هذا؟ كيف بإمكانها ان تكون واثقة؟ إرتجفت وتمسكت بالكرسي الخشبي غير قادرة على الإبتعاد بنظرها عن مكان تواجده.

«ما بك جاين؟» سألتها اليسون بقلق «لقد شحب وجهك بقوة فجأة!».

«انه هنا من جديد» همست جاين ونبرتها ترتجف من العاطفة.

«من؟» سألتها اليسون وهي تقترب منها.

«هذا الرجل برنك!».

«جاين، هو يأتي الى هنا كل مساء ويجلس على البار يحتسي كأسه ويراقب ما حوله ثم يترك المكان ويذهب».

لكن من الواضح انه لم يكن ينوي ان يذهب كما فكرت جاين فهو ظل يحتسي كأسه ببطء وإستمتاع ويبتسم لها، إبتسامة جعلتها ترتجف، كانت تشعر بالقلق الشديد من جراء سيطرته على ردات فعلها هكذا.

بدأت الفرقة تعزف لحناً هادئاً ولرعبها الشديد وجدته يضع كأسه الفارغ ويقترب منها.

«اليسون انه... انه آت بهذا الأتجاه!».

«لا ترتعبي من المؤكد انه يريد الذهاب الى الشرفة» طمئنتها اليسون «تظاهري بأنك لا ترينه الآن...».

ابتلعت كلماتها وأخذت تحدق به بذهول حين وقف أمام جاين.

«مساء الخير جاين» تمتم وهو ينحني قليلاً «لم أقدم لك نفسي بعد، إسمي هو رودلف برنك، لقد راقبتك مساء البارحة، وراقبتك هذا المساء، يبدو بأنك لا ترقصين كثيراً».

«كلا، انا... انا لست بارعة في الرقص».

«هل ترقصين هذه الرقصة معي؟».

«حسناً» وأبتلعت ريقها بصعوبة «شكراً لك، أحب ان أفعل».

إلتقطت نظرة اليسون وعينيها الجاحظتين فحاولت الإبتسام لها لتطمئنها بينما كان رودلف يرافقها الى ساحة الرقص وهو يمسك خصرها، كانت هذه هي المرة الأولى التي يلمسها بها لكنها أحست كأنه قدفعل هذا سابقاً، في حياة أخرى ربما؟ وأرتعشت داخلياً حين فكرت بهذا.

«لقد اعتقدت للحظة انك سترفضين وتسرعين بالهرب ثانية كما فعلت هذا الصباح».

www.elromancia.com

كان هناك مسحة من التهكم في صوته الحريري فوق أذنها.

«لم اكن اهرب!» احتجت دون ان تجرؤ على رفع نظرها اليه.

«لن اتجادل معك» قال بإختصار «لقد سمعت صديقتك تناديك جاين، جاين ماذا؟».

«جاين دويل».

«تشرفنا» قال وتابع تحريكه لها على إيقاع الموسيقى بحركات بسيطة وجدت سهولة في تقليدها.

«هل سبق لك وأتيت الى هنا جاين؟».

«كلا، هذه هي المرة الأولى» وارتجفت يديها على قماش جاكتته السوداء، ورفعت نظرها الى عينيه ووجدت نفسها تحدثه أكثر عن نفسها.

«صديقتي اليسون ووالديها يأتيان الى هنا دائماً، وهذه السنة دعتني اليسون لمرافقتها، سنبدأ بالتعليم فور عودتنا وهذه العطلة هي نوع من المكافأة بعد انتهاءنا من الجامعة وتخرجنا هذا العام».

«آه، إذن انت متخرجة جديدة من الجامعة» وإبتسم «هل ستعلمين صفوف إبتدائية أم تكميلية؟».

«إبتدائية».

انتهت الموسيقى ووجدت جاين نفسها تقف معه وذراعه لا تزال على خصرها وحاولت التحرك للعودة الى مكانها إلا انه ضغط على خصرها وقال:

«لا تذهبي الآن، ستبدأ الفرقة بالعزف ثانية» هامساً وهو يقربها منه.

الرقص مع رودلف برنك كان كالتمايل على غيمة

الغبطة، لم تعرف كم من الوقت استغرقت الرقصة حين خفت الأصواء أخيراً، ذقنه كانت على كتفها وتنفسه يداعب شعرها وقربه منها يحرك كل حواسها.

«الطقس حار جداً هنا!» قال أخيراً «هل نذهب للتنزه على شاطىء البحر قليلاً».

«انا... لا أعتقد...».

«خائفة؟» تحداها بتهكم.

«بالطبع لا» قالت بقوة.

تعمقت إبتسامته وكأنه كان يسمع صوت قلبها المرتعب وقال:

«هل يريحك اكثر ان اطلب الأذن الرسمي من السيد والسيدة بيترز؟».

«كلا، هذا غير ضروري».

«هل نذهب إذن؟».

الهواء كان ناعماً ودافئاً وهما يتجهان الى الشاطىء ويده تحيط بكتفها وترسل شرارات كهربائية في كل كيانها، قادها الى مكان رملي فأخذا يمشيان دون ان يتفوها بأي كلمة.

«هل سبق لك وتنزهت على رمال الشاطىء تحت ضوء القمر؟» سألها بعد قليل.

«كلا».

«انها تجربة رائعة» قال وأمسك بكتفيها وأدارها لتنظر الى البحر وتابع: «القمر يعكس أشعته الفضية على سطح المياه، محولاً البحر الى مخلوق هائل غريب يستلقي هناك ويتنفس... ويتنظر».

«هل تحاول إخافتي؟» سألت وهي تضحك بإهتزاز، وتدرك شعورها بيديه الممسكتان بكتفيها وبصدره الصلب

www.elromancia.com

وراء ظهرها.

«كلا، جاين انا فقط أشير ان البحر قد يكون مخادعاً في الليل كما هو جميلاً».

وقلبي ايضاً قد يكون مخادعاً قالت في نفسها بينما كانتا يديه تلامسان كتفيها بنعومة. وتنفسه كان دافئاً على خديها وغضت بصرها لتغمض عينيها على النجوم التي أخذت تلمع في السماء وتنعكس على سطح البحر اللامع.

«لقد عشت كل حياتي في كاب تاون إلا خلال سنوات دراستي الجامعية وأنا احب مشاهدة البحر في أي وقت... انا أشعر بالخوف منه لكني احترم غموضه».

«جاين، حدثيني عن نفسك» أمرها وهو يفلت كتفيها ويتابعان نزهتهما.

«ليس هناك الكثير لأقوله سوى انني أعيش مع والدي في كاب تاون وقد كنت محظوظة في ان أجد وظيفة تعليم شاغرة في مدرسة قريبة من البيت وهكذا سأبقى معهم» صمتت قليلاً ثم تابعت «سيد برنك...».

«نادني رودلف».

«حسناً، رودلف لقد أخبرتني صديقتي انك نادراً ما تختلط مع الآخرين، وإذا كانت مراقبتك لي ومعرفتك انني لم أشارك بالرقص جعلك تشعر بالأسف نحوي، فلا تفعل فأنا فعلاً أشعر بالسعادة حين أجلس وأراقب الراقصين».

التفت اليها وأدارها نحوه بقسوة قليلاً وقال: «جاين، انا لا أشعر بالأسف نحوك».

«ربما هذا صحيح» قالت وهي تحدق بأزرار قميصه الفضية وأكملت «لكنك ولسبب ما ترغب بالترفيه عني».

«لم ابدى انا بعد بمحاولاتي للترفيه عنك» قال ببعض

عدم الصبر وبقسوة في صوته دفعت بالدموع الى عينيها وتابع: «جاين، دعينا نوضح شيئاً الآن، انا لا أقوم ابداً بعمل لا أرغب بالقيام به فعلاً، وأنا لا أقوم بأي عمل يكون دافعه الشفقة، لا تمنحيني إمتيازاً برقة وطيبة القلب انا لا أملكه حقاً!».

تحركت جاين بعصبية وقالت: «انا آسفة، لكن يجب عليّ التأكد».

«انظري اليّ» قال ورفع ذقنها ليواجه عينيها وليحدق عميقاً في عينيها ليجد جواب استفساراتها، كانت هذه تجربة غريبة عليها جعلتها ترتجف كالطير الصغير الواقع بين براثن الصقر وتحت رحمته.

«شيء ما حصل بيننا في الليلة الماضية، في هذا الصباح على الشاطىء، وأيضاً في هذه الليلة، انا لا استطيع تفسيره لكني أعرف انك شعرت بنفس هذا شيء بدورك».

«رودلف، انا...».

«لا تنكريه جاين» قاطعها وصوته يغمرها بنعومة «منذ اللحظة التي التقت بها عينانا البارحة تكوّن رابط ما بيننا انت تعلمين ان هذا صحيحاً، إذن فدعينا نعطي أنفسنا بعض الوقت لنكتشف ما هي حقيقته هذا الشيء».

«انا اعرف ان ما تقوله صحيحاً، لكني خائفة» إعترفت بصوت هامس بعد فترة من الصمت أمتدت بينهما.

«هل انا من يخيفك؟».

«كلا، ليس تماماً، لكني لم أمر بشيء مثل هذا من قبل، انا مجرد فتاة عادية، ولست شديدة الجاذبية ايضاً، أشياء مثل هذه لا تحدث مع أشخاص مثلي».

www.elromancia.com

«لا تقللي من جمالك وجاذبيتك بهذه الطريقة» تمتم بنعومة وهو يمسح يده على شعرها لم يكن هناك مفر من قوته التي كانت تسلبها كل عقل وتركيز وتتحكم بكل نفس تتنفس به.

«جاين، سوف أقبلك».

«ظلت واقفة بثبات حين إقترب بشفتيه من فمها وقبلها وقلبها يرسل ضربات متناغمة وقوية جعلت الدم يسرع داخل شرايينها، كانت تجربة أكثر من رائعة لها لتكتشف مشاعراً وعواطف لم تشعر بها من قبل أبداً، كان غريباً لكن قبلته الدافئة المثيرة كانت مألوفة وكأنها كانت تنتظر كل حياتها اللحظة التي يقبلها بها.

«كنت أعلم انها ستكون هكذا» قال مردداً أفكارها فيما كان يرفع رأسه «هناك شيء بيننا جاين، دعينا نعامله بلطف».

- ٢ -

لم تستطع ان تتذكر كيف عادا بطريقهما الى الفندق ولكن حين وصلا الى الدرج المؤدي الى البهو، شدها نحو ظلال أشجار النخيل.

«قبل ان نفترق اريد ان أطلب منك ألا ترتعبي وتختفي من حياتي جاين» قال وهو يمسك بيديها بقوة ملأت نبضاتها بالحرارة وبالرغبة ان ترتمي بين أحضانه.

«سأكون هنا غداً، وللأسبوعين المقبلين» أكدت له وهي تشعر بالدهشة لنبرة صوتها الهادئة.

رفع رودلف يديها وطبع قبلة طويلة داخل راحتيها، لمسته كانت كالنار التي تنتشر في أعصابها وسحبت نفساً بصعوبة.

«تصبحين على خير جاين».

www.elromancia.com

وترك يدها ودون أي كلمة استدارت واتجهت الى غرفتها، بعيداً عن وجوده قربها وتأثير هذا عليها، إستعادت السيطرة على أفكارها وقالت ان تجربتها هذه كانت ولا شك مجرد حلم، مجرد خيال ولكنها لا تزال تشعر بضغط شفتيه على فمها، بحرارة قبلته على راحة يدها، ما حصل كان حقيقة، لكن الرسالة التي كان يرسلها قلبها كانت مستحيلة الإستقبال.

«أهلاً، كنت قد بدأت اتساءل إذا كنت قد ضعت وتهت، انها الحادية عشر والنصف» قالت اليسون وهي تتمطى على سريرها.

«كنت مع رودلف».

«أوه، انه رودلف إذن اليس كذلك؟» لهجتها كانت مرحة وإستفزازية.

«اليسون لا تفعلي» توسلت جاين وهي تجلس على السرير وتدفع بيدها داخل شعرها وتابعت «انا مرتبكة قليلاً وأشعر بالإضطراب».

أستوت اليسون فوراً على سريرها وأهتمامها بصديقتها قد دفع كل النعاس عنها.

«كوني منتبهة جاين» حذرتها بلطف «كوني متأكدة وواثقة جداً من قبل ان تقومي بأي عمل متهور يعرض حياتك كلها للخطر، انا أعرف انك عادة من النوع الواعي، لكن من الواضح ان رودلف برنك قد سحب السجادة من تحت قدميك، وعندما يحصل هذا للفتاة، العقل والتفكير يصبحان مركونين في الزاوية».

إهتمام وقلق اليسون لم يكونا شيئاً غير عادياً، فمع الوقت أصبحت مدركة ان صديقتها تشعر بأنها مسؤولة عن

حمايتها، في حين ان اليسون كانت غير مهتمة كثيراً بشأنها الخاص.

«لا تقلقي دون أي داعي عليّ» طمأنتها جاين بحب «انا لا أنوي ان أندفع دون هدى في أي أمر سيحصل معي، ولن يفعل هو هذا ايضاً».

اليسون كانت مهذبة كفاية، لكن جاين كانت عالمة بالأسئلة المتماوجة داخل عقل اليسون، أسئلة قد تجد جاين لها أي أجوبة. هل كان الأمر مجرد إنجذاب جسدي؟ أم ان هناك أكثر من هذا في الإيقاظ الغريب لروحها؟ هل كان رودلف برنك يشعر بالإرتباك الآن كما تشعر هي، أم هل انه يعرف سبب هذا الإدراك والشعور المتنامي بينهما؟.

صباح اليوم الثاني وعلى الفطور، عبر رودلف الى طاولتهم ليشاركهم بشرب القهوة. كانت أعين العديد من النساء تركزت على ذلك الجسد القوي الصلب وعلى المكان الذي جلس فيه، لاحظت جاين هذا وقفز قلبها بقوة حين سحب رودلف الكرسي المجاور لها وجلس عليه.

«هل تسمحان لي بإصطحاب جاين لمشاهدة دوربان اليوم؟» سأل والدي اليسون.

«لا مانع عندنا إذا ارادت جاين مرافقتك» أجابه السيد بيترز وهو يرمق جاين مستفسراً عن جوابها وكانت وجنتا جاين قد أحمرتا خجلاً من الإرتباك.

«هل تأتين معي جاين؟» سألها رودلف وحين رفعت عينيها اليه شعرت كأنهما برقاً يسطع داخل قلبها.

«إذا اردت حقاً أصطحابي، إذن فأنا موافقة، شكراً».

«لقد أخبرتك البارحة انني لا أقوم بأي عمل لا أرغب

www.elromancia.com

القيام به، سأنتظرك في البهو أنزلي حالما تنتهين».

خلال هذه المحادثة القصيرة كانت جاين مدركة للنظرة القلقة التي كانت على وجه اليسون بينما كانا والديها مأخوذين تماماً بطلب رودلف برنك وبقراره أخيراً بمشاركة أحدهم بالخروج.

«هل تظني انه من الحكمة ان تقبلي طلبه؟» سألت اليسون جاين بعد ان غادر رودلف.

«اليسون حبيبتي» قالت السيدة بيترز مقاطعة «ما الخطأ في ان تقضي جاين النهار مع السيد برنك؟ انه أحد اكثر الرجال المحترمين في هذا الفندق، وأنا متأكدة ان جاين ستكون بأمان معه».

«نعم، لكن...».

«توقفي عن القلق اليسون» قاطعت جاين هذه المرة وأكملت «أستطيع الأهتمام بنفسي».

حدقت اليسون بقوة بها للحظة قبل ان تقول: «ان لك من العمر واحد وعشرون سنة، نعم، لكنك بريئة وبسيطة جداً فيما يتعلق بالرجال وهذا ما يثير قلقي كثيراً، فأنا لا أريدك ان تصابي بأي أذى».

قدَّرت جاين قلق اليسون عليها وأعترفت لنفسها ان ما تقوله اليسون حقيقي، فتجربتها مع الرجال كانت محدودة فقط بعلاقات الصداقة السطحية التي لم تكن تعني أي شيء لها.

هل كانت حقاً ساذجة جداً بما يتعلق بأمور الرجال؟ تساءلت جاين وهي تجلس بجانب رودلف في سيارة الكاديلاك التي أستأجرها ليذهبا بها الى دوربان، هل كانت هي بسبب قلة تجاربها تتخيل هذا الإنجذاب منه نحوها

وبالتالي تسمح له بسحب السجادة من تحت قدميها؟ هل كان جاداً، أم انه كان يورط نفسه بمغامرة بريئة وعادية معها؟.

«انت هادئة جداً» علَّق فجأة «هل لديك أية شكوك حول قضائك لليوم معي؟».

كان قريباً جداً من الحقيقة وأشتعلت خداها وأجابت «انا لا افهم شيئاً فيما يتعلق بالرجال».

«أجد من الصعب التصديق انه لم يكن هناك أي رجل في حياتك».

«هذه هي الحقيقة» اعترفت جاين بإصرار وأداوت وجهها عنه وتابعت: «لم يكن عندي أي وقت لأقوم بمغامرات عاطفية، فدروسي كانت دائماً تأتي في البداية».

نظر رودلف اليها وقال بنعومة: «هل ستشعرين بالراحة إذا أقسمت لك انني لا أضمر أي نوايا سيئة نحوك وأن نيتي شريفة جداً معك».

تعمق اللون الأحمر على خديها وقالت: «لم أفكر ولو للحظة واحدة ان نواياك غير شريفة، لكن عندما يهتمون أصدقائك ويقلقون على أمورك الشخصية فسيمتلىء فكرك بالشكوك».

«ثقي بي جاين» قال ببساطة وهو يرمقها بإختصار ولسبب لم تعرفه شعرت انها فعلاً تثق به.

أسعد لحظة في رحلتهم كانت حين زارا السوق الهندي، كانا كأنهما قد دخلا الى عالم مختلف، حيث رائحة البهارات المختلفة تعبق بالهواء والأشياء المختلفة الملونة معروضة هنا وهناك بطريقة جذابة ساحرة وجميلة بألوانها الفاقعة وأشكالها المتنوعة، أعجبت جاين بعقد من

www.elromancia.com

الفضة المخرَّمة وفي وسطه حجر كبير من الفيروز الأزرق الذي لمسته بأصابعها بنعومة وإعجاب.

«هل يعجبك؟» سألها رودلف وهو يتكىء على الواجهة الخشبية واضعاً يديه في جيبي بنطاله وعلى وجهه نظرة إستمتاع.

«اعتقد انه جميل» قالت جاين، لتجده فوراً يضع العقد حول عنقها ويدفع مبلغاً محترماً من المال للبائع.

«انه لك» قال رودلف بإبتسام.

«لا استطيع تقبل شيئاً ثميناً هكذا منك رودلف!» قالت جاين.

ارتفعت عيونه ونظر الى إضطرابها وقال: «لا يوجد أي مقابل في نفسي لإهدائك هذا العقد جاين، اعتبرينه ذكرى عن زيارتك لناتال».

كان هناك تعنيفاً خفيفاً داخل عينيه وفي نبرة صوته جعلتها تخفض رأسها من الخجل، وقالت:

«سامحني لأنني لم أكن ممتنة، وشكراً لك لإهدائي مثل هذا العقد الرائع».

ولمست الحجر الفيروزي بأصابع محبة وأمسك رودلف بذقنها ورفع وجهها اليه.

«إذا إستمريت بإظهاء الحزن بسبب هديتي فسأقبلك الآن وهنا أمام الجميع» قال لها مهدداً ومن نظرة الإصرار في عينيه أدركت انه يعني ما يقول وأنه سيفعل ما قاله دون ان يهتم للعديد من السواح الذين كانوا يرمقونهما بعيون فضولية إضافة للبائعات الهنديات اللواتي كن ينظرن اليهما ايضاً، فضحكت جاين حين تخيلت ماذا ستكون ردة فعلهن إذا قبلها رودلف هنا والآن.

«هكذا أحسن» قال رودلف بإبتسام وأمسك بذراعها وهما يعودان الى مكان السيارة.

«الى اين ستأخذني الآن؟» سألته بفضول.

«الى مكان هادىء حيث يمكننا التكلم بكل راحة».

«المكان الهادىء» كان عبارة عن بحيرة رائعة الجمال تحيط بها الأشجار والأزهار من كل جانب، ركنا السيارة وأخذا يتمشيان تحت ظلال الأشجار لحين وجدا مكاناً بعيداً قليلاً عن باقي السواح فجلسا هناك.

أشعل سيجارة وأخذ يدخنها بهدوء تاركاً إياها ترمق الجمال الذي يحيط بها بإعجاب وغبطة وأخذت تنظر اليه بصمت، كان شعره لامعاً وداكناً، وملامحه تدل على شخصيته القادرة والواثقة، ويداه كانت ذا أصابع طويلة وقوية وأظافره نظيفة ومقصوصة، وبنطاله الرمادي وقميصه الأزرق الغامق كانا يظهران جسده القوي الرياضي المتناسق.

رفعت جاين عينيها لترى انه كان بدوره ينظر اليها ويدرس تقاطيعها فحدقت به بجرأة وقلبها ينبض بقوة فخالته سيسمع صوت نبضاتها وذابت في عينيه الخضراوين وحبست أنفاسها بينما كانت المشاعر القوية تجرفها وتتركها ترتعش.

«لا تنظر الي هكذا» توسلت اليه بصوت مرتجف وهي تحاول ان تسيطر على أعصابها، وتركز على ضفدع كان يقفز على العشب أمامها.

«لم لا تريدينني ان أنظر اليك؟».

«انت... تربكني».

«ربما هذا سيكون أقل إرباكاً» قال وأمسك بذقنها وقبلها

www.elromancia.com

على فمها.

في البداية كانت قبلته ناعمة، لطيفة لكنها بالتدريج أخذت تصبح متطلبة وحسّية وشعرت بيديه تحيطان بها وتقربانها منه، للحظات ممتعة قليلة أحست بالكون يتوقف وقاومت غرائزها الجارفة التي أخذت تتصارع داخلها.

«رودلف، ماذا يحصل لي؟» سألته بنفس مقطوع بعد ان أبعد شفتيه اللاهبتين عنها.

«يخيفني مجرد التفكير بك».

«انت تحاولين بجهد ان تحللي مشاعرك، استرخي فقط ودعي الأمور تأخذ مجراها، وبعدها ستفهمين».

هذه المرة استسلمت دون أي شرط لشفتيه وذراعيه، وشعرت نفسها تطير الى عالم آخر لا يهم شيء فيه سوى متعة هذه اللحظة، قلبها كان ينبض بجواب وجدت نفسها تغلق عقلها وتشعر فقط بما تحس.

«هذا... لكن لا يمكن ان يكون... الحب؟ انا احبك» همست بصوت متقطع ملؤه الدهشة لاكتشافها الحقيقة وعيناها الرماديتين واسعتين ومشدوهتين وتابعت: «لكن هذا مستحيل؟!».

ابتسامة رضى علت شفتيه وقال: «ولماذا مستحيل؟ عندما أكون انا قد أحببتك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك بها تختبئين خلف نبتة المطاط السخيفة تلك».

«لكن... نحن بالكاد نعرف بعضنا البعض!» احتجت وأصابعها تلامس الغمزة في ذقنه.

«هل يستطيع الإنسان أن يحدد وقتاً معيناً ليدرك ما هو الحب؟» قال وأمسك يدها وطبع قبلة دافئة في كفها وتابع «انا اعترف انه لا يكون دائماً من اللحظة الأولى، لكن هذا

ممكن ان يحدث، فقد حدث معنا بالفعل».

«كيف بإمكاننا التأكد انه ليس مجرد إنجذاب جسدي؟».

«لأنه يا حبيبتي جاين، انا لا اريد جسدك فقط، ولكن عقلك وروحك كذلك» عيناه كانت تقتدان بنار العاطفة وأكمل: «هل تتزوجينني؟».

صدمة السعادة ارتعشت داخلها وقالت: «رودلف انا... يجب ان تعطيني وقتاً للتفكير».

«لا تفكري، دعي قلبك فقط يقودك ويعطيك الجواب».

«انت تعرف ماذا سيكون جوابي إذا سمحت لقلبي بالإجابة عني، لكن عندي واجب إتجاه أهلي... يجب ان أحضرهم للصدمة المفاجئة ان أبنتهم الواعية العادية قد سلمت قلبها لرجل تعارفها به يقتصر على عدة ساعات فقط».

«هل من الممكن انني قد تعرفت اليك لعدة ساعات فقط، في حين انني أشعر بأني كنت اعرفك طوال حياتي؟».

«آه، رودلف انا أشعر بنفس الشيء، لكن يجب ان نكون منطقيين، وأن نمنح أنفسنا بعض الوقت لنتأكد» رفعت نظرها اليه وأمسكت بيديه وسألته: «ما الذي نعرفه عن بعضنا البعض؟».

ضحكته الفورية كانت هازئة: «هل ترغبين بأعطائك ملخصاً عن حياتي؟ اين ولدت، أي مدرسة ذهبت اليها، وكم إمرأة كان في حياتي».

«لا تسخر مني رودلف، انا... هل كان هناك العديد من النساء؟» سألته فجأة وهي تشعر بغصة في حلقها.

www.elromancia.com

«القليل مما لا يستحق العد» أجاب بإختصار وذراعيه على ظهرها تشعلان ناراً داخلها.

«كيف تعرف انك بعد بضعة أشهر لن تضعني في المنزلة هذه نفسها؟».

«لأنك جاين المرأة الوحيدة التي أعترفت لها بحبي، والمرأة الوحيدة التي أرغب وأريد الزواج منها».

رودلف...».

«توقفي في البحث عن العوائق في علاقتنا» قال بقوة ويديه تشدان عليها وتمنع الهواء عن الوصول الى رئتيها وتابع «دعينا نتقبل حقيقة اننا نحب بعضنا، وأبدئي من هذه النقطة، فلدينا ما يكفي من حياتنا لنعرف ما تبقى من الأمور الأقل أهمية، وكل إكتشاف جديد سيقربنا من بعضنا البعض أكثر».

جدالها، اختنق تحت وطأة شفتيه وعناقه وأستسلمت لمشاعرها حين جرفتها موجة عاطفة رائعة.

جاين كانت غارقة بالحب حتى أذنيها وبمرور أيام الصيف الرائعة هذه كانت العاطفة تغمرها بالسعادة والحبور وتحول لياليها نهارات مشرقة، كانت تعيش فقط لأجل رودلف وكانت مدركة تماماً للقلق المتزايد في عيون اليسون ووالديها، سعادتها كانت كبيرة جداً، وحبها كان جارفاً وقوياً، شيء ما لا بد سيحصل ليكسر هذا السحر الذي كانت تعيش فيه فكرت بنفسها، فمن غير الممكن ان تأتي هذه السعادة القصوى لفتاة عادية مثلها، كانت هذه فكرة مزعجة ومستمرة كانت دائماً جاين تدفعها بعيداً عنها.

وأكتشفت أشياء كثيرة عن رودلف خلال هذه الأيام الرائعة، أبوه يمتلك واحدة من أضخم الشركات في

المنطقة والتي تزود المزارعين بالآلات والمعدات، وكان سيستلم مكان والده في يوم ما، لكن حتى ذلك الوقت كان يمتع بأوقات المرح والأسترخاء، أخته ايمي، لا يزال أمامها سنتين في المدرسة قبل ان تدخل الجامعة، وهي ووالدته تعيشان معه ووالده في قصرهما في هوغتون، إحدى ضواحي جوهانسبرغ.

بدا كل شيء حوله مؤثراً جداً، ولكن لم يكن يهم جاين حتى ولو عرفت انه كان فقيراً جداً وليس ثرياً هكذا، لظلت تحبه وتعشقه وتريد الزواج منه.

حوالي منتصف الأسبوع الثاني من عطلتهم حصل شيء ما جذبها مجدداً الى الأرض بسرعة وقوة كادت تصدمها، كانت السماء تمطر منذ الصباح وكانا قد قضيا نهارهما في المطعم وفي السينما ويشاهدان فيلماً سبق لهما ان شاهداه كانت تضحك بمرح فيما كانا يمشيان تحت المطر ليصلا الى الفندق وهناك حصلت المفاجأة.

كانت هناك برقية تنتظر رودلف، وراقبته بإضطراب وهو يقرأها وتعلو التقطيبة وجهه.

«هل هناك مشكلة؟ همست وصوتها يرتجف من القلق.

تماسك رودلف بصعوبة وملامحه مسودة وقال بصوت متصلب: «إنهار والدي في المكتب اليوم، يجب عليّ الإتصال بوالدتي لأعرف ما حدث بالضبط وإذا كان الأمر خطيراً كما أتوقع، فيجب عليّ عندها ان أسافر فوراً».

فأس القدر ضرب بقوة ودقة جعلتها غير قادرة على الكلام، كلاهما كانا يعرفان ان الفراق سيأتي آجلاً أم عاجلاً، كانت هذه فكرة مزعجة تجاهلها الإثنين معاً، والآن أتت اللحظة التي خافا منها.

«إذهبي الى غرفتك جاين» أقترح بهدوء ولطف «سأتصل بوالدتي حالاً لأعرف ما جرى ثم سأخبرك فور معرفتي لمخططاتي التالية».

لاحقاً، بعد ان شرحت الظروف لأليسون، جلست تنتظر إتصاله بها وهي تخشى ما سيقع، وعندما رن الهاتف أخيراً أسرعت اليه والقلق يكاد يقتلها.

«جاين؟» حتى في لحظة الخوف والتوتر هذه كان صوته يحرك أحاسيسها، ويسرِّع نبضات قلبها.

«نعم».

«والدي في المستشفى بعد ان عانى من ذبحة قلبية شديدة، لكن كما يبدو الأطباء يقولون انه لا يوجد أي خطر عليه في هذه اللحظة».

«آه، انا مسرورة جداً لهذا» تنهدت وقالت وعينيها تدمعان «الأخبار هذه قد تكون مطمئنة لكن لا يزال عليك الذهاب لتكون مع عائلتك».

«حبيبتي» قال بدفء «انني اكتشف الآن ان المرأة التي أحب لها قلب متعاطف ومتفهم، ولا أستطيع ان أخبرك كم أقدر لك هذا في هذه اللحظة» توقف عن الكلام للحظات وكاد نبض قلبها يخنقها وهي تنتظر فتابع: «أحبك جداً، جاين».

«وأنا ايضاً أحبك» قالت وهي تمسح الدموع بيدها الأخرى، اليسون بصمت ناولتها محرمة ورقية ونظرت اليها جاين بإمتنان وسألت رودلف «متى سترحل؟».

«سآخذ أول رحلة في الصباح، جاين هل تتناولين العشاء معي في مكان ما، وبعدها سنجد مكاناً نستطيع التكلم فيه وحدنا، هل تفعلين؟».

«انت تعلم انني سأفعل».

سمعت صوت تنهيدته وقال: «سأمهلك ساعة ثم سألاقيك في البهو».

وضعت السماعة مكانها وحدقت باليسون، ثم فوراً انفجرت بالبكاء.

«هدئي من روعك جاين، ستنهارين إذا بقيت على هذه الحالة» حذرتها اليسون بلطف وهي تجلس قربها وتحيطها بذراعيها.

«اليسون، انا خائفة جداً».

«وما الذي يخيفك لهذه الدرجة؟».

«هذا ما أشعر به... لا أعرف لماذا» قالت عبر دموعها وتابعت «اعرف انني اتكلم بجنون، لكن شيء ما منذ البداية حذرني بأن سعادتي لن تدوم طويلاً».

«لا تكوني سخيفة» قالت لها اليسون «لم اعرفك ابداً غير منطقية هكذا، وإذا كان هذا ما يفعله الحب بالإنسان، إذن فأنا سألتصق بمغامراتي اللاهية البسيطة».

ضحكت جاين بعصبية ثم قالت: «ليس الحب هو الذي يجعلني خائفة، ولكن الخوف هو من فقدان هذا الحب».

حدقت اليسون بها بقوة وقالت «هل تشكين بحبه لك؟».

«كلا» قالت وهي تهز رأسها «لكن المثل يقول لا شيء يدوم وأنا أخشى على سعادتي ان تتبخر».

«هل تخشين ان يرحل ويتركك ولا يبقى لك غير الحزن والألم؟ هل تخشين ان يحصل شيء يحطم خططك وخططه للمستقبل؟».

«نعم، هذا ما أخشاه... لقد كان كل شيء رائع وغير

www.elromancia.com

معقول».

«لا احد بإمكانه معرفة المستقبل جاين! نحن فقط نستطيع ان نتمسك بما بين أيدينا اليوم، وأن نثق بأن المستقبل سيعاملنا بلطف».

هكذا كلمات حكيمة وهادئة من اليسون كانت شيئاً جديداً على مسمع جاين فحضنت اليسون بمحبة وصدق وقالت: «شكراً لك اليسون، انك أعز وأحب صديقة على قلبي».

جاين كانت متوترة طوال فترة العشاء وشعرت ان رودلف يعاني من الشعور نفسه فكلاهما لم يتكلما كثيراً أثناء تناول الطعام، عيناهما فقط كانتا تلتقيان دائماً وتتكلمان بما لا تستطيع شفتيهما البوح به.

لاحقاً فيما كانا في السيارة يتنزهان تحت المطر سألته: «الى اين تأخذني؟».

«الى شقة أحد أصدقائي الموجود خارج البلد الآن» وأمسكت يده بيدها الموضوعة في حضنها وتابع: «انه المكان الوحيد الذي استطيع التفكير به في هذا الطقس حيث سنكون في عزلة تامة لنتمكن من مناقشة الأشياء الواجب علينا مناقشتها».

ظلت صامتة وغارقة في أفكارها وأستقلا المصعد الى الطابق الثالث ودخلا الى الشقة.

كانت الشقة تظهر بوضوح انها تنتمي الى شاب أعزب، فالكتب كانت مبعثرة هنا وهنا وبعض زجاجات البيرة الفارغة كانت متناثرة على الأرض والطاولات.

«جيري ليس الشخص المرتب الذي اعرفه» اعتذر رودلف لها وتابع: «وهو يحب الأحتفاظ بالزجاجات الفارغة

كما يبدو».

صب كأسين من المشروب لهما وناولها كأسها وجلس قربها على الكنبة، إهتزت أصابعها وهي تحتسي الشراب الحاد الذي لسع حنجرتها وأشعرها بالدفء.

«متى سأراك ثانية؟» سألته.

«سآتيك الى كاب تاون حالما تتحسن حالة والدي» قال ووضع كأسه على الطاولة ثم أنحنى واضعاً يديه بين ركبتيه وتابع «عليك ان تتفهمي الوضع جاين، انه طوال فترة مرض والدي سأكون مجبراً على تولي الأعمال عنه، انا لا أختلق أية أعذار، لكن علينا معرفة الحقيقة، انني قد أستغرق وقتاً قبل ان أتمكن من المجيء اليك، لو كانت حالة والدي الصحية جيدة لكان من السهل جداً ان أذهب اليك فور وصولك الى هناك، لكن مرضه قد غيَّر كل شيء».

«انا أفهم الوضع» همست وهي ترتجف من كلماته، كأنه قد حكم على حبهما بالموت حتى قبل ان يتفتح، وعد بالفرح لن يصبح واقعاً.

«لا تبدي هكذا» قال بقوة وتناول الكأس من يدها ووضعه على الطاولة قبل ان يأخذها بين ذراعيه «سأجد طريقة ما يا حبيبتي، سأجد طريقة من أجلنا».

«اعرف، اعرف» صرخت ورأسها على كتفه ولم تعد تستطيع ان تحبس دموعها أكثر من هذا.

«سأتصل بك حالما أرتب الأمور في البيت» قال وهو يمسد شعرها بحنان وحب.

«نعم» همست بصوت مخنوق.

أجبرها على رفع وجهها اليه وغطى شفتيها المرتجفتين

www.elromancia.com

بشفتيه، للحظة ظلت ساكنة في مكانها وهي تتقبل قبلته.

«حبيبتي، تعالي معي الى جوهانسبورغ» تمتم وصوته يرتجف من العاطفة «نستطيع ان نتزوج فوراً و...».

«كلا» هزت رأسها محاربة الدموع التي كادت تتساقط من عينيها وقالت: «لن يكون هذا عدلاً لوالدي، ولن يكون كذلك عدلاً لعائلتك في هذا الظرف، عائلتك بحاجة لك الآن وسيكون من الأنانية ان نفكر بأنفسنا فقط فيما والدك يرقد مريضاً في المستشفى».

«جاين» همس بحب وهو يلامس خدها «لا تبكي يا حبيبتي، أرجوك لا تبكي».

«انا آسفة، لم أقصد ان أبكي هكذا، لكن انا.. انا خائفة جداً رودلف... أحضني ارجوك، أحضني بقوة».

«جاين، ما الأمر؟» سألها بقلق وهو يحيط بها بقوة بذراعيه.

«لا أعرف» قالت من بين شهقاتها ودموعها «لدي فقط هذا الشعور ان سعادتنا في خطر، لربما حصل كل شيء بسرعة خاطفة، وبشكل متكامل، آه اتمنى لو كان بمقدوري الشرح».

«ليس هناك أي شيء ليجعلك تخافين جاين، سآتي وأحضرك فور أستطاعتي» ورفعت يديه القوتين وجهها اليه وأرتعشت للحب والألم الذي كان داخل عينيه وقال:

«هل تعتقدين انني أجد الأمر أسهل مما تجدينه بالإبتعاد عنك هكذا؟».

«آسفة» همست بإضطراب من جراء ما رأته في عينيه وخجلت من تصرفها وقالت:

«لقد كنت حمقاء حقاً، في وقت انت بحاجة للكثير من

الراحة والأطمئنان».

«يا حبيبتي» قال وهو يشد عليها بذراعيه ويغمر وجهها بقبلاته اللاهبة.

«لا بد انني أبدو بشكل مريع» قالت بعد فترة وهي تخرج نفسها من بين ذراعيه وتابعت «هل هناك مكان أستطيع به ان أغسل وجهي وأصلح من وضعه؟».

«غرفة نوم جيري هناك وبداخلها الحمام» قال وهو يشير لها الى إتجاه الغرفة أشعل سيجارة.

كانت جاين ممتنة لهذه اللحظات القليلة التي قضتها لوحدها لتتمالك نفسها، لولا خوفها من فقدان رودلف لكان فراقهما محمولاً ومقبولاً فكرت وهي تغسل وجهها الحار بالمياه الباردة، متى وأين زحف اليها هذا الخوف لا تدري، لكنه موجود داخلها الآن ويتنامى مع مرور كل لحظة.

عيناها المضطربتين الرماديتين حدقتا بها عبر المرآة، بشرتها كانت محمرّة من البكاء، وستحتاج الى أكثر من أحمر الشفاه والبوردة لتخفي آثار الدموع والحزن حين تعود الى عملها.

كانت تنظر الى نفسها بالمرآة الكبيرة الموجودة في غرفة النوم حين أدركت انها لم تكن وحيدة بالغرفة، فرودلف كان واقفاً على باب الغرفة وينظر اليها، كان قد خلع الجاكيت وربطة العنق وبدا عنقه البرونزي غامق جداً بالمقارونة مع قميصه الأبيض الناصع، تنقلت نظراته عليها وعلى الثوب المشمشي الناعم التي كانت ترتديه، رفع عينيه ورموشه الكثيفة وترك نظره على حمالات ثوبها وعلى كتفيها الظاهرتين من تحتهما.

www.elromancia.com

حبست أنفاسها وهو يقترب منها وشعرت بالشيء الجديد الذي كان موجوداً الجو والذي لم تستطع ان تحدده، يداه كانتا على كتفيها تداعبانها بحنان وشغف وأستمتعت بالمشاعر التي تثيرها لمسته لها دائماً.

«جاين» صوته كان مخنوقاً وجسده متصلباً وحين عانقها قال «بعد أشهر قليلة ستكونين زوجتي، وعندها لن يكون هناك أي داعي لنفترق ثانية، انت تثقين بي، اليس كذلك».

«نعم» قالت هامسة عبر شفتيها وبعدها ضاعت، ضاعت بتأثير عناقه لها وبضغط شفتيه على وجهها.

ارتجف جسدها وحذرها وعيها الشبه مخدر مما يحدث لكن براءتها وقلّة معرفتها بما سيحدث جعلها تتغاضى عن هذا التحذير، وأنخفضت شفتيه الى عنقها ثم كتفيها وشعرت بنفسها تغرق في بئر من الأحاسيس والمشاعر الممتعة ولم يعد بإستطاعة قدميها ان تحملانها وشعرت به بغموض يحملها ويضعها على السرير ولم تعد تشعر بشيء بعد هذا سوى برودلف وحبها له.

«آه، يا إلهي جاين، ماذا فعلت؟!».

- ٣ -

كانت هذه صرخة ألم من ضمير رودلف، إنطلقت منه حين جلس على حافة السرير ووضع رأسه بين يديه، ارتعشت جاين بقوة، وسألت نفسها نفس السؤال! ما الذي فعلته؟ كان بإمكانها إيقافه لكنها سمحت لنفسها بأن تجرف مع أمواج العاطفة حتى أصبح من المستحيل لهما التراجع، كانت تحب رودلف بجنون، لكن هذا لم يكن عذراً للطريقة التي تصرفت بها.

«انا ايضاً التي تتحمل اللوم عن... عن ما حصل».

التفت بسرعة ورفع يدها الى شفتيه وقال: «حبيبتي، انا لست طفلاً، انا في الواحد والثلاثين من العمر، وأنا من كان عليه ان يعرف أكثر، الله يعلم جاين، لكنني أقسم انني لم أحضرك الى هنا لهذا السبب».

www.elromancia.com

«أعلم انك لم تفعل».

عيناه كانتا داكنتين من تعذيب ضميره، ودموع ندمها أنحبست في عينيها.

«انا... انا ادرك الآن انه كان بإمكاني منع ما حصل، لكن في الوقت الذي... سمحت لطهارتي وفضيلتي ان تذهب».

«جاين انت بريئة جداً، وأنا الذي تصرفت بجنون، انا من فقد السيطرة والتحكم» وبتنهيدة عميقة أحاطها بذراعيه ودفن وجهه في عنقها وهمس «سامحيني يا حبيبتي».

«لا تقل هذا» همست بسرعة وهي تدفع يدها في شعره الكثيف الناعم «لو اني لم أكن أحبك لهذه الدرجة، لما حصل ما حصل ابداً، انت تعلم هذا اليس كذلك؟».

«أعلم هذا جاين، وأنا أكره نفسي لإستغلالي لحبك هذا بهذه الطريقة» ورفع رأسه وقفز قلبها من التعبير الذي كان داخل عينيه وحول فمه وقال: «يجب ان تتزوجيني حالاً جاين... اليوم».

كانت هذه الفكرة مثيرة، لكنها فكرة لن توافق عليها وظل والده المريض أمامها.

«كلا رودلف، لا نستطيع» قالت بهدوء «والداي لن يسامحانني أبداً إذا تزوجتك دون معرفتهما ولن يكون من الملائم ان تحضر لعائلتك زوجة جديدة في مثل هذه الظروف وأنت مشغول جداً على حصة والدك».

«انا اتحمل المسؤولية نحوك».

«عليك تحمل المسؤولية نحو عائلتك الآن» قالت له بعقلانية، لم يكن من الصعب عليها ان تقبل بما عرضه عليها فهذا كان سيجعلها أسعد مخلوقة على وجه الأرض،

لكن بالرغم مما حدث بينهما، فلن تفكر بسعادتها الشخصية في هذا الوقت.

«هل فكرت بما يمكن ان يحدث إذا تسببت غلطتنا المجنونة هذه بعواقب جديَّة؟».

قاطع أفكارها وأحمرت وجنتاها حين أدركت ماذا يعني بسؤاله.

«اعتقد انه من النادر ان يحصل هذا من... من المرة الأولى» أجابته وهي تتجاهل النظرة المرحة في عينيه.

«وإذا حصل هذا؟» سألها ثانية بإصرار.

فكرت بما ستقوله قبل ان تقول: «اظن ان علينا قطع هذا الجسر حين نصل اليه».

«جاين» تمتم هامساً «أكره ان اتركك الآن».

«أكره فكرة تركك لي انا ايضاً، لكن يجب ان نكون عقلانيين».

نعومة شفتيه وذراعيه كانتا كالألم النابض في قلبها.

«سآتي فوراً لإحضارك جاين، حالما أستطيع هذا» وعدها وهو يمسح شفتيه على وجهها وعينيها.

«نعم، يا حبيبي... حالما تستطيع هذا».

لم يكن هناك أي مجال للتكهن ان المستقبل سيصبح كابوساً حيًّاً بدلاً من ان يكون حلماً جميلاً كما تمنت، لأسباب تجهلها اخبرت والديها القليل عن رودلف لدى عودتها الى البيت في كاب تاون ودائماً كانت تتحاشى لفظ إسمه، كان قد مضى على وصولها أسبوع حين أتصل رودلف بها وأخبرها ان صحة والده لا تتحسن أبداً كما لم يأملا، والمشاكل ايضاً كانت تتفاقم في العمل، لكنه لم يشرح لها كثيراً عن مشاكل العمل هذه، وكل ما علق في

www.elromancia.com

ذهنها من محادثتهم تلك ان عليه ان يؤجل حضوره الى كاب تاون لفترة.

ومر شهران على هذه الحال وكانت مكالماته الهاتفية هي التي تضيء لها حياتها وبعد هذا أكد طبيب العائلة أسوأ مخاوفها، كانت حامل بأبن رودلف! كان هذا خبر تحاشت التحدث به مع والديها لحين يتصل رودلف وتخبره أولاً بما حدث ولكنها كانت قد بدأت تخشى ان حبه لها قد برد وقلّ، حاولت ان تبعد عنها هذه الفكرة لكنها كانت تأتي اليها دائماً.

وصل إتصاله بعد أسبوع وكانت جاين قد حضرت نفسها لما ستقوله، هل سيكون فرحاً أم هل سيكون غاضباً؟.

«جاين؟» جاءها صوته كالعادة تعباً ومختصراً «لقد عانى والدي من نوبة قلبية أخرى قبل عدة أيام وهذه المرة كانت النوبة القاضية».

«آسفة» قالت بحزن وتساءلت ان كان هذا الوقت المناسب لتخبره الخبر الخطير.

«لقد كان الأمر كالصدمة الهائلة لنا جميعاً، وخاصة بما اكتشفته في الأسابيع الماضية، أعمال العائلة كانت تتهاوى بسرعة في السنتين الماضيتين» صمت قليلاً وكأنه يجد صعوبة فيما سيقول وتابع: «إذا كان عليَّ المحافظة على أعمال العائلة، وعلى البيت والذي عاش فيه أسلافنا منذ أربعة أجيال، فسيكون عليَّ العمل ليل نهار، وهناك إيمي من الواجب عليَّ التفكير بها ايضاً، يزال أمامها سنتين قبل ان تدخل الجامعة، وأمي أكثر من ضعيفة لتقدر على تحمل فكرة خسارتها لبيتها ايضاً».

«هل ستتمكن من إنقاذه؟».

«يجب عليَّ هذا» قال بقوة ثم تابع بعد فترة صمت «إذا كان بإمكانك ان تنتظري فترة أخرى بعد، فستتزوج فور تمكني من تجهيز كل شيء».

إنعدام الحماس في صوته وكلماته كان كالسيف الذي قطع أوصال قلبها، بكل المشاكل والمصاعب المتكتلة أمامه هل تستطيع ان تحمّله ايضاً مسؤولية نفسها وطفلهما الذي بأحشائها والذي لم يولد بعد؟ هل يستطيع حبهما ان يتحمل ويتابع في ظل هذه الظروف.

«هل تعطيني القليل من الوقت لأفكر فيما تقترحه؟» تمكنت من القول أخيراً وسمعته يتنهد هل كان مرتاحاً لأنها لم توافق على عرضه الغير متحمس؟.

«انت إنسانة عقلانية جاين» قال بسرعة لكنها لم تكن تستمع لأن البؤس داخلها كان قد طفا على السطح وتابع: «سأنفذ كل ما تقررينه».

الكلام الذي كان قد حضرته إمَّحى من ذاكرتها وأبقت السر لنفسها فيما كانت تضع السماعة مكانها، لم تنم تلك الليلة وظلت تستمع الى صوت دقات الساعة بجانب سريرها حتى شروق الشمس.

صارعت أفكارها أثناء بقاءها في الصف في النهاء وأخيراً توصلت الى القرار، يجب على رودلف ان يعرف الحقيقة.

عادت الى البيت ذلك المساء وهي تشعر بالراحة قليلاً لتوصلها الى هذا القرار ولكن حين وصلت رن جرس الهاتف ورفعت والدتها السماعة ثم ناولتها إياها وهي تقول: «أحداهن وتدعى سيبيل رامبلنغ تريد التحدث اليك».

انتفض قلب جاين بقوة وخشيت ان يكون مكروهاً ما قد أصاب رودلف فتناولت السماعة بسرعة وعصبية.

«سامحيني لإتصالي بك هكذا» بادر مسامعها هذا الصوت الذي تابع: «لكنك ستتفهمين الوضع حين أشرح لك».

«هل حصل أمر ما لرودلف؟» سألت جاين بلهفة.

«كلا يا عزيزتي، لكني تحملت على عاتقي ان أوفر عليك بعض وجع القلب... رودلف وأنا نعرف بعضنا منذ سنوات ولطالما كان هناك تفاهماً بيننا دائماً، كما ترين يا عزيزتي، فزواجنا أمر مفروغ منه، وأكره ان أفكر انك تأخذين أي وعد قطعه لك على محمل الجد... رودلف هو رجل جذاب جداً وأنا اعرف ان العديد من النساء يقعون في حبه فور رؤيته، ومن الطبيعي انه يشعر بالإطراء لهذا، لكن حين يصل الأمر الى الزواج فهو لديه أفكار محددة حول المرأة التي سيختارها لتكون زوجته».

شعرت جاين وكأن أحدهم قد صفع في وجهها باباً مثلجاً وقالت: «آنسة رامبلنغ، ماذا تريدنني ان أفعل؟».

«إتصلي برودلف وأخبريه انك تعتبرين علاقتك به مجرد مغامرة عطلة صيف وأستطيع ان أعدك انه سيشعر بالإرتياح الكبير حين يعرف انك تعتبرين الأمر كما يعتبره هو».

وأنهار العالم حول جاين بقوة جعلها تتخشب: «سأفعل كما تريدين» سمعت نفسها تقول، لكن صوتها بدا غريباً تماماً من مسمعها.

«كوني ذكية، بما فيه الكفاية ولا تذكري له انني قد أتصلت بك، هل استطيع الأعتماد عليك في هذا؟».

«نعم».

ولبعض الوقت بعد ان أغلقت السماعة، ظلت جاين متكئة على الحائط بجانب الهاتف، مغامرة عطلة صيف؟ لم يكن الأمر سوى مغامرة عطلة صيف كما قالت هذه المرأة، هل هذه هي الحقيقة؟ هل من الممكن ان تكون قد أخطأت في تقدير ما حصل؟.

وتذكرت بعضاً من مكالماتهما الأخيرة وتذكرت صوته التعب والمختصر، لا تستطيع ان تنكر انها كانت تشك فيه حتى قبل ان تتصل سيبيل، لقد انتهى الأمر! لقد سلّمته نفسها لأنها تحبه، ولكن بالنسبة لرودلف لم يكن الأمر إلا مجرد علاقة تسلية، لم تستطع ان تتصل به وتتكلم معه ولهذا فقد قضت المساء تكتب له رسالة لتخبره فيها ما قررت، أعادت الكتابة مرات ومرات وفي النهاية اخبرته بإختصار ان مشاعرها نحوه قد تغيرت وأن علاقتهما لم تكن إلا مجرد علاقة لهو وتمضية وقت، وبعد هذا اعترفت لوالديها انها حامل، كان الأمر كأنها قد فجرت قنبلة في وجههما.

«هل هو هذا الرجل الذي قابلته في العطلة؟ الرجل الذي يتصل بك بالهاتف؟» سألتها والدتها بعد فترة حين إستطاعت النطق.

«نعم».

«من هو؟» سأل والدها بقسوة وهو ينفث غليونه.

«وهل إسمه يهم؟».

كان من الغريب البرود والهدوء التي كانت تشعر بهما في هذه اللحظة وكأنها كانت تناقش مسألة شخص آخر غيرها.

أخذت والدتها نفساً عميقاً قبل ان تقول: «انت

www.elromancia.com

ستتزوجينه، الستِ كذلك؟».

«كلا».

تبادل والديها النظرات كأنهما كانا يطلبان العون، أحدهما من الآخر، وأدركت جاين ان موقفها لا يساعدهما أبداً في فهم شيء، لو انها فقط لا تشعر بهذا الموت داخلها، لو انها تستطيع فقط ان تصرخ ان تبكي، ان تتخلص من التوتر الذي يخنقها.

«لكن يا عزيزتي، يجب عليك ذلك» أصرت والدتها بلطف كأنها أحست بالصراع داخل جاين وتابعت: «هل هو يعرف انك تنتظرين إبنه؟».

«كلا... ولن أخبره بهذا الأمر ايضاً».

«لا افهم سبب تصرفاتك هذه جاين!» قال والدها بتصلب «بالطبع انت أحببت هذا الرجل كثيراً حتى... حتى...» ولم يستطع ان يكمل من شدة شعوره بالإرتباك.

«نعم ابي، لقد أحببته... كثيراً، لكن... لقد غيرت رأيي، انا لا اريد ان اتزوجه».

«لكنني أصر جاين» قال والدها بغضب ولكن يد والدتها على ذراعه هدأت من غضبه.

«إذا بقيت مصراً يا ابي، سيكون علي ترك البيت والعيش بمفردي في مكان آخر».

الصمت الذي سيطر بينهم كان قاتلاً، وقفت جاين وعيناها الرماديتين جاحظتين ومرعوبتين في وجهها الشاحب، ويديها تتحركان بعصبية وتابعت: «سأحتاج اليكما كثيراً في المستقبل، لا تجبراني على المغادرة لأنني، إذا فعلت، فلن تعرفوا اين سأكون».

«جاين حبيبتي، لا أقدر ان أتظاهر ان ما حدث الآن لا

يشكل صدمة كبيرة لنا، لقد كنت دائماً مثال الإبنة العاقلة الواعية. لكنك تعرفين اننا سنقف الى جانبك، مهما حصل» عينا والدتها كانتا لطيفتين ومهتمتين ولأول مرة شعرت جاين بالدموع تتجمع تحت عينيها وتابعت والدتها: «هل فكرت في عواقب عدم زواجك من الرجل الذي تحملين طفله في أحشائك؟».

ابتلعت جاين ريقها بصعوبة وقالت: «نعم، لقد فكرت في هذا، في العار والفضيحة التي سأجلبها علينا وعلى العائلة، لكن كل هذا سينتهي في النهاية وأظن اننا نستطيع تحمل العاصفة سوياً».

كان صعباً جداً ان تخفي وضعها عن إدارة المدرسة لكنها كانت قد تقدمت للطلب بإسم السيدة دويل ولهذا فقد ظنها الجميع إمرأة متزوجة، وقد أُعطيت ثلاثة أشهر لتضع الطفل عادت بعدها فوراً على عملها.

اليسون ووالديها بعدما تبلغوا قرارها أقسموا على الحفاظ على هوية رودلف سراً، وقدَّموا لها بيتهم لتقضي به العطلات هي وأبنها، وقد زارتهم جاين مرتين خلال العطل وكانت ممتنة وشاكرة لضيافتهم ولطفهم معها.

لم تسمع عن رودلف ابداً بعد ذلك وأعتقدت انه قد تزوج سيبيل راميلنغ المرأة التي إتصلت بها، كان رودلف جزءاً من ماضيها وأرادت ان تبقيه كذلك، مقفولاً عليه في مكان لا تجرؤ حتى هي ان تتخطاه.

لكن الآن ها قد عاد ماضيها لها بطريقة لم تتوقعها ابداً، لأن داخل الغرفة الصغيرة كان يقف رودلف برنك، شعره كان نفس الشعر الأسود الفاحم وتلك العينين النافذتين لا تزال عندهما القوة لتسببا لها الإرتجاف، لكن السنتين قد

www.elromancia.com

زادتا من الخطوط حول عينيه وفمه وأضافتا لمسة من القسوة الى شفته.

هاتان السنتان قد غيرتا جاين كذلك، بالرغم من جسدها الذي لا يزال نحيفاً، لكن كان نضوج في شكلها لا تخطئه العين.

وهي تقف قرب باب الغرفة والطفل بين يديها، عيناها الرماديتين كانتا هادئتين وهي تنظر الى الزائر الغير متوقع، كان هذا قناعاً كاذباً أجبرتها الأيام على إرتدائه وإخفاء الإرتعاش الكبير الذي كان داخلها، وكانت ممتنة لهذا القناع في هذه اللحظة وهي تواجه رودلف برنك، لأن وجوده قد أعاد فتح كل جروحها وآلامها السابقة.

«هل لي، ببعض الدقائق مع جاين بمفردها؟» سأل والديها ورخامة صوته الحريرية تلسع ذاكرتها.

غادرا الغرفة بصمت وأخذا آندور معهما وأغلقا الباب وراءهما، كانت وحيدة الآن مع رودلف، وحيدة مع الرجل الذي استغلها ودمرّها والذي كانت تكرهه وتحتقره لهذا، ببذته الرمادية الفاخرة وحذاءه اللامع بدا غريباً في غرفة والديها المتواضعة وكرهته أكثر لجعلها تلاحظ بساطة البيت الذي تحب.

«لماذا انت هنا؟» سألته.

«كنت في كاب تاون طوال هذا الأسبوع» قال وعينيه تنظران الى الثوب القطني الأبيض الذي يظهر تقاطيع جسدها وتابع: «لقد إفتتحنا فرعاً لنا هنا، وبوقت فراغي فكرت انها ستكون فكرة جيدة ان أقوم بزيارة شخص كنت أعرفه سابقاً».

«ماذا تريد؟» سؤالها عكس فظاظة لكنها لم تكترث.

«اريد الحقيقة».

«لا يوجد أي شيء بيننا لنقوله لبعضنا البعض».

«على العكس لدينا الكثير لنقوله لبعضنا البعض» قال هذا وبصوته قسوة وبرود وتابع: «لماذا لم تخبريني في وقته انك كنت حاملاً بإبني؟».

«وكيف تكون واثقاً ان آندرو هو إبنك؟».

التوت شفتيه بإبتسامة هازئة وهو يقترب من الطاولة التي عليها صورة اندرو وقال: «ذكريني ان أريك صورتي وأنا في هذا العمر، الشبه واضح جداً» حدّق بالصورة لدقائق ثم قال وهو يحدق بها: «لماذا لم تخبريني؟».

«لم يكن من داعي لإخبارك بهذا بعدما قررت انه لم يكن هناك أي مستقبل لنا سوياً».

«إذن فقد أخترت ان تتركيني جاهلاً لحقيقة انني سأصبح أب» كان هناك غضب هائل في صوته وفي نظرته وهو يقترب منها، لكنها ظلت دون حراك حين وقف قربها وقال: «أستطيع ان أقتلك! أي نوع من الرجال تظنينني؟ هل تعتقدين انه بالرغم من عدم رغبتك في الزواج مني، انني سأتركك في ان تتحملي مسؤولية طفلنا وحدك؟».

حدقت عيناه بها فأخفضت بصرها وهي تشعر بالذنب وقالت «وما يهم ماذا اعتقدت؟».

«يهم هذا لدرجة كبيرة، يهم لأنه للحظات خلت كانا والداك ينظران الي على انني من نوع الرجال الذين يغوون الفتيات الصغار ويتركونهم ليواجهوا العواقب وحدهم، هذا الصيت لا يعجبني لأن الله يعرف انني لست لاهياً، قد أكون كل الصفات السيئة الأخرى لكني ليس هذا».

شعرت جاين بالإختناق وهي تبتعد عنه وتقترب من

www.elromancia.com

النافذة لتنظر الى الحديقة الصغيرة في الخارج وهي تصارع لتستعيد صفاءها.

«انا لم أعطهم أي إنطباع انك من هذا النوع اللاهي» قالت وظهرها له.

«انتِ لم تخبريهم أي شيء... وهذا أسوأ شيء فيما حصل» كان يقف وراءها قريباً كفاية لتشتم رائحة عطره «تركتيهم ليتوصلوا الى إستنتاجاتهم الخاصة، وأنا لا ألومهما لظنهما بي أسوأ الظنون».

الآن وقد أقنعتهما بالعكس، فهل سترحل وتتركني أعيش حياتي بالطريقة التي أريدها؟».

«اتمنى لو كنت أستطيع جاين» قال بقسوة وهو يبتعد عنها ويشعل سيجارة وتابع: «اتمنى لو أستطيع الخروج من هذا الباب والخروج من حياتك، لكن الأمر ليس بهذه البساطة، انا عندي مسؤولية إتجاهك وإتجاه آندرو، مسؤولية لا أريد ان أتخلى عنها في المستقبل».

«لقد تدبرنا أمرنا جيداً في الماضي وسنستمر في هذا في المستقبل» قالت بكبرياء وأستدارت لتواجهه وتابعت: «انا لا أحتاج لأية مساعدة منك».

«انا لا اعرض عليك أية مساعدة، انا اعرض عليك الزواج، لآندرو كل الحق في ان يسمى بإسمي وكل ما يتبع هذا، ولا تستطيعي ان تنكري عليه هذا الحق».

مذهولة بكلماته الغير متوقعة توجهت كلماتها فوراً الى كلمات سيبيل رامبلنغ وقالت له: «الست متزوجاً انت بدورك؟».

«كلا» قال بإبتسامة هازئة «كنت مشغولاً جداً بالأعمال ولم يكن عندي وقت لأمور الزواج ولكن الآن أصبح الأمر

ضرورة».

إرتعشت جاين بقوة من فكرة الزواج منه لإجل الطفل ومن الواضح ان هذا كان دافعه الوحيد لطلبه الزواج منها فقالت «انا لا اريد ان اتزوجك».

عيناه الخضراوين اللتين تشبهان عينا آندرو، نظرتا اليها نظرة جليدية قاسية وقال: «أخشى ان ليس أمامك أي خيار آخر، مشاعرنا غير مهمة في هذا الوقت، ومستقبل آندرو هو ما يجب ان نفكر به».

«آندرو سيكون سعيداً تماماً...».

«حتى يكتشف انه إبن حرام» قاطعها رودلف بقسوة «الناس تكون دائماً قاسية، كما تعلمين في هذه الحالات، وإذا أردت فقط الأحسن لآندرو فهل تستطيعين ان تنكري عليه حقه الشرعي؟».

ارتجفت يداها لكن هذه كانت الإشارة الوحيدة للإضطراب الهائل داخلها وقالت: «حين تضع الأمر في هذه الصورة... كلا، لا اظن انني استطيع!».

«هل أفهم إذاً، انك ستتزوجينني؟».

«كلا، ابداً» صرخت بقوة وتحدي وهي تجد الفكرة منفرة.

«هل تريدين مني ان ألجأ الى نفوذي لأجبرك على هذا الزواج؟».

«هل تظن ان اندرو سيقدر يوماً ما انك قد تزوجتني فقط بدافع من الشعور بالمسؤولية؟».

«إذا لم أحظى بأي شيء آخر منه، جاين فسأحظى فقط بإحترامه!» قال رودلف ببرود ثم تابع «كم تستغرقي من الوقت لتتركي وظيفتك في المدرسة؟».

www.elromancia.com

«السيد ويليامز، مديرنا كان لطيفاً دائماً معي لكني اظن انه سيحتاج الى حوالي الشهر قبل ان يتمكن من الأستغناء عني وتدبير معلمة بديلة».

«أخشى انني لن اترك لك أي فرصة للهروب خلال هذه الفترة جاين، سأقوم بالترتيبات اللازمة لنا حتى يتم زواجنا بأقصى سرعة ممكنة، وبعدها حين تصبحين حرّة، سأتدبر لك أمر الإنتقال جواً الى جوهانسبورغ».

«لا أستطيع الزواج منك بهذه السرعة!» احتجت دون فائدة.

«ستفعلين ما أقوله لك» قال صوته وأسكت احتجاجها: «إتصلي بالسيد ويليامز هذا، سأعود هذا المساء لأسمع النتيجة، ولأخبرك عن الترتيبات التي سأقوم بها للزفاف».

خاضعة لنبرته الآمرة أحنت جاين برأسها موافقة.

وقالت: «حسناً جداً».

«وجاين. . . لا تحاولي الهروب لأن هذه ا لمرة سآتي وراءك كما كان يجب ان يحصل قبل سنتين».

«انا لم أهرب» ذكرته بهدوء.

«ما قلته كان مرادفاً للهروب».

تلاقت عيناهما وأدركت جاين ان السحر القديم لعينيه لا يزال يجذبها لكنها الآن قادرة على التحكم بنفسها وعلى التحديق به ببرود وصلابة، كان هناك قسوة ما حوله جعلتها تشعر بالخوف وبرود في هذه العيون أرسلت الرعشة في جسدها.

هذه العينان كانت تنظران اليها بحب مرّة لكنهما الآن يخترقانها كالسيف ممزقة القناع الكاذب الذي يظهر عدم إكتراثها وتكاد تصل الى القلب الدافىء النابض داخلها.

«أسبابي لعدم رغبتي بالزواج منك الآن هي ذات الأسباب التي كانت سابقاً، لكني لا أستطيع تحمل فضيحة أخرى في هذا الوقت. . . وكما يبدو ليس أمامي أي خيار آخر كما قلت».

«ستفعلين خيراً بتذكرك هذا».

كان هناك تهديد مبطن في كلامه بقي معها مطولاً حتى بعد ذهابه، وتركها في حالة إرتباك.

«يا له من رجل لطيف» قالت والدتها «لا استطيع ان أفهم لماذا لم تريدي الزواج منه».

«لقد شحب وجهه لدرجة مخيفة حين رأى آندرو» قال والدها: «وبدأ يسألنا أسئلة كثيرة، ثم اعترف بعد ذلك انه والد آندرو، لم يسبق لي ان رأيت رجلاً غاضباً هكذا من قبل، ومن الجيد انه مرّ وقت طويل قبل ان تصلين الى البيت».

www.elromancia.com

- ٤ -

جلست جاين وآندرو في حضنها فيما كانت والدتها تسكب الشاي، لكن والدها كان يجلس مقطباً على مكتبه وغليونه بين أسنانه، لقد وقفا معها وساندا بقوة ولكن الشيب قد بدأ يظهر عليهما كذلك الكِبَر، فالفضيحة لم تكن بسيطة، وتذكرت جاين انها لم تراهما يضحكان منذ فترة طويلة، زواجها من رودلف الآن لا شك سيفرحهما ويريحهما وكذلك سيطمأنا على مستقبلها وهذا ما تريده لهما ان يكونا مرتاحين ومطمأنين فهي تدين لهما بهذا.

كانا يجلسان وعلى شفاههما السؤال الذي يريداها ان تجيبه، فقالت: «لقد طلب رودلف مني الزواج وقد وافقت».

«نحن سعيدان جداً لأجلك يا حبيبتي» بادلتها والدتها

بفرح فيما هز والدها رأسه موافقاً وتابعت والدتها: «متى سيكون حفل الزفاف؟».

«سأعرف هذا المساء لكن من المحتمل ان يكون في الأيام القليلة المقبلة» قالت جاين لهما.

وشرحته لهما بإختصار ما جرى بينها وبين رودلف وما قرراه ثم إتصلت بالسيد ويليامز ليؤمن معلمة بديلة لها تستطيع جاين بعد هذا ان تنسحب من وظيفتها.

حياتها الروتينية المريحة قد أصيبت بالفوضى الكاملة، وصل رودلف ذلك المساء وأخبرها انه قد تدبر أمر زواجهما مساء الغد، لم يكن هناك أي إثارة أو حنان في هذا الترتيب كان الأمر مجرد عقد عمل عليهما الإنتهاء منه بأسرع ما يمكنهما.

كان زواجهما أشبه بالخيال فقد إقتصر الإحتفال على المراسيم الدينية والمدعوين كانوا فقط والديها، والدتها أخذت تبكي بصمت حين وضع رودلف خاتم الزواج في يد جاين لكنها كانت تشعر بالغرابة عن من كل ما حولها، وشعرت كأنها تقف قرب رجل غريب وهما يقسمان على الزواج والإخلاص وما اليه... ووجدت صعوبة كبيرة في تصديق انا كانت مرَّة مولعة ومغرمة بالرجل الذي يقف بجانبها الآن.

سافر رودلف الى جوهانسبورغ بعد الزفاف مباشرة وتركها على أساس ان تحلق به حين تنتهي من المدرسة وترتيب أمورها الأخرى، أحست جاين بأن ما حصل كالحلم المزعج، حضور رودلف وزواجها وسفره كل هذا بدا غير حقيقي ولكن الخاتم الذهبي في أصبع يدها الشمال كان يخبرها ان ما حصل لم يكن خيالاً بل واقعاً.

مر الشهر بسرعة ولم تشعر جاين نفسها إلا وهي في الطائرة المتوجهة الى جوهانسبورغ كان آندرو ينام في حضنها ورأسه بشعره الداكن متكيء على صدرها.

«هل ترغب السيدة برنك بشرب شيء؟» جاءها صوت المضيفة مستفسراً وعلى وجهها إبتسامة الترحيب بالمسافرين.

حدقت بها جاين للحظة فهي لم تكن معتادة بعد على مناداتها بالسيدة برنك إلا انها أجابتها بلطف: «شكراً لست بحاجة لشيء الآن».

ابتسمت لها المضيفة ثانية وإنصرفت وغرقت جاين في أفكارها، كيف سيكون تقبل عائلة رودلف لها، لا شك انهم قد ذهلوا حين أخبرهم عن زواجه المفاجيء وهي ستكون غريبة عنهم ولا شك سيستقبلونها بشك وعدم ترحيب في البداية على الأقل وخاصة انها تحمل طفلها من إبنهم وهل يا ترى رودلف قد أخبرهم بهذا ايضاً؟.

كان سيوافيها الى المطار كما اتفقا وظل آندرو مستلقياً وغارقاً بالنوم طوال الرحلة وحين وصلا كان رودلف بإنتظارهما كما وعد، لكن وجهه ظل خالي التعابير وهو يمد يديه ليمسك باليد التي إمتدت اليه، سلامهما البارد أجفلها وساعدها رودلف على حمل الحقائب وإيصالهم الى السيارة.

حدق آندرو بإستفسار بالشبابيك والمقاعد حين أصبحا داخل سيارة رودلف الجاكوار البيضاء وأحسّت جاين لأول مرّة بعواقب ما فعلته، انها الآن زوجة رودلف وبإمكانه ان يفعل بها ما يشاء.

أستدار اليها فجأة قبل ان يدير محرك السيارة ونظرته

حدقت بها للحظة قبل ان يتكلم.

«يجب ان أحذرك ان زواجنا كان صدمة للعائلة، لا تتوقعي الكثير منهم في البداية على الأقل».

لمع الغضب في عينيها وقالت: «انا لم اتوقع انهم سيبحثون عن ركبتهم وهم يستقبلونني إذا كان هذا ما تحاول قوله».

تجاهل رودلف لهجتها وسمح لآندرو بمداعبة يديه.

«والدتي متشوقة جداً لترى آندرو الصغير».

«بدون شك هي تريد ان تتأكد انني لم أوقعك في الشرك وأدعك تتزوجني موهمة إياك ان الطفل طفلك وليس طفل رجل آخر».

أفلت رودلف يد آندرو وحدق بها ببرود وقال:

«زواجنا هذا يمنحني كل الرضى كما لم يمنحك انت ايضاً هذا، إذن فوفري عليَّ تعليقاتك الجارحة هذه».

ابتسمت جاين بإستهزاء وقالت:

«هل لامست جوهر الحقيقة؟».

«انت تجربين صبري وتستفزين غضبي» قال بقسوة وهو ينظر اليها بوحشية: «لا تجبريني على التمادي كثيراً وإلا فستعيشين لتندمي على ذلك!».

«هل انت تهددني؟».

أعاد آندرو محاولاته لإلتقاط يد رودلف وهو يجلس في حضن جاين وعينيه مركزتين على هذا الغريب الذي دخل حياتهما فجأة.

«جاين علينا مواصلة المستقبل سوياً كعائلة» تابع رودلف ببطء وهدوء: «دعينا على الأقل نكون مؤدبين ومتحضرين في تعاملنا مع بعضنا البعض، وإلا فسينتهي بنا الأمر

www.elromancia.com

واحدنا يمزق الآخر تمزيقاً».

تسارعت نبضات قلبها وسألته: «وماذا تتوقع مني؟».

«لا شيء عدا ذلك ان تجعلي الأمر محتملاً لك ولي» ابتسم قليلاً وتابع: «نحن في هذا الأمر متورطين سوياً، أتذكرين؟».

«نعم» قالت بسخرية: «كفأرين داخل زجاجة واحدة ويغرقان في المياه سوياً».

«لقد أصبحت ساخرة وهازئة، جاين وهذا أمر لا يناسبك».

«لربما عندي أسبابي لأكون هازئة» ذكرته ببرود «فالحياة لم تعاملني بلطف تماماً».

«لا تدعيني أتحمل كل اللوم عن هذا» قال وهو يدير محرك السيارة وينطلق بها.

أخذ آندرو يتململ في مكانه بإنزعاج ولم تنجح محاولات جاين في تهدئته وظل منزعجاً، فنومه المتقطع قد جعله متعب ومنزعج وكانت جاين نفسها على وشك البكاء حين عبرا أخيراً البوابة الحديدية ومنها الى مدخل بيت رودلف.

سحبت نفساً ونظرت بإعجاب الى القصر المكون من طابقين حجريين وأعمدة مزركشة وضخمة وشرفاته الكثيرة والتي تطل على الأراضي الشاسعة المحيطة بالقصر.

لم تتخيل ابداً ان بيت رودلف سيكون هكذا، كان مختلفاً تماماً ومناقضاً للبيت الصغير العادي الذي كانت تعيش فيه وتصلبت أعصابها حين عرفت انها ستعيش في هذا المكان مع الرجل الذي سيكون زوجها.

رجل يرتدي معطفاً أسوداً فتح لهما الباب وأسرع

نحوهما وأسنانه البيضاء تلمع وهو يبتسم ويحييهما بلغته الأم.

«مساء الخير إفريم» ابتسم له رودلف وتابع «خذ حقائب السيدة الى غرفتها قبل ان تركن السيارة من فضلك».

«حاضر سيدي» حياهم إفريم وأسرع الى السيارة ليحضر الحقائب بينما دعى رودلف جاين لتدخل بعد ان فتح الباب الخشبي الضخم.

بدأ آندرو يتمتم بالأصوات والأحرف التي يعرفها وهو ينظر الى ما حوله، كان البهو رائع الجمال بالسجاجيد الحمراء الفاخرة التي تغطي أرضه والثريا الكريستال اللامعة الضخمة المتدلية من وسط السقف والديكور الخشبي الرائع على جدرانه، كان كل شيء جميل ورائع لدرجة تخطف الأنفاس لكن رودلف دفعها بلطف نحو غرفة الجلوس.

كان الأمر كأنها تخطو الى غرفة جلوس في القرن الثامن عشر بأثاثها الخشبي الضخم المحفوظ جيداً طوال السنين، من الكنبات المخملية البنية الى الطاولات الخشبية المتعددة المنتشرة بين الكنبات، وهناك كانت تقف امرأتان، إحداهما أكبر سناً، وشعرها الرمادي مقصوصاً بأناقة حول أذنيها وبشرة وجهها مشدودة وعيناها هما اللتان جذبتا إنتباه جاين، كانت عيناها رماديتين كعيون رودلف بنظرتهما الفضولية النافذة الفاحصة والمنزعجة قليلاً.

بجانبها كانت تجلس فتاة شابة شعرها فاتح قليلاً، هذه كانت إيمي، أخته، لكن لم تلاحظ جاين أي تشابه بينه وبين هاتين المرأتين، إيمي كانت عذراء شابة وصورة مصغرة عن والدتها عدا ان العينين الرماديتين كانتا عدائيتين

وفظتين وهما تنظران الى جاين من رأسها حتى أخمص قدميها، آخذة بالأعتبار ثوبها العادي والطفل الذي يغرغر في حضنها.

«أمي... إيمي... هذه جاين» قال رودلف قاطعاً الصمت المسيطر على الغرفة.

«إجلسي يا عزيزتي، لا بد انك تشعرين بالتعب بعد رحلتك الطويلة» قالت السيدة برنك بأدب ورمقت آندرو وتابعت: «والطفل... نعم انه يشبه كثيراً رودلف في طفولته».

ومدت ذراعيها لتتناوله ولكن آندرو تشبث بوالدته وبدأ يصرخ.

«آسفة، فهو تعب ويشعر بالإنزعاج» شرحت جاين بإعتذار لتخفي الإرباك.

فقالت إيمي بصوت عالي: «أستطيع تخيل الوضع الآن بوجود صراخ دائم في البيت».

«إيمي» صرخ بها رودلف بصوت آمر فصمتت وأستدار آندرو نحوه وحدّق به بعينين مذعورتين.

«آندرو عادة طفل هادىء، وسعيد لكن الرحلة قد أثرت عليه، وسببت التعب والإرهاق» شرحت جاين ثانية.

«أريها غرفتها رودلف، وساعدها على ترتيب أشياءها، وسارسل لكما الشاي الى فوق» إقترحت والدته بهدوء.

شعورها بالإنصراف كان لا يزال مسيطراً عليها فيما تبعت رودلف الى غرفتها في الطابق العلوي، صور أسلافه كانت تزين الجدار فوق السلالم، مما أعطاها شعوراً مزعجاً بأنهم كانوا يحدقون بها بنظرة غير موافقة، لكنها طردت الفكرة من رأسها وتابعت طريقها.

«والدتي وإيمي تشغلان الجناح الشرقي» شرح لها وهو يشير الى الجهة المقابلة وتابع: «لكنني كنت أفضل دائماً ان تكون غرفي في الجناح الغربي الذي يطل أكثر على ما حولنا».

هزت جاين رأسها بصمت وهي تشعر بالألم في ذراعيها من وزن آندرو.

«هذه غرفتك» قال بجفاف وهو يفتح لها أحد الأبواب ويتنحى لتمر وأشار الى باب آخر داخلي وقال: «غرفة الحضانة هي هنا والحمام وراءها».

«شكراً لك» قالت بتصلب وهي تنظر الى السرير ذا القوائم الأربعة وستائره السميكة، الى الخزانة الخشبية الضخمة المرآة الكاملة الطول المثبتة بها وإلى الخزانة الصغيرة بالجوارير الموجودة بجانبها.

وضعت آندرو على الأرض حيث أخذ يحبو بصمت الآن ويكتشف هذا المكان الجديد.

«لقد أستخدمت والدتي خادمة خاصة لتخدمك، تستطيعين ان تطلبي منها القيام بأي عمل تريدينه» قال رودلف وأتجه الى النافذة وسحب الستائر ليدع الضوء يدخل وأكمل: «لا حاجة لك لتهتمي بأمور المنزل والتنظيف لأن هناك العديد من الخدم الذين يقومون بهذه الأعمال، وإذا اردت أي شيء من المطبخ في الوقت ما بين الوجبات ليس عليك ألا الضغط على هذا الجرس الموجود قرب السرير».

«لقد فكرت بكل شيء كما يبدو» قالت ببرود وهي تشعر بالإضطراب لوجوده معها داخل هذه الغرفة الواسعة وحدهما وبنظرات عينيه الناعسة التي كانت تراقب كل

www.elromancia.com

تحركاتها: «راحتك هي كل إهتمامي» قال بتهكم.

«يا لك من مفكر» أجابته بتهكم بدورها وأرادت ان تكمل لكنهما سمعا صوت دقة على الباب ودخلت إحدى الخادمات وأحضرت صينية الشاي.

«لدينا زائر على العشاء هذه الليلة، ارجو ان ترتبي أمر وضع آندرو في السرير في الساعة السابعة» قال بهدوء فيما كانت تسكب الشاي في الفناجين الفاخرة وتضع بعض منه في رضاعة آندرو الذي أمسك بها بفرح وهي تضعه في السرير.

«انا متأكدة انني سأكون جاهزة تماماً في السابعة» قالت وهي تجلس أمام رودلف «من هو الزائر؟».

«سيبيل رامبلنغ».

وتصلب ظهر جاين وكل جزء منها استمع بحذر وهو يتابع: «والديها ووالداي كانا أصدقاء منذ القدم وسيبيل وأنا نشأنا وتربينا سوياً».

شربت فنجانها بسرعة وحرق حنجرتها سخونته وزاد من إضطرابها وقالت: «اظن ان زواجنا كان مفاجأة تامة لها؟».

«نعم، هذا صحيح» قال بإختصار وهو ينهض عن مقعده ويضع فنجانه على الصينية ويتابع: «على فكرة، نحن نرتدي ملابس رسمية للعشاء، انها عادة قديمة لم نتخلص منها بعد».

«شكراً على تحذيري».

قطب رودلف وهو ينظر اليها بطريقه الى الخروج ومن الواضح انه أراد ان يقول لها شيئاً لكنه عاد وغير رأيه وترك الغرفة دون التفوه بكلمة.

إذن فسيكون عليها مقابلة صاحبة الصوت المبحوح

سيبيل رامبلنغ خلال يومها الأول في جوهانسبورغ، وتساءلت جاين كيف ستكون هذه المرأة وما الذي حصل للتفاهم الذي تحدثت عنه بينها وبين رودلف. ولماذا لم يتزوجا حتى الآن كما كانت تظن جاين سابقاً؟.

وفكرت جاين ان عليها ان تكون منتبهة في علاقتها مع سيبيل لأنها الآن زوجة رودلف وهذه مرتبة تحسدها عليها سيبيل بالتأكيد، وقررت انه في حال كان رودلف يحب سيبيل هذه فلا يوجد أي داعي لجاين لتخبره عن المكالمة التي حدثت بينهما قبل سنتين.

غرفة الحضانة كانت لدهشة جاين غرفة رائعة صغيرة وكلها باللون الأبيض، السرير الصغير الخزانات الصغيرة والبرادي الرائعة، وحين فتحت بفضول إحدى الخزانات وجدت داخلها العديد من الألعاب التي تسحر لب طفل في عمر آندرو وتساءلت جاين رودلف هو من أشترى هذه الألعاب لطفل بالكاد يعرفه؟ وإذا كان هذا صحيحاً فهل كان هناك أي عاطفة عنده وهو يشتري هذه الألعاب؟ كان من الصعب التصديق، لكن فكرة مثيرة خطرت ببالها وهي ان تكتشف ان نقطة ضعف رودلف هي آندرو.

وصلت خادمة ترتدي ثوباً زهرياً وقبعة صغيرة بيضاء وعرفت عن نفسها على ان أسمها دورا وأنها ستعتني بالطفل وبالسيدة.

«مدام، سأنزله الى المطبخ وأناوله طعام العشاء، ثم سأضعه في فراشه في حال أردت سيدتي ان تستعدي لطعام العشاء».

كانت جاين قد انتهت من تغسيل آندرو وتلبسه ثيابه وقالت بتردد: «قد يجد آندرو الأمر غريباً قليلاً».

www.elromancia.com

«انا معتادة على العمل مع الأطفال لكنني سأستدعيك سيدتي في حال احتجت للمساعدة» أعلنت الفتاة بكبرياء وثقة وهي تتناول آندرو من جاين.

ولفرحة جاين فقد إبتسم آندرو للفتاة الباسمة له وأستكان بين ذراعيها.

«شكراً لك» قالت جاين وهي تتنهد وراقبت دورا وهي تغادر وآندرو بين ذراعيها.

سيكون من الرائع ان تساعدها هذه الفتاة دورا، البادية الثقة والمقدرة، على الإعتناء بآندرو، فيما تحاول جاين التأقلم على هذا الجو الغريب حولها، فكرت جاين بإمتنان وهي تستحم وثم ترتدي ثوب السهرة الوحيد الذي تملكه.

بدون شك ثوبها الشيفون الطويل سيبدو غير مناسب تماماً للعشاء لكن ماذا يهمها؟ قالت بتحد وهي ترفع ذقنها وتنظر الى نفسها في المرآة الكبيرة، لون الثوب كان أزرقاً لامعاً ويتناسب مع لون عينيها، والياقة المفتوحة كانت تظهر نعومة وتورّد كتفيها الملوحين قليلاً من أشعة الشمس أثناء بعض العطل التي قضتها مع آندرو ووالديها على شاطىء البحر.

انها تفتقد والديها كثيراً، فكرت وهي ترفع شعرها الحريري عالياً، حبهم وتفهمهم غمراها وحمياها في الماضي بينما عائلة برنك تعتبرها دخيلة، كنّة غير مرغوب بها لغلطتها الأخلاقية وللولد الباكي كما دعته إيمي.

تنهدت جاين وهي تضع بعض المساحيق على وجهها قبل ان تنزل الدرجات اللامتناهية لتصل الى غرفة الجلوس، سلامها الوحيد في المستقبل سيكون المظهر الخارجي البارد والهادىء، الذي تظهره للعالم، لا أحد

يجب ان يعرف بالإضطراب والعواطف المتداخلة في نفسها، الألم، الإشتياق، والرغبة في القضاء على الشخص الذي كان يعني لها لفترة كل العالم.

رودلف وإيمي كانا في الغرفة حين دخلت جاين اليها وحيتهما، بعد ان أعطتها إيمي نظرة إستقبال سريعة عادتت الى إحتساء كأسها بعدم إكتراث، تجاهلت جاين تصرفها الطفولي هذا في حين اقترب رودلف منها، كان يرتدي بذة سوداء تناسب تماماً جسده الرياضي، وأرتجف شريان في صدرها حين التقت نظرته الباردة بعينيها.

«هل استطيع ان اقدم لك كأساً من الشراب قبل تناول الطعام؟» سألها بأدب يميّز المضيف المثالي.

«نعم من فضلك».

كانت بحاجة لشيء يساعدها للسيطرة على أعصابها، وعلى تحمل العدائية من تلك الفتاة الممشوقة القامة في ثوبها المسائي الفاخر وهي تتكىء على النافذة كأنها تنتظر بشوق وصول الزائرة، كان من المؤسف ان تتصرف إيمي بهذه الطريقة، فكرت جاين، فهي بالواقع معجبة بهذه الفتاة وكانت تفضل ان تكون صديقتها وليست عدوتها.

«مشروبك» قال رودلف قاطعاً عليها أفكارها ومعيداً إياها الى الواقع، تناولت منه الكأس وتلامست أصابعهما للحظة فالتفتت جاين سريعاً لتخفي الرعشة التي شعرت بها من جراء هذا التلامس.

«نخبنا» قال بتهكم ورفع رأسه، ففعلت مثله وأحتست كأسها وهي تحدق به بتحدي، لم يكن هناك أي شيء باقي من المشاعر التي كانت تكنها له في الماضي قالت لنفسها بقوة، ستدعه يدرك هذا جيداً حتى ولو كان هذا آخر عمل

www.elromancia.com

تقوم به في حياتها.

لن تدعه يخترق جدارها الغير مبالي والبارد مهما كلفها الأمر، وإلا فستجد نفسها في وضع غير إرادي لن يسبب لها إلا المزيد من وجع القلب.

«إذا اردت الإتصال بوالديك هذا المساء» قال بنعومة وتابع: «فهناك هاتفاً في مكتبي يمكنك إستعماله».

«شكراً لك لكنني قد أخبرتهما انني سأكتب لهما رسالة».

«كما تريدين» قال وأبتعد حين سمعا صوت سيارة تتوقف في الخارج.

«لقد وصلت سيبيل» قالت إيمي بفرح وإثارة وأسرعت لتتجه الى الباب فأمسك رودلف بذراعها وقال بقوة: «إبقِ هنا، سيستقبلها إفريم عند الباب كما يفعل مع جميع الضيوف».

فطأطأت إيمي رأسها وعادت الى مكانها قرب النافذة.

شعرت جاين بالشفقة على إيمي لكنها عادت وركزت على نفسها هي فوضعت كأسها على الطاولة وأستعدت عقلياً لإستقبال هذه الزائرة التي نجحت سابقاً في تحطيم عالمها وخطفها من حلمها المجنون.

سيبيل رامبلنغ دخلت الغرفة بتأني، وثعلب من الفرو الأبيض يحيط بذراعيها، وأعترفت جاين ان هذه الإمرأة كانت جميلة جداً من الناحية الشكلية، شعرها الأسود الإبنوسي كان مرفوعاً بتأنق أعلى عنقها وثوبها الأخضر يظهر بوضوح جمال وتقاطيع جسدها الممشوق، بشرتها كانت صافية وحاجبيها السوداوين يظهران تحتهما عينين بنيتين واسعتين نظرتا بإستمتاع لتلقى نظرات إيمي المرحبة الفرحة

ثم اصبحتا متملكتين حين نظرتا الى جهة رودلف.

«رودي عزيزي» قالت وهي تقطع الغرفة اليه مادة ذراعيها نحوه وتابعت «كنت تتحاشاني مؤخراً وهذا تصرفاً سيئاً منك».

بينما أمسك رودلف بيديها وطبع قبلة سريعة على خدِّها نظرت إيمي بإتجاه جاين نظرة كأنها تقول لها: «لا يوجد أمامك أي فرصة» وأحست جاين برغبتها الغريبة في ان تثبت لهذه الفتاة العكس لكنها أبعدت الفكرة بسرعة عن رأسها.

«أقدم إعتذاري لك، سيبيل لكنني كنت مشغولاً جداً» شرح رودلف لها ثم سحب جاين بلطف مقرباً إياها منه وتابع: «هل تسمحين لي ان اقدم لك زوجتي؟ جاين، هذه سيبيل رامبلنغ».

«كيف حالك يا عزيزتي» قالت لها الفتاة وهي تبتسم قليلاً لكن لم يكن هناك أي دفء أو إستقبال في هاتين العينين الداكنتين اللتين كانتا تدرسان شكلها، وأرتفعت قليلاً حاجبيها بتعبير عن التسلية والرعب وتابعت: «رودي عزيزي، يجب ان تسمح لي بتقديم زوجتك الى مارغريت لتغيير مظهرها الخارجي، لا نستطيع ان نتركها تظهر هكذا وكأنها إحدى الأقارب الفقراء، هل نستطيع؟».

إرتفعت ذقن جاين بكبرياء في حين تمتمت إيمي بشيء ما، كانت هذه إهانة متعمدة لها ولكنها مغلفة بالعسل وكان من الواضح ان رودلف لن يهب لنجدتها فهو عوضاً عن ذلك كان ينظر الى سيبيل وعلى فمه إبتسامة وكأنه موافق ومستمتع بما قالته سيبيل، إرتفعت عينا جاين والتمعتا.

وقالت: «إذا كان الثوب الذي ترتديه هو كالأثواب التي

www.elromancia.com

تصنعها مارغريت هذه، فأنا إذن بالطبع لن أذهب اليها» قالت بنفس الصوت المعسول الذي تكلمت به سيبيل وتابعت: «انا لدي أذواق بسيطة آنسة رامبلنغ وأؤمن من ان الثوب الخارجي يجب ان لا يتفوق على الشخص الذي بداخله».

«سيبيل هي واحدة من أكثر النساء أناقة في جوهانسبورغ» تدخلت إيمي في الحديث.

«لا أشك بهذا» قالت جاين ببرودة دون ان تبعد نظرها عن المرأة الواقفة أمامها وأكملت: «لكن إذن انا واثقة انها تستطيع ان تدفع المصاريف اللازمة لتبقى هكذا، نحن لسنا جميعاً بنفس المستوى من الغنى».

إلتمعت عينا سيبيل بقوة لكن رودلف تدخل بنظرة غير موافقة وقال: «اظن انك أسأت الفهم، جاين».

قابلت نظرته بنفس الثقة الباردة وقالت: «على العكس، اظن اننا نفهم بعضنا تماماً» أكدت له واستدارت نحو سيبيل وتابعت: «السنا كذلك، آنسة رامبلنغ؟».

نظرة جاين كانت متحدية، اذا ارادت هذه المرأة ان تقوم بمعركة فلتعلم إذن انها ستكون مستعدة لها.

وضعت سيبيل يدها على ذراع رودلف والتمعت خواتمها الألماسية العديدة وحدقت به وقالت: «انها على حق رودي، نحن نفهم بعضنا البعض».

إيمي كرزمة من الغضب أسرعت نحو أخيها وقالت: «سيبيل كانت فقط تعرض...».

«إهدئي» قاطعها صوت رودلف أمراً إياها بالسكوت فصمتت وتراجعت فوراً.

«لا تأخذي الأمر بجدية إيمي عزيزتي» قالت سيبيل

وأبتعدت بنفسها عن رودلف الى أخته الشابة وتابعت: «جاين وأنا ناضجتين بما فيه الكفاية حتى نبتعد عن التكلم بكلمات أنانية وقاسية».

التوتر في الغرفة قطعه وصول الوالدة التي كانت ترتدي ثوباً ذهبياً يناسبها تماماً وقالت: «إذن فقد وصلتِ، سيبيل».

«سيدة برنك» قالت سيبيل وقد تحولت ملامحها بلمسة سحرية وهي تتجه نحو المرأة الأكبر سناً وأمسكت بيديها وقالت: «كان من اللطف منك ان تدعيني للعشاء».

«ظننت انه من الجيد ان نرحب بجاين بعشاء لطيف» قالت السيدة برنك بنعومة وتابعت وهي تقترب من جاين: «على فكرة لقد نام الصغير بسرعة، قالت دورا ان عليَّ طمأنتك».

أجبرت جاين نفسها على الإبتسام وقالت: «شكراً لك سيدة برنك».

«أترغبين بكأس شراب قبل العشاء والدتي؟» سأل رودلف.

«لا شكراً حبيبي، نستطيع ان نبدأ العشاء فوراً إذا رغبت».

«عزيزي انا أتطلع دائماً بشوق الى تناول العشاء هنا معكم» قالت سيبيل وهي تمسك ذراع رودلف وتمشي معه الى غرفة الطعام، وتابعت: «والدتك دائماً تحضر طعاماً شهياً».

«اظن ان الأشياء ستتغير من اليوم وصاعداً» قالت إيمي بجفاف ونظرت جاين اليها على انها فهمت ما تقصده.

وقالت جاين: «انا لا أنوي ان اغير أي شيء إيمي،

www.elromancia.com

وأنا لا أحلم في ان اتدخل في روتين حياتكم اليومي».

«مجرد وجودك هو تدخل» قالت إيمي بغضب وفظاظة.

«أعلم» قالت جاين بحزن: «لكن صدقيني كان أمراً لا مفر منه».

لم يكن هناك من مجال لإكمال نقاشهما لأنهما كانا قد وصلا الى غرفة الطعام ودارت نظرة جاين المعجبية بالغرفة وبالطاولة الخشبية الضخمة والكراسي البيضاء والستائر الطويلة التي تغطي النوافذ الكبيرة وكما بغرفة الجلوس فقد كان هناك مدخنة ضخمة في زاوية الغرفة لكن النار لم تكن تشتعل داخلها لأنهم كانوا في فصل الصيف.

كان العشاء من أصعب المواقف التي تعرضت لها جاين، فالسيدة برنك كانت صامتة معظم الوقت، ورودلف وسيبيل كانا غارقين في أحاديثهما وضحكاتهما وإيمي كانت تنظر بكل إعجاب بإتجاه سيبيل وحين تلتقي نظراتها بعيني جاين كانتا تبتعدان فوراً كأنها لا تريد تذكر وجودها معهم.

وهكذا فالعشاء كان كارثة وليس عشاء إستقبال، وحتى حين عادوا الى غرفة الجلوس أحست جاين بأنها كالمنبوذة بينهم، فسيبيل ورودلف ظلا على حالهما والسيدة برنك كانت تنظر نحوهما بدفء، وحتى حين كانت نظرات رودلف تلتقي نادراً بنظراتها كانت تقاطيعه جامدة ولم تستطع جاين ان تعرف بماذا كان يفكر، وحتى في إحدى المرات إسترسلا هو وسيبيل في ضحكتهما ومدت سيبيل ذراعيها حول رقبته وقبلته بشغف على شفتيه.

تظاهرت جاين بعدم إكتراثها بما حصل وأبقت نظرتها باردة وغير مهتمة لكنها أحست بغصة صغيرة في داخلها نكرتها فوراً، فما الذي يهمها من طريقة تصرفهما؟.

بعد ذهاب سيبيل أسرعت جاين بالإعتذار وأنسحبت الى غرفتها، كان آندرو غارقاً بالنوم في سريره في غرفة الحضانة، انه الوحيد ممن حوله لا يعرف بالتغيير الذي حصل في حياته. انه الوحيد الذي يضيء حياتها ويشكل كل السعادة لها، وأنحنت بهدوء وطبعت قبلة حنونة على خده، انه سبب وجودها وقد عانت الكثير لتعتني به لكنها لم تندم على هذا ولا للحظة واحدة.

كان هناك صوت خطى وراءها وتصلبت فوراً عندما عرفت انه رودلف، وقف وراءها وأخذ يحدق بآندرو لعدة لحظات قبل ان يلتقي بنظرتها... هل تخيلت نظرة الألم التي التمعت في عينيه؟ هل كان هذا الندم، أو حقيقة ان هذا الطفل قد خرّب مخططاته وفرص سعادته مع سيبيل رامبلنغ؟ تساءلت جاين بسخرية.

«هذه السهرة لم تكن ناجحة تماماً» قال معلقاً وهو يتبعها الى غرفتها.

«اعتقد انك تلومني لهذا!» ردت بسرعة وهي تستدير لتواجهه.

«كان بإمكانك القيام بالكثير لتخففي من التوتر».

«بالسماح لسيبيل رامبلنغ بالوطوء عليّ؟».

التمعت عيناه بغضب: «كان قصدها الخير، لكنك فوراً قفزت الى الإستنتاج السيء».

بدأ الغضب يلمع داخلها: «حاولت جعلي أشعر بعدم الراحة، لكني لا أشعر بالخجل مما انا عليه رودلف، قد أكون أتيت من بيت فقير، لكن ما وصلت اليه وصلت اليه بغرق جبيني وليس بقضائي لوقتي بين أفراد المجتمع المخملي بينما والداي يؤمنان لي حساب البنك الذي لا

ينقص أبداً».

ملاحظاتها كانت لا تغتفر عرفت هذا لكنها لم تكن قادرة على منع نفسها من التهجم عليه حتى ولو بطريقة غير مباشرة.

«هل ألحظ بعض الحسد في كلامك؟».

«انا لن أحسد أبداً على الطريقة الكسولة التافهة التي يحياها كسيبيل رامبلنغ» قالت بسرعة وهي تشعر بالدهشة مما فهمه من كلامها وأكملت: «الثروة لم تؤثر عليّ أبداً طوال حياتي، وأنت تعرف هذا».

«هل أعرف حقاً؟» تمتم وهو يحدق بها للحظة قبل ان يغير الموضوع، ويتابع: «انا لم آت الى هنا لأتجادل معك، بل لأقول لك ألا تكترثي كثيراً لإيمي، فهي صغيرة وإنطباعية ولطالما كانت تضع سيبيل كالمثال الأعلى».

ضوء المصباح الخافت كان يلتمع على شعرها وشعرت بعينيه عليها وكانت مدركة بقوة لتأثير وجوده قربها على مشاعرها، ليس مجدداً، قالت لنفسها، لن يكون مجدداً أبداً.

«ليس عليك ان تخلق الأعذار لأختك رودلف، فأنا مدركة تماماً انها كانت تفضل لك الزواج من الآنسة رامبلنغ، من المؤسف ان شعورك بالواجب قد وجه الأمور بطريقة أخرى».

التمعت عيناه بغضب مرة ثانية وقال: «شعوري بالواجب لن يأتي أبداً بيني وبين سيبيل».

«لم أفكر للحظة واحدة انه سيفعل، لكنني غير مهتمة شخصياً» قالت وهي تشعر بالدهشة من الألم الذي كانت تحسه داخلها، وتابعت ببرود: «إذا لم يكن عندك مانعاً لقد

كان يومنا يوم طويل ومتعب وأريد ان أخلد للفراش».

«إفعلي هذا» قال بقسوة «ولربما تمكنا من التحدث بمنطقية أكثر في الصباح حين يكون مزاجك قد برد».

أغلق الباب وراءه وظلت وحيدة أخيراً، لكن قلقها إزداد فها هي قد عادت مجدداً جاين الخائفة، الغير واثقة من نفسها والآن لوحدها، كانت دخيلة على حياة رودلف وعلى بيته ولكن لم يكن بيدها أي شيء لتغيير هذا الواقع سوى تشبثها بكرامتها وكبريائها.

تقابلت جاين مع رودلف على فطور الصباح ولكن قبل ان يتمكن رودلف من التحدث وصلت إيمي فظل صامتاً، تبادل الأخ بعض الكلمات والجافة وقطب رودلف حاجبيه فيما ترقرقت الدموع داخل عيني إيمي، وتساءلت جاين وهي تحتسي قهوتها عن سبب حزن هذه الفتاة وتعاسته، وهل لوصولها هي الى البيت علاقة في هذا؟.

«هل تسمحين بكلمتين على إنفراد؟» سألها رودلف حين نهضت مستعدة للمغادرة فأحنت جاين رأسها موافقة ومشت أمامه.

لمسها بخفة على ذراعها وأرشدها الى أحد الأبواب وقال: «مكتبي من هنا».

فتح الباب وتنحى لتدخل وتفاجأت هي للمنظر الغير عادي، لغرفة المكتب فهي كانت عبارة عن العديد من الصور المنتشرة في كل مكان وكان هناك كرسيين موضوعين أمام الموقدة وخزانة صغيرة تمتلىء بكتب قصيبة وأخرى حول الإقتصاد، وكان هناك طاولة خشبية حولها كرسي وكان هناك نافذتين في الغرفة لكنها كانت في الجهة الغير مناسبة ومن الواضح ان الشمس لا تدخل اليها مطلقاً.

جلست جاين على الكرسي الذي أشار إليه وأنتظرت بإضطراب وصوله الى كرسيه على الجهة المقابلة للطاولة وحين جلس، سألته: «لماذا أردت رؤيتي؟».

«لقد إفتتحت لك حساباً في المصرف، وسأضع فيه مبلغاً كل شهر» قال بإختصار وسجل لها رقماف خطف منها أنفاسها وتابع: «وإذا اعتزت مبلغاً أكبر فأرجو منك ان تخبريني».

«أذواقي ليست مكلفة كثيراً».

«هل هذا صحيح؟» قال بتهكم «آمل على كل حال ان تدعيني أعرف في حال أحتجت زيادة في المبلغ».

كلامه أدهشها قليلاً لكنها لم تفكر بالأمر كثيراً.

«هل هذا نتيجة لملاحظة سبيل الليلة الماضية حول مستوى ثيابي؟».

«إذا أحببت ان تسألي مدير المصرف فستجدين انني قد إفتتحته لك بعد يومين من زواجنا» وحدقت العينان بها ببرودة سببت لها الإرتعاش وتابع: «فيما يتعلق بملابسك فأنا لا يهمني سواء أشتريتهم من محل على الشارع أو أرسلت في طلبهم من باريس، المال الموضوع بإسمك هو ملكك وتستطيعين ان تصرفيه بالطريقة التي تريدينها».

«كان بإستطاعتك ان تعيش حياتك بكل حرية» قالت بتهكم «لم يكن عليك الزواج مني، كما تعلم».

- ٥ -

رمى القلم من يده وتطايرت الأوراق من أمامه حين أستدار وأتكىء على المكتب أمامها وقال بغضب: «ان لك ذاكرة سيئة جاين فقد أخبرتك مرة ان لا شيء ولا أي شخص يجبرني على القيام بعمل لا أريده».

ذكرى تلك الأمسية لا تزال حيَّة داخلها، وقد أحست بالقشعريرة من قربه منها ولم تدرك كيف تسيطر على عواطفها المضطربة، جاين تلك قد ولَّت الى الأبد قالت لنفسها.

سألته: «هل تقصد انك أردت فعلاً ان تتزوجني؟ بالرغم من واقع انني لم أعد أهتم؟».

لمحة من لمعان الماضي ظهر على وجهه وهو ينظر اليها وقال: «يجب عليَّ أولاً ان اكتشف إذا كان هناك حقاً عدم

www.elromancia.com

إهتمام كامل أو انه مجرد قناع كاذب تخفين نفسك الحقيقية وراءه».

«مجهودك سيكون عبثاً وعندما تكتشف هذا... ماذا سيحدث؟».

هز كتفيه بعدم إكتراث وقال: «هناك طرق عديدة يستطيع الرجل ان يمتع نفسه به حين يكون عنده زوجة غير مكترثة».

«الطلاق؟» سألته بأمله.

ابتسم بإستهزاء وقال: «هذا موضوع لن نتحدث به الآن، فقد مرَّ على زواجنا ما يقارب الشهر فقط».

«هل تهم المدَّة التي استغرقها زواجنا؟».

«انا لا استسلم بهذه السهولة».

تحرك قلبها بعدم راحة فيما رفعت نظرها لتحدق به وتقول: «لا تحاول ان تقول لي انك ستحاول إنجاح زواجنا».

«نجاح منطقي، نعم ومع الوقت قد تتمكني من الإبتسام مجدداً... هل نسيت الإبتسام جاين؟».

«هل انت تحاول إعادة تشكلي شخصيتي؟ كبنائك قلعة من الرمال كنت قد حطمتها بنفسك في فورة عاطفة؟» سألته بإشمئزاز «هل هذا ما يمليه عليك ضميرك؟».

لم تكن مستعدة لشعلة الغضب التي تأججت في عينيه وقوة وصلابة يديه التي أمسكتا بها من خصرها وأجبرتاها على النهوض وقال: «انت آخر واحدة تتكلم عن الضمير وتوجيهاته، اين كان ضميرك حين أخفيت عني انني والد طفلك وتركتني جاهلاً للحقيقة لمدة سنتين وكانت هذه المدة ستستمر لو لم أمر عليك بالصدفة وأعرف هناك

الحقيقة التي أخفيتها عليَّ عمداً».

تسلحت ببرودها المصطنع وقالت بعد ان تركها: «لقد فعلت ما هو الأفضل بالنسبة لكلينا معاً».

«يجب عليَّ الآن ان أخضع لما تظنه مناسباً لي إمرأة، وأيضاً يا ليت ظنها بي هو حقيقي».

«إذا انتهيت فأنا...».

«كلا لم أنتهي بعد» قاطعها بقوة «انت ترمين اتهاماتك كيفما نطقت وحين تواجهك إحدى الإتهامات تسرعين بالهرب لقد أخبرتك سابقاً اننا في هذا الأمر سوياً، فدعينا لا نقتل نفسنا في هذه العملية، انا مستعد لملاقاتك في منتصف الطريق دائماً لكنني لن أنحي وأركع لشخص عنيد ومتصلب... وشيء آخر» قال وهو يحاول إطفاء غضبه «إذا أردت دعمي لك أمام العائلة والأصدقاء فإذن عليك ان تكوني جديرة وتستحقي هذا وذلك بدفعك هذا الحائط الذي على كتفيك بعيداً وإلا أرتفع ودفنك تحت ثقله».

الحقيقة لسعتها كالسوط لكنها قالت ببرود مصطنع: «هل هناك شيء آخر؟».

«كلا».

إستدارت جاين بصمت لتغادر لكن حين وضعت يدها على مقبض الباب سمعته يقول: «عدا انني اظن انك كنت رائعة على العشاء البارحة وأنا لا أحب ان اراك في أثواب مارغريت ايضاً، إذا اردت ان تجددي أثوابك فبإمكانك الذهاب الى المحلات التي تريدين وإنتقاء ما يعجبك من الثياب التي تناسب جسدك الرشيق».

إنذهلت تماماً لتبدل كلامه ونطقه بهذه الكلمات ولم تستطع إلا ان تقف دون حراك وأن تحدق به بإرتباك.

«لا يوجد عند إيمي محاضرات هذا الصباح» تابع وكأنه لم يلحظ تأثير كلامه الأخير عليها: «وقد تدبرت ان تأخذك الى المدينة لشراء ما تريدينه وستأخذك الى المحلات التي تشتري منها هي ووالدتي ثيابهما».

هل هذا كان سبب دموع إيمي على الفطور؟ تساءلت جاين بسرعة وهي تتمتم شكرها.

«هناك شيء آخر» أكمل بإختصار: «حالما تتعرفين على الطرقات سوف أبتاع لك سيارة خاصة بك، انت تملكين رخصة قيادة اليس كذلك؟».

«نعم، لكن...».

«فقد سوي الأمر إذن».

«كلا، لم يسوَّى» قالت بعناد وهي تمسك أنفاسها وتابعت «إذا اردت الذهاب الى أي مكان فسأستقل الباص».

نظر رودلف اليها بغير تصديق وقال: «هل افهم من هذا انك ترفضين هديتي؟».

تصلبت يد جاين على المقبض وقالت: «نعم، انا افعل».

«انت تدهشينني» ضحك بإستهزاء «لقد ظننت انك ستطيرين من الفرح لفرصة إمتلاكك سيارتك الخاصة».

قطبت جاين وأحست بالخطر من فهمها لملاحظته مع انها لم تستطع ان تفهم قصده.

«افضل ألا تشتري لي أشياء باهظة الثمن كهدايا» قالت قالت ببطء وهي تنتقي كلماتها بعناية وأكملت: «انا اقدّر لك الفكرة لكنها غير ضرورية فعلاً».

وساد الصمت بينهما وتوترت أعصاب جاين لخوفها من

ان تكون قد أخطأت في رفض كرم رودلف بهذه الطريقة لأن تعابير وجهه كانت متصلبة وغير واعدة.

«ما تريدين» قال أخيراً قاطعاً الصمت: «لكني اتوقع منك ان تستعملي المال من الحساب الذي بإسمك».

طأطأت برأسها دون ان تواجه نظرته وسألته: «هناك شيء أود ان أسألك إياه... تلك الألعاب في غرفة الحضانة... هل انت من أشتراها؟».

«لقد طلبت من إيمي ان تؤدي لي هذه الخدمة».

«شكراً، كان هذا لطفاً منك» وأمسكت شفتيها المرتجفتين بين أسنانها وفتحت الباب.

«هل تجدين أمر تقبلك الأشياء مني صعباً؟».

«انه شيء يجب عليَّ التعود عليه» قالت بسرعة وغادرت الغرفة قبل ان تخونها دموعها وتتساقط على وجهها أمامه.

الذهاب الى المدينة مع إيمي كان أمراً ضاغطاً على أعصاب جاين، فرغم ان إيمي كانت تتصرف بأدب معها لكنها أظهرت بوضوح انها لا ترغب في توطيد علاقتهما معاً وأستغنت جاين أخيراً عن محاولاتها التقرب من الفتاة ولاذت بالصمت.

نظرات إيمي المزدرية كانت تلاحق كل حركة لجاين وهي تحاول إنتقاء الملابس التي تريد لكن جاين تدبرت أمر تجاهلها لهذا وأنتقت ما رأته مناسباً من الثياب الرسمية للعشاء والأخرى العملية والجميلة ثم دفعت مبلغاً كبيراً من المال ثمناً لما أنتقت وحبست أنفاسها وهي تكتب المبلغ على دفتر شيكاتها فهي لم يسبق لها ان أشترت ثياباً غالية هكذا من قبل لكنها تظاهرت بالطبيعية وحملت الأكياس

www.elromancia.com

وخرجت كأنها كانت معتادة على هذا الشيء.

أرادت ان تقترح توقفهما لشرب الشاي في أحد الأمكنة لكن تقطيبة إيمي وصمتها التام منعاها من هذا الإقتراح فعادا الى البيت بصمت كامل، ساعدتها إيمي في إنزال بعض الأكياس من السيارة وحين عادت جاين لتشكرها وجدتها قد دخلت السيارة وأغلقت خلفها الباب بعنف، فتأذت جاين من تصرفها هذا، ولكن دورا وصلت وأحضرت لها آندرو فنظرت اليه بحب وتناست ألمها وهي تداعب الملاك الجميل الضاحك بين ذراعيها.

قبل ان تأخذ آندرو الى الأسفل لتطعمه الغداء ساعدتها دورا على توضيب الثياب الجديدة في الخزانة وأبدت إعجابها بالأثواب الجميلة وبألوانها الساحرة وبعد هذا نزلت جاين الى الطابق السفلي.

كان آندرو قد أستسلم للنوم ودورا ذهبت لتكوي بعض الثياب، إيمي كانت في الجامعة تحضر بعض المحاضرات المسائية والسيدة برنك تستريح في غرفتها فكان أمام جاين حوالي الساعتين تقضيهما لوحدها قبل ان يستيقظ آندرو، فقررت ان تقوم بجولة على جناح البيت الغربي العلوي، أي غرف النوم في الطابق الثاني وبما ان غرفة إيمي والسيدة برنك كانتا في الجناح الشرقي فلن يكون عليها إذن إزعاجهما أو التطفل عليهما في جولتها هذه.

كانت هناك غرفة في العلية لطالما أثارت فضول وإستفسار جاين وبعد ان تجولت على كل الغرف الأخر والتي هي بالإضافة الى جناح رودلف مكوّنة من ثلاث غرف نوم، لكل غرفة حمامها الخاص وهذه الغرف جميعاً كانت مخصصة للضيوف وفكرت جاين وهي تنظر اليهما

بحجمهما وترتيبهما كيف ان كل غرفة قد تكون بيتاً كاملاً لعائلة صغيرة.

وأخيراً إتجهت جاين الى غرفة العلية الغامضة ووجدت مفتاحها معلق الى جانب الباب، فأمسكته وفتحت به الباب ولا تعرف لماذا شعرت بالإضطراب الشديد لدى دخولها الى الغرفة، لم تكن تعرف ماذا توقعت ان ترى في الداخل لكن ما رأته كان جميلاً، كانت الستائر السميكة منسدلة على النوافذ وكان من الواضح انهم ينظفون الغرفة يومياً فهي لم تر غبار على أي شيء حولها، كان في الغرفة سريراً ضخماً غطاءه واضح القِدم وغطاء الكروشيه الموجود على الطاولة الضخمة الموجودة وسط الغرفة كان مصفراً بفعل الزمن وكان هناك كرسيين كبيرين حول الطاولة عليهما العديد من المساند الصغيرة الملونة، كان كل شيء يبعث على الراحة والبساطة في هذه الغرفة قالت جاين لنفسها وهي تتجه لتفتح الستائر وتدع النور يدخل الى هذه الغرفة.

وحين فعلت وإستدارت وقفت مذهولة حين رأت بجانب الباب على الحائط صورة كبيرة لسيدة ترتدي ثوباً أبيضاً طويلاً... لم يكن الثوب هو الذي سبب ذهول جاين بل... العينين، تلك العينين الرماديتين اللتين كانتا تنظران اليها بحزن، نعم بحزن... لقد كان هناك حزن داخلهما وخيل لجاين ان هذه العينين كانتا تنظران اليها بتوسل، بدفء لا تستطيع جاين شرحه.

وتساءلت جاين هذه المرأة لم تكن غريبة عنها لقد سبق ورأتها من قبل ولكن اين... اين؟ ولماذا صورتها هذه ليست معلقة تحت مع صور بقية أسلاف رودلف؟ هل هي غريبة عن عائلة برنك؟ وحدقت بالعينين اللتين كانتا

تبتسمان لها ولكن الحزن داخلهما، سأعرف سر هذا الحزن، نعم سأعرف سبب هذا الحزن حتى ولو كان الأمر متأخراً مئة سنة.

وطوال المساء ظلت صورة هذه المرأة تسكن عقل جاين، هذه الصورة المعزولة في العلّية، لقد أحست جاين بشيء ما يربط بينها وبين هذه المرأة، كأن تلك اليدين الناعمتين المرسومتين في تلك الصورة قد إمتدتا ولامستا روحها وتوسلاتها، لكن توسّلاتها لماذا؟ للفهم؟ للعطف؟ أو ربما للحب؟.

غمرتها هذه الأسئلة وهي تأخذ حمامها ثم خرجت وأرتدت الثوب الفيروزي الطويل الذي أشترته في الصباح وتركت شعرها منسدلاً على كتفيها بعد ان مشطته جيداً، حتى التمعت أواخر أطرافه ونظرت الى نفسها في المرآة بعد ان أضافت بعض المساحيق الى وجهها وشفتيها، لقد كان منظرها يبدو جميلاً وجذاباً وأحست بالثقة وهي تنزل الى غرفة الطعام، ووجدت نفسها تحدق بإحدى الصور المعلقة فوق السلالم ورأت الشبه الكبير بين هذه الصورة وبين رودلف عدا ان هذا الرجل كان له شارباً صغيراً فوق فمه، ثم تابعت طريقها الى غرفة الجلوس.

بدون وجود سيبيل المزعج في الغرفة كان الجو هادئاً ومريحاً أكثر، السيدة برنك بدت أقل تعب وإيمي كانت تحادثها بأدب مع ان جاين كانت تدرك ان الكلام لم يكن يصدر من قلبها، ولعدة مرات كانت تلتقط نظرات رودلف الغامضة المركزة عليها ولكنه كان يغير نظره فوراً حين تقابل نظراته.

كانوا سيشربون القهوة في غرفة الجلوس وهناك كما

أصبحت جاين تعرف كانوا يتحدثون بما واجههم في النهار، لم تشارك جاين بالمحادثات لكنها لاحظت كلام إيمي المتحمس والمفرح عن دروسها في الجامعة.

وتذكرت جاين بألم سنواتها مع اليسون في الجامعة، السعادة والراحة بالرغم من الدروس الكثيرة والجهد المركز وتذكرت كيف كانت تتمنى ان تمر السنوات بسرعة وتتخرج من الجامعة وحين فعلت تمنت لو تعود ثانية الى هذا الحرم.

إستأذنت السيدة برنك بعد قليل وصعدت الى غرفتها وحذت جاين حذوها بعد وقت قصير وتفاجأت حين وجدت رودلف يمشي بجانبها حين وصلت الى السلالم، توقفت قليلاً أمام صورة الرجل الذي يشبه رودلف.

«انه جدي» قال لها رودلف موضحاً.

«ان الشبه كبير بينكما».

«نعم هذا ما يقوله الجميع لي».

ثم تابعا سيرهما بصمت قطعه رودلف بعد لحظات حين قال: «هل تسمحين لي بالدخول لرؤية آندرو؟».

طأطأت جاين رأسها موافقة وقادته الى الغرفة وقلبها ينبض بإضطراب وراقبته بدهشة وهو يرفع الغطاء ويمسك يد آندرو الصغيرة بين أصابعه القوية ويرفعها الى فمه.

«اتمنى لو كان عندي وقت اكثر لأقضيه معه» همس ويده لا تزال ممسكة بيد آندرو: «الأطفال يكبرون بسرعة وهناك وقت قصير لتراقبيهم بمتعة وهم يتنقلون من مرحلة الى أخرى» مذهولة بالتغير الذي طرأ على ملامحه لم تستطع جاين إلا ان تظل صامتة وهي تحدق به، لقد كان هذا وجه رودلف الذي أحبته مرّة... لكنها خُدعت بصدقه ذكرت

www.elromancia.com

نفسها، والدفء الذائب حول قلبها كان يؤلمها بشدة، لن تقع في شرك غرامه مرة ثانية فقط ليعود فيرميها من أجل صاحبة الصوت المبحوح، سيبيل رامبلنغ، التي تظهر وبكل وضوح إمتلاكها لقلبه.

غطى الطفل النائم ثم تبعها الى غرفتها.

«لقد اتصلت بوالديك من المكتب هذا الصباح، لقد شعرت انه يجب ان يعرفوا انك قد وصلت بخير».

«هذا لم يكن ضرورياً» أجابته بتصلب.

«أعلم انك قلت انك ستكتبين رسالة لهم، لكني شعرت ان من واجبي ان أطمأنهم على وصولك وآندرو بالسلامة».

«واجبك؟» صرخت به بقوة: «كم تجعل الأمر يبدو مثالياً وجيداً، انت دائماً واعي تماماً لواجبك وهذا يثير إشمئزازي».

«جاين» قال وأمسكت أصابعه بقوة بذراعيها.

«لا تلمسني!» صرخت وأبعدت يديه عنها لكن بعد فوات الأوان، فقد مر بها ذلك التيار القوي الذي يجري في جسدها كلما لمسها وشعرت بموجة من الضعف، إحتقرتها، كان الصمت الرهيب قد سيطر على الغرفة بينهما.

«هل سنصبح عدوّين، جاين؟» سألها أخيراً بنبرة غير مصدقة: «هل هذا ما تريدين؟».

تماسكت فوراً وقالت له: «اتمنى لو انك لم تدخل حياتي ثانية أبداً».

التمعت عيناه بغضب وقال: «لكنني في حياتك الآن جاين وأنوي البقاء فيها، إذن إذا كانت الحرب هي ما تريدين فأسمحي لي بالقيام بالهجوم الأول».

وبلمحة بصر اقترب منها وعانقها بقوة وقبلها في فمها بقسوة وتملك، لم يكن بإستطاعتها الهروب من الذراعين المحيطتين بها ولكنها أبقت نفسها غير متجاوبة مع قبلته وهذا كان يتطلب منها كل أونصة في إرادتها ومقاومتها.

وأخيراً بعد ان ابتعد عنها لفترة اعتقدتها دهر تركها وهي تشعر بالرعب الهائل فترنحت وأتكأت على الحائط وراءها، فلو انه استمر للحظة واحدة إضافية فقط لأستسلمت له كلياً ولسببت لنفسها الإذلال والمهانة، تدافعت الدموع الغاضبة الى عينيها وخفضت رأسها فنزل شعرها ومنعه من رؤية وجهها ودموعها.

«ما كان يجب ان افعل هذا جاين» قال بصعوبة «لكني لا اندم على ما حصل ولو للحظة، ضمك ثانية بين ذراعي كان كالجنة والنار وسأخاطر بأي شيء لأعيد هذا الأمر ثانية».

رفعت عينيها بحدة اليه وبشرتها شاحبة وقالت: «إذهب وأتركني وحدي... انا اكرهك».

«اعرف هذا» قال وهو يسجن نظرتها بسيطرة واضحة وتابع: «وأنا أكره نفسي كذلك لكنني تعلمت ان أعيش مع أخطائي لا ان أبقى ساكناً في الأخطاء التي ارتكبتها في الماضي، المستقبل هو يهمني وأنت جزء من هذا المستقبل سواء أحببت أم لا، آندرو إبني وأنت زوجتي، وأنا أنوي ان أحطم مقاومتك حتى ولو إستغرقني هذا كل حياتي فتقبلي تحذيري جاين».

الصمت الذي سيطر على المكان بعد خروجه كان يقطعه فقط صوت لهاثها، المضطرب حدقت بقوة بخيالها في المرآة وبعينيها الغاضتين وخديها المتوردين.

www.elromancia.com

«انت ايتها البلهاء» قالت مخاطبة نفسها: «ظننت انك ذكية وقادرة على الإقفال على عواطفك في بحر النسيان وفي إخبار وإقناع نفسك انك تكرهينه في حين ان قبلة واحدة منه أوضحت لك انك كنت تخدعين نفسك طوال الوقت، انت لست إنسانة حقودة، ليس انت إلا طفلة مرتبكة تتهجمين على الشخص الذي سبب لك الألم، وتضعفين عند أول بادرة صداقة منه... توقفي عن خداع نفسك وأعترفي انك لا تزالي تحبينه».

تنهدت جاين بحرقة وإبتعدت عن خيالها في المرآة، كان هذا مستحيلاً؟ من غير الممكن انها لا تزال تحبه بعد كل العذابات التي سببها لها! هل هذا ممكن؟ كانت لا تزال تشعر بضغط ذراعيه وشفتيه وتسارع دقات قلبها أعطتها الجواب الصحيح.

«آه يا إلهي ماذا سأفعل؟» ناحت بصوت منخفض وهي تدفن وجهها بين يديها وتتمنى لو انها كانت بعيدة الأف الأميال عن هذا المكان.

«انا أنوي ان أحطم مقاومتك حتى ولو إستغرقني هذا كل حياتي» كان تحذيره، هل كان يحاول إفهامها انه لا يزال يحبها أم قال هذا فقط لأنه يجدها بعيدة المنال؟ لو انها سمحت لنفسها بالوقوع في حبه ثانية فسوف يسأم منها بعد حين ويعود ثانية الى سيبيل، قالت جاين لنفسها.

لقد احبته بجنون فيما مضى.. وقد سمح لها ان تظن انه كان كذلك، يبادلها هذا الشعور بينما كان يعرف بينه وبينه نفسه ان التفاهم بينه وبين سيبيل رامبلنغ كان رابطاً قوياً كالزواج نفسه، أبقى هذه المعلومة لنفسه وهي سلمته نفسها ببراءة في لحظة عاطفة مجنونة، آندرو كان التذكار

الدائم لها عن كبوتها تلك، والسبب الذي اجبر رودلف على الزواج منها، لكن هل هي تتوقع ان ينتهي هذا الزواج بأي شيء عدا الكارثة؟.

سيبيل رامبلنغ لا تزال جزءاً من حياته ولم تكن تخفي أي جهداً في إدعائها بحقها في هذا ورودلف نفسه قد أخبرها مرة ان لا شيء يأتي بينه وبين سيبيل، فلماذا إذن تثق به وتعطيه فرصة ثانية؟.

كلا! يجب ان تبقي الحواجز بينها وبينه حتى تصبح واثقة مئة بالمئة منه وعندها فقط تستطيع ان تقرر، تريد منه برهاناً على صدقه وحبه قبل ان تقدم له قلبها للمرة الثانية.

وأدركت لاحقاً انه مهما كانت حجج إقناعه قوية لجعلها تتزوجه فما كانت لتوافق لولا انها لا تزال مهتمة به، أرادت ان تكون زوجته، أرادت ان تنتمي له، وكل احتجاجاتها كانت مجرد حائط تخفي وراءه مشاعرها الحقيقية، كانت غبية في عدم إدراكها لهذا سابقاً، كانت مدركة ايضاً للمصاعب التي ستواجهها، من عدم تقبل عائلته لها، من تصميم سيبيل على البقاء بينهم كما فعلت تماماً قبل سنتين، جاين كانت متزوجة من رودلف نعم، لكن هل بإستطاعتها ان تحارب منافسة قوية مثل سيبيل؟.

نهاية الأسبوع الأولى لها كفرد من عائلة برنك لم تكن ناجحة تماماً، فهي أبقت نفسها وحيدة معظم الأحيان ولم تكن راغبة في إدخال نفسها حيث غير مرغوب بها، حاول رودلف مراراً إدخالها في دائرة العائلة لكن نظرات إيمي الغير موافقة منعتها من الإختلاط أكثر بهم وكانت تستعمل آندرو كعذر لتنسحب منهم حين يجتمعون جميعاً سوياً.

كانت تلعب مع آندرو الزاحف على الأرض حين

www.elromancia.com

وصلت سيبيل في صباح يوم أحد، راقبتها جاين بصمت وهي تنزل ساقيها الطويلتين ثم جسدها الرشيق من السيارة الحمراء المكشوفة، لم تستطع جاين إلا ان تعجب بثياب وهيئة هذه المرأة الجذابة وبخطواتها الواثقة، كانت تبدو منتعشة وبرّاقة بالرغم من الحر الشديد الذي كان في الجو والذي كان يجعل ثوب جاين يلتصق بجسدها من الرطوبة والحرارة.

«انا سعيدة لهذه الفرصة التي سأتمكن بها من التكلم معك على إنفراد» قالت بعد ان ألقت التحية بصوتها العذب المبحوح وتابعت: «انت تعرفين طبعاً ان هذا الزواج لن يستمر طويلاً».

انذهلت جاين في البداية من سرعة هجومها لكنها تماسكت فوراً وقالت: «اظن انك ستتحدثين ثانية عن التفاهم بينك وبين رودلف».

«بالضبط».

- ٦ -

وبدأ الغضب يغلي قليلاً قليلاً داخل جاين حين كانت عينا سيبيل تنظران اليها وتقيمانها ببرود وقالت: «إخبريني، آنسة رامبلنغ، اذا كان زواجك أمراً مؤكداً منذ سنتين، فلماذا لم يتم حتى الآن؟».

«فتاتي العزيزة، بعد وفاة والد رودلف كانت أشغال العائلة في حالة الإنهيار، وقد أستغرق رودي العديد من أشهر العمل المتواصل ليلاً ونهاراً حتى أستطاع ان يعيد الإزدهار الى هذه الأعمال والأشغال كما هي الآن، وطبيعي لم يكن من مجال للتحدث عن الزواج الى حين انتهاءه من تثبيت نجاحه في إعادة الحياة للشركة مجدداً».

«والآن وبعد ان انتهت الأزمة عدت انا لأكون الفراشة

www.elromancia.com

الحائمة حول الضوء».

«إذا اردت ان تعبري عن ذلك هكذا... فنعم».

عضت جاين شفتها لتسكت الكلمات الغاضبة التي تدافعت الى شفتيها، لم يكن من المفيد ان تفقد رباطة جأشها أمام هذه المرأة فهي بالطبع ستحوِّل هذا الى مصلحتها فكرت جاين وهي تضبط أعصابها.

«ما الذي يجعلك تعتقدين ان زواجنا لن يدوم طويلاً؟».

«انت لا تملكين الخبرة أو الخلفية الإجتماعية المناسبة لتختفظي برجل مثل رودي» جاءها الجواب الواثق: «ولفترة قد يحاول إنجاح هذا الزواج من أجل الطفل طبعاً، لكنه لن يأخذ وقتاً طويلاً حتى يدرك ان سعادته هي فقط معي انا، دائماً كان الوضع هكذا، ودائماً سيبقى هكذا».

شعرت جاين بفراغ هائل داخلها بعد ان تلفظت سيبيل بهذه الكلمات وغادرت لتدخل الى البيت، لقد كان ما قالته صحيحاً فرودلف قد تزوجها من اجل آندرو، بدافع من شعوره بالواجب، وسيحاول إنجاح هذا الزواج لنفس هذا السبب ولكن وقلبه في مكان آخر زواجهما لن ينجح أبداً دون هذا الأساس الرئيسي.

أخذ آندرو يعبث بأطراف ثوبها فنظرت الى عينيه الضاحكة التي تذكرها دائماً بعيني رودلف وتجمعت الدموع في عينيها وهي تحمله وترفعه وتشده الى قلبها، لحسن الحظ انه لا يعرف الدور الهائل الذي يلعبه في هذا الصراع العاطفي، فهو كان يتمتم بالكلمات التي يعرفها بفرح ويحيط بيده الصغيرتين عنق جاين، بحب وسعادة.

بقيت سيبيل متعمدة لفترة الغداء فكان من الطبيعي ان تدعوها العائلة للبقاء وتناول الطعام معهم، وجلست في

مقعدها قرب رودلف وأخذت تتحدث معه بصوت هامس لتوحي بالعلاقة الحميمة بينهما والتي جعلت جاين تشعر بغصة في حلقها، حاولت تركيز انتباهها على آندرو لكنها لم تستطع إلا النظر بين الحين والآخر الى ذلك الرأس المتعالي القريب جداً من رأس سيبيل، كان يضحك بنعومة على شيء كانت تقوله له، والغيرة التمعت دون وعي في عيني جاين، وشعرت وكأن سكيناً حاداً يمزق فؤادها.

«المزيد من الشاي جاين؟» سألتها السيدة برنك بنعومة بعد ان لاحظت نظرة الألم في عينيها وتابعت: «مرري لي فنجانك يا عزيزتي، سيكون من اللطيف منك ان تشاركيني بشرب فنجان آخر لأنني عادة انا الوحيدة التي تشرب فنجانين من الشاي».

كانت هذه أول بادرة صداقة ولطف تصدر من والدة رودلف نحوها فأجبرت جاين نفسها على الإبتسام لها وشعرت بدفء في قلبها لهذه المرأة ذات الشعر الرمادي، وأرتجفت يدها قليلاً وهي تتناول الفنجان من السيدة برنك.

خلال هذه اللحظات القليلة إبتعد فيها تركيزها عن آندرو كان هذا الأخير قد تسلل ووصل الى مكان إيمي التي كانت تجلس بجانب والدتها، وتجمدت جاين حين وجدته يتكيء على ركبتي إيمي وينظر عالياً بإبتسامته الضاحكة، وحبست أنفاسها حين رأت ان الفتاة الشابة قد نظرت اليها بدهشة ثم حملت آندرو ووضعته على حضنها وراقبتهما جاين، ببعض المتعة وهي ترى حركات آندرو البريئة في إثارة حب وتعاطف إيمي ببراءة وروعة طفولته وحركاته المحببة كاسراً الحاجز بينه وبين مشاعر الفتاة.

استرخت جاين للحظة ولكن ليس لفترة طويلة، فقد

التحمت نظرتها بنظرة رودلف وللحظة عادت المشاعر المنسية لتطوف على السطح هازئة منها بقوة. لن تقع في شرك إعطائه حبها بسهولة، أجبرت نفسها على القول، والسبب في هذا التمنع كان يجلس قربها وعينيه الداكنتين تنظران اليها بإنتصار وذراعها تحيط بتملك بذراعه، ورودلف لم يقوم بأي محاولة ليبعد نفسه عنها ثم أخيرا حول نظره مجدداً الى سيبيل.

خفت ضوء الشمس في عيني جاين وأرتعشت لا إرادياً، كم هي بلهاء قالت لنفسها لتسمح له بالتأثير عليها بهذه الطريقة، لقد تزوجها لشعوره بالواجب لكنها لن تدعه يستحوذ على قلبها كذلك، عندما يكتشف رودلف خطأه ويسعى للراحة عن سيبيل ستخرج جاين من هذا الأمر دون أذى بل بحكمة أكبر، أو هذا ما اعتقدته.

«لقد افتقدتك في ساحة الغولف البارحة» قالت سيبيل بإتهام لرودلف.

«سأحاول الذهاب الى هناك السبت المقبل، إذا لم يمنعني شيء» قال لها بتكاسل وأولع سيجارة.

«لا اعتقد انك تجيدين اللعب جاين اليس كذلك؟» سألتها سيبيل بتصنع.

لاقت جاين نظرة عينيها الباردتين فيما كانت في نفس الوقت مدركة لنظرات رودلف المركزة عليها وقالت: «كلا، انا لا العب الغولف لكن لا نية عندي في تحديد أو تقليص نشاطات رودلف».

«انا أملك زوجة عاقلة جداً سيبيل» قال رودلف بسرعة لكن جاين أحست بتهكم يبطن لهجته وتابع: «هل لا تؤمن بالتدخل في أمور زوجها».

«ولا أي إمرأة متفهمة وذكية تتدخل في أمور زوجها» قالت السيدة برنك بهدوء ونظرت جاين اليها نظرة شكر.

«لن ينفع أمر تقييدك رودي» قالت سيبيل ولهجتها معسولة وتابعت: «انت اكثر حيوية من ان تُشد الى مريول إمرأة، وأيضاً انت الوحيد الذي يعطيني لعبة غولف محترمة».

تجاهل رودلف ملاحظتها هذه ونظر الى عيني جاين الرماديتين الباردتين وسألها: «لربما أمكنني تعليمك هذه اللعبة جاين؟».

تعبير غير راضي لاح على وجه سيبيل فيما كان تنظر بحدة الى رودلف وجاين.

«قد أتمكن من الفوز عليك في حال فعلت» قالت جاين ببرود وهي تلاحظ النظرة التي التمعت في عيني سيبيل.

لن تتمكن من القيام بالأمر على طريقتها الخاصة فقط، قررت جاين، فإذا أرادت رودلف فسيكون عليها ان تحارب من أجله، لم يكن هناك أي شروط في هذه المعركة وبعد ان نظرت الى منافستها أدركت ان المعركة قد تكون معركة مأساوية.

سمعت جاين دقّة على باب الحمام حين كانت تحمّم آندرو وأطل رأس إيمي.

«هل أستطيع الدخول؟».

«بالطبع تستطيعين» اجابتها جاين فوراً وأحست برعشة داخلها لم تتمكن من إيقافها لا بد ان شيئاً ما قد دفع إيمي لتأتي اليها هكذا فكرت جاين، فيما كانت إيمي تجلس على جانب المغطس.

«لمَ لا تدعي دورا تحمّمه؟ فسيعطيك هذا وقتاً أطول

www.elromancia.com

لتهتمي بنفسك» سألتها إيمي.

فأجابت جاين: «هذا صحيح لكني أجد متعة في تغسيله بنفسي».

وسيطر الصمت بينهما لحين قطعه صرخات آندرو وهو يرش الماء عليهما فضحكتا وأخذتا ترشانه بالماء.

«لقد لعبت ما فيه الكفاية اظن» قالت جاين له ورفعته من المياه رغم إحتجاجاته وأحاطته بالمنشفة.

لم تعلم جاين إذا كان هذا المشهد قد أثر وليّن قليلاً من موقف إيمي إتجاهها فإيمي ظلت صامتة وهي تراقب جاين تحضر آندرو للنوم، سبب زيارتها ظل مخفياً عن جاين لكنها أدركت انه مهما كان السبب فلا شك ان تقرب آندرو من إيمي على الغداء هو السبب المباشر لهذه الزيارة.

«انا أدين لك بالأعتذار جاين» همست إيمي أخيراً وهي تتشجع لتكسر الصمت.

«لا اعتقد هذا» قالت جاين بتعاطف وسرعة وهي تلاحظ إرتباك الفتاة.

«بلى انا افعل، وأنت تعلمين هذا» أصرت إيمي «فقد كنت فظة جداً معك! وقلت لك أشياء رهيبة، انا آسفة».

ابتسمت جاين وقالت: «والآن وقد أزحت هذا الثقل عن كاهليك لا بد انك تشعرين بالراحة اكثر».

«نعم».

«انا أعلم انه ليس من السهل ان يكون لك زوجة أخ وإبن أخ فجأة ودون مقدمات أجرؤ على القول انه لو كنت مكانك انا نفسي لكنت تصرفت بنفس الطريقة التي تصرفت انت بها».

«انت لطيفة، لكن الأمر لم يكن لهذا السبب فقط» قالت

إيمي وهي تعض شفتها بعصبية وهي تكمل: «لطالما كنت مولعة بسيبيل وأخشى انني كنت متأكدة ان رودلف سيتزوج منها في يوم ما. فهما دائماً كانا مقاربين، خاصة في هاتين السنتين الأخيرتين، اعتقد ان الجميع كان يظن انهما سيقرران الزواج في النهاية، سيبيل وعائلتها كانا رائعين بعد وفاة والدي وحتى انهما عرضا مساعدة رودلف مادياً لكنه طبعاً لم يوافق على هذا، فأنت تعرفين كيف هو أخي».

«أخشى انني لا أعرفه إيمي» إعترفت جاين وقالت: «انا أعرف القليل حول رودلف بالرغم من انني الآن زوجته».

نظرت اليها إيمي بإستغرب للحظات ثم قالت: «اظن انني أذكر انه قال قد قابل إحداهن قبل سنتين حين كان والدي مريضاً، هل كانت تلك انتِ؟».

طأطأت جاين برأسها موافقة وصوتها مختنق داخلها لعودة الماضي الحي اليها.

«طغت الفوضى على كل شيء بعد وفاة والدي ولا اعتقد ان أحداً منا عاد وسأله عن هذا الموضوع ثانية» تابعت إيمي: «ورودلف لم يكن أبداً من الذين يضعون سعادتهم الشخصية في المرتبة الأولى».

انتهت هذه المحادثة فوراً حين وصلت دورا لتأخذ آندرو لتغير جاين ملابسها إستعداداً للعشاء.

«سأراك لاحقاً» قالت إيمي وغادرت الغرفة تاركة جاين تحدق في الباب الذي خرجت منه وعلى وجهها تقطيبة.

«لم يكن رودلف أبداً من الذين يضعون سعادتهم الشخصية في المرتبة الأولى» قالت إيمي، وكانت هذه حقيقة متناقضة وجدت جاين صعوبة في تقبلها.

إتصل رودلف باكراً بالبيت مساء اليوم التالي ودعيت

www.elromancia.com

جاين لترد على الهاتف.

«ضعي أجمل ملابسك وكوني جاهزة في السادسة تماماً» قال لها «سنتناول العشاء انا وأنت في الخارج هذه الليلة».

تغاضى عن احتجاجاتها بقوله لها: «لقد سبق وأخبرت والدتي بهذا، إذن فكوني مستعدة ولا تدعيني انتظر».

وأغلق السماعة ونظرت جاين الى والدة رودلف الواقفة قريباً منها.

«عندما يقرّر إبني رأيه على شيء فلن يمنعه عنه أي شيء في هذا العالم».

«وماذا عن آندرو، سيدة برنك؟» سألتها جاين.

«ستهتم دورا به» قالت لها الوالدة سريعاً ونظرة إستمتاع في عينيها وتابعت: «سيسعدني جداً لو انك تناديني بوالدتي بدلاً من القول الرسمي السيدة برنك».

حدقت بها جاين بصمت للحظة ثم اجتاحتها موجة من الدفء والحب وأسرعت نحو المرأة اللطيفة وعانقتها بحب وطبعت قبلة رقيقة على خدها وقالت: «شكراً لك، والدتي، لتقبلك إياي بهذه السرعة وفي هذه الظروف المشوشة» ثم تابعت وهي تبتسم بمرح: «عليّ الذهاب الآن فإذا لم أسرع لن أكون جاهزة حين يصل رودلف».

«جاين» قالت الوالدة وتابعت: «لقد ضحى رودلف بالكثير من اجل عائلته... ستحاولين جعله سعيداً؟».

تصلبت حنجرة جاين بإلم للطلب الحار في تلك العيون وقالت: «سأعمل ما بوسعي لأجعله يجد السعادة التي يستحق».

ماذا كان بإمكانها القول غير هذا؟ فكرت جاين بعد حين، كيف كان بإمكانها الشرح ان سعادة رودلف تقع في

مكان آخر؟ مع سيبيل؟ لكانت ناسبت رودلف تماماً، اعترفت جاين لنفسها، بالرغم من الألم الذي اجتاحها لهذه الفكرة، لو فقط لم يكن الأمر بسبب آندرو... وهنا توقفت جاين عن الإسترسال في أفكارها وأخذت تنتقي ثوباً ملائماً للخروج، دون ان تكون قادرة على منع الفرحة التي كانت تشعر بها داخلها.

كان رودلف بإنتظارها حين نزلت على السلالم الى الطابق الأرضي، وقفز قلبها حين رأته ببذته السوداء وقميصه الأبيض الرائع، شعره كان يلمع من إنعكاس ضوء الثريا عليه والعينين الناعستين نظرتا اليها من رأسها حتى قدميها.

«هل نذهب؟» كان كل ما قاله وبخيبة أمل هزّت رأسها بصمت.

كان رودلف قد حجز طاولة لهم في مطعم دلمونيكا وفور وصولها عرفت لماذا كان إختار هذا المكان بالذات، فهو كان يشبه تماماً المطعم الذي كانا يلتقيان به دائماً أثناء تلك الأيام السعيدة على الساحل الجنوبي، وشحب لونها بوضوح حين تسارعت الذكريات اليها.

أتى النادل اليهما بعد ان جلسا ووقف ينتظر طلباتهما.

«هل أطلب مشروباً قبل تناول العشاء؟» سألها بنعومة وتابع: «نصف مثلّج كما أذكر اليس كذلك؟».

هزت جاين رأسها موافقة دون ان تكون قادرة على النطق، لو انها تعرف فقط ما الذي يهدف رودلف اليه لتمكنت من التصرف على أساسه لكن في هذه اللحظة لم يكن بإستطاعتها إلا ان تشعر بالألم والمتعة للسعادة التي تركتها تنزلق من بين أصابعها.

وخطرت ببالها فكرة سببت لها الغضب والإشمئزاز حين

www.elromancia.com

ظن انه أحضرها الى هذا المكان بالذات ليسبب لها الألم بإجبارها على تذكر الماضي.

فكل شيء حولها كان يذكرها بالمطعم الساحلي القديم وأغمضت عينيها للحظة محاولة السيطرة على المشاعر التي أخذت تنتابها، فهذه هي جوهانسبورغ، قالت لنفسها بقوة، هذا هو الحاضر والماضي لن يعود أبداً.

أحضرت لهم المشروبات ووجدت نفسها مجبرة على تلاقي نظرة رودلف حين رفعا نخبها، من السهل لها ان تغرق في هذه العيون، ان تنسى كل شيء وكل الموجودين حولهم في المطعم، وتركز نظره على الشريان النابض بقوة أسفل عنقها وتنسفت بقوة وهي تتمالك نفسها.

«ما رأيك بالدلمونيكا؟» سألها.

«انه... جميل جداً» قالت بصلابة.

إنحنى على كرسيه وأشعل سيجارة وسألها هازئاً: «هل هذا كل شيء؟».

«انت تعلم جيداً بماذا يذكرني» قالت له بسرعة.

«هل تجدين تذكر الماضي أمراً صعباً جداً؟».

يدي جاين كانت متصلبتين في حضنها وأظافرها تكاد تمزق راحتيها فيما كانت تصارع الألم والمرارة والغضب الذي أخذ يشتعل داخلها وقالت: «إذا كنت قد أحضرتني الى هنا لتنبش الماضي فمن الأفضل لنا ان نغادر فوراً».

«إهدائي جاين» تنهد وتابع: «لا رغبة عندي في... نبش الماضي كما قلت، لكني اعترف انني أملت في إستعادة بعض السحر».

«لا يوجد أي سحر في حقيقة الحياة القاسية وقد أظهرت لي هذا بوضوح قبل سنتين» ذكرته ببرود: «كنت بريئة

وساذجة جداً بالنسبة لعمري وقتها، ووقعت في شركك الخداع، لن اتعرض لخداعك مجدداً».

تصلب وجهه قليلاً وقال: «أستطيع القول انك كذلك متفوقة في الخداع، أوشكت ان أقسم ان علاقتنا كانت تعني شيئاً ما لك لكنني اكتشفت سريعاً انني كنت على خطأ».

«ولماذا تعني شيئاً ما لي؟» سألته بمرارة: «فإثنين يستطيعان ان يلعبا اللعبة نفسها رودلف».

النظرة الحديدية في وجهه التمعت وشعرت بالرعشة حين إنحنى اكثر على الطاولة وأقترب منها محدقاً.

«جاين، انت أجمل من ان أجادلك هذا المساء، فدعينا إذن نطمر البيضة ونتناساها ولو لهذه الساعات القليلة ونتصرف على اننا شخصين عاديين نتناول العشاء» ولانت نظرته قليلاً ولكن مسحة الإستهزاء ظلت داخلهما وتابع: «هل تعتقدين ان بإمكانك ان تجعلي نفسك تصدقين ان رفقتي محببة؟».

«هل هذه لعبة تظاهر؟» سألته بنفس لهجته الهازئة.

«نستطيع التظاهر بأننا قد تاقبلنا للتو».

«لا تستطيع ان تعيد عقارب الساعة الى الوراء رودلف».

«كلا» قال بسرعة: «لكن نستطيع ان نبدأ بالتعارف مجدداً على بعضنا البعض».

شعرت جاين بالحذر فوراً وسألته: «وبأي هدف في البال؟».

«وهل يهم هذا؟» هز كتفيه بعدم إكتراث «ألا نستطيع ان نسترخي وندع هذه الأمسية تمر بطريقة عادية؟».

لم يكن عندهما أي فكرة الى اين سيؤدي هذا لكنها

www.elromancia.com

شعرت بشوق داخلها لإستعادة بعض الدفء برفقته.

وقالت: «حسناً رودلف، من اين تقترح ان نبدأ؟».

«بك» والتمعت عيناه حين رفعت حاجبيها بإستغراب وتابع: «هل تظنين انك تستطيعي ان تبعدي هذه النظرة الباردة الجامدة من عينيك وتنعمي عليّ بإبتسامة؟».

«يبدو انك لا تدرك انك تطلب وتتوقع الكثير مني» قالت متصنعة الصرامة ولكن ابتسامة صغيرة داعبت شفتيها حين رأت نظرته المرحة.

«هذا أحسن» قال برضى وأُجبرا على قطع كلامهما حين وصل النادل بقائمة الطعام.

«هل أطلب لنا سوياً؟».

«نعم من فضلك» تمتمت بصوت مهتز.

وجدت جاين نفسها تسترخي شيئاً فشيئاً في جو الدلمونيكا الرائع والطعام الجيد وإصرار رودلف على نسيان الماضي ولو حتى للساعات القليلة الحالية.

كانت مدركة ليديه القويتين الموضوعتين على الطاولة، وللسحر الذي أثاره داخلها سابقاً وجعلها قادرة على الوقوع، كانت تحبه وقتها دون أي شروط، ولكن الآن لن تدعه يعرف انه لا يزال قادراً على فرض سيطرته عليها.

كان لا يزال اكثر الرجال جاذبية التي قابلتهم في حياتها، قالت لنفسها وهي تنظر اليه خلسة، في الرابعة والثلاثين ولم يكن يظهر عليه أي أثر للشيب وشعره لا يزال كثيفاً ولامعاً، ورموشه كانت طويلة جداً نسبة لرجل، فكرت بحسد، وبعدها فجأة كانت العيون الرمادية تحدق بها مباشرة.

كأن شرارات كهربائية انفجرت داخلها وشعرت بنفسها

معلّقة على حافة هوة عميقة، لقد حصل هذا سابقاً، لكنه لن يحصل الآن يجب ان لا يحصل هذا! نبضات قلبها كانت تهزىء منها بينما كانت تحاول السيطرة على أعصابها، لكن الهدوء ظل بعيداً كل البعد عنها.

«عزيزي، من الجميل جداً ان أراك هنا».

المقاطعة جاءت هذه المرّة من سيبيل التي كانت ترتدي ثوباً لامعاً يظهر الكثير من جسدها الرشيق.

«ألن تجلسي سيبيل؟» دعاها بهدوء كان بعيداً عن جاين في تلك اللحظة.

«ليس الآن عزيزي، انا هنا مع والدي وأحد أصحاب والدي في العمل، بيتر فوكس، وهو متشوق جداً لرؤيتك ولهذا فأنا آمل ان تنضم الينا لاحقاً لشرب كأس من الشراب».

«لا اعتقد ان...».

«انا واثقة ان جاين لا تمانع إذا مزجت بعض العمل مع متعتك» قاطعته سيبيل بإقناع وأستدارت نحو جاين وعلى وجهها إبتسامة لامعة وقالت: «هل تمانعين جاين؟».

«كلا بالطبع» سمعت نفسها تقول.

«أرأيت رودي» أعلنت سيبيل بإنتصار وهي ترمي قبلة لرودلف وأكملت: «أراك لاحقاً».

وشقت طريقها الى طرف المطعم الآخر وأعين كل الرجال الجالسين تتابعانها وهي بالطبع مدركة لهذا قالت جاين بنفسها بثقة.

«سيبيل كانت ستكون زوجة رائعة لك» قالت جاين له: «انها ناجحة جداً في تحوير آمال الآخرين ورغباتهم، كطبيعتك تماماً».

www.elromancia.com

أرتفع حاجبي رودلف وقال: «هل ألحظ لسعة مخبأة خلف هذه الملاحظة؟».

«لم تكن متعمدة» أكدت له ببرود.

فتشت عيناه عن عينيها لكنها أبقت رأسها منخفضاً فسألها: «هل سنعود مجدداً الى الأدب البارد الذي تخطيناه قبل قليل؟».

«هل تخطيناه حقاً؟».

نعم قالت لنفسها مجيبة على سؤالها لكن خيول السماء لم تكن لتسحب هذا الجواب منها.

«جاين، انت اكثر النساء إثارة للغضب ممن قابلتهم في حياتي».

«وأنت طبعاً تعرف الكثير من النساء بدون شك!».

عينيه حدقتا بها بقوة هزت أعماقها وقال بصوت متهدج: «في هذه اللحظة أرغب في ان أقبّل هاتين الشفتين الهازئتين بقوة حتى تصرخين طالبة الرحمة».

«في هذه اللحظة اتمنى لو انني لم اوافق على المجيء الى هنا برفقتك» قالت له بسرعة وتحدي.

إنحنى والتقت عينيها بنظرته وقال: «هل تعلمين ان عيناك ترسلان شرارات نارية زرقاء حين تكونين غاضبة؟».

«لا تغيّر الموضوع».

«لا تثيريني، وإلا فسأنسى طباعي وأحملك الى بيتي في الريف حيث أعلمك هناك درساً لن تنسيه أبداً».

«سأكرهك عندها للأبد» حذرته بالرغم من الحشرجة في صوتها.

«جيد» قال متمتماً قبل ان يشعل سيجارة ويتابع بقسوة: «الكراهية هي علامة عن العاطفة الحيّة التي أجدها أفضل

من عدم الإكتراث الكامل».

ارتجفت يداها من الغضب المكبوت وسألته: «هل عليك ان تكون غير محتمل هكذا؟».

«كلا» وإبتسم هازئاً وتابع: «في المزاج المناسب أستطيع ان اكون متمدناً جداً، هكذا يقولون لي».

حدقت به للحظة متمنية لو كان بإستطاعتها الإبتسام، ولكنها أدركت انها ستنفجر بالدموع إذا استمرا على هذه الحال.

«رودلف، ارجوك...».

«ارجوك ماذا، جاين؟».

«دعنا نوقف هذا الهراء» توسلت اليه.

«لكن هذا ما كنت أقترحه طوال المساء... هل تريدين ان نعلن هدنة بيننا؟».

«للوقت الحاضر نعم».

إبتسامة صغيرة داعبت شفتيه وقال: «انت لا تستسلمين أبداً اليس كذلك جاين؟».

«ليس إذا أعطيتني سبباً وجيهاً يجعلني لا أفعل».

وحدق بها رودلف بنظرة فاحصة للحظة بعينين مفكرتين قبل ان يقول ببطء: «أستطيع ان أعطيك سبباً وجيهاً جداً يا عزيزتي، لكني لا اظن انك ستقدرينه جيداً في هذا الوقت».

لم يعد لجاين القوة لتسأله أي إستفسار، لكن جوابه المثير تركها في حالة تفكير قطعته حيث إقترح عليها ان ينضما الى طاولة رامبلنغ وضيفهما لبعض الوقت.

«اظن انك تستطيع ان تذهب اليهم وحدك» قالت جاين له وهو يستعد للوقوف.

www.elromancia.com

رفع رودلف حاجبيه بإستنكار وقال: «عزيزتي جاين، سيكون عليك مقابلة آل رامبلنغ عاجلاً أم آجلاً، فلماذا نؤخر إذن المحتوم؟».

أمسكت بمحفظتها بقوة لتسيطر على إضطرابها وقالت: «ماذا أخبرتهم عنا؟».

«لقد قلت لهم انه لولا وفاة والدي المفاجيء لكنا الآن متزوجين منذ سنتين» أجابها بإستمتاع: «هل كان هناك شيء آخر من الواجب علي ان أخبرهم إياه؟».

«كلا» قالت والدم يلون خديها وقضمت شفتيها بعصبية وهي تخفض بصرها عنه.

«لا داعي لتكوني عصبية أو خائفة جاين» طمأنها بلطف أدهشها وتابع: «بما انك زوجتي فلكِ حمايتي ودعمي».

«رودلف...» بدأت بتردد وتابعت: «انت تدرك على ما اظن انك بزواجك مني قد شوهت قليلاً سمعتك؟».

حدق بها للحظة بغير تصديق ثم ضحك وقال: «دعيني انا أقلق على سمعتي، كل ما عليك فقط هو الإبتسام بلطف للسيد جوناثان رامبلنغ وستجدينه الى جانبك».

«لا تكن سخيفاً».

«وتذكري ان تقولي شيئاً جميلاً حول مجوهرات روينا» تابع بمرح وكأنه لم يسمع جوابها: «فهي تفرح كثيراً للإنتباه الذي يلحظه الغير على مجوهرات آل رامبلنغ».

«هل هناك شيء آخر؟» سألته وهي تضحك بمرح.

«هيا» قال وهو يساعدها على النهوض وتابع: «نحن نضيع الوقت».

اللقاء ما والداي سيبيل لم يكن مقلقاً كما تصورت جاين، روينا رامبلنغ الأم المثالية، قارنت بين جمال ابنتها

وجمال جاين بنظراتها لكنها كانت لطيفة وجذابة بعض الشيء.

«يجب ان تأتي وتتناولي العشاء معنا في أحد الأيام لنتعرف عليك اكثر، فنحن نعرف عائلة رودلف منذ سنين» قالت السيدة رامبلنغ بنعومة.

«هذا ما علمته» قالت جاين وهي ترمق بعينيها سيبيل التي جلست بين رودلف وبين الرجل الأشيب الذي كان ضيف العائلة، إذا كان العمل هو موضوع تحدثهما فلن تعطيهما سيبيل الفرصة يفعلا هذا.

«لقد كان مفاجئاً لنا جميعاً عندما عاد رودلف من كاب تاون وأعلن انه قد تزوج» قال جوناثان وهو يبتسم لجاين وتابع: «لكن الآن بعد ان رأيتك فقد عرفت لماذا فعل هذا».

احمرت وجنتي جاين وقالت: «هذا لطف منك سيد رامبلنغ، شكراً لك».

«لم يكن هناك أي لطف في ما قلت، فأنا لست عجوزاً بعد وأعرف الفتاة الجميلة حالما أراها» أكد لها بمرح.

«انك تخجّل زوجتي جوناثان» قال رودلف فجأة: «لكني سعيد لأنك موافق على إختياري».

التقت جاين بنظرته المرحة لكنها ندمت فوراً حين رأت عيني سيبيل الناريتين تنظران اليها بلؤم، من الواقع ان سيبيل تشعر بالغيض والحقد لأن الأمور لم تجري كما كانت تريد، وكانت جاين لتشعر بالأسف عليها لولا ان هذه الأخيرة لا تزال تشعر بأن رودلف هو خاصتها وأنها ستقوم بكل ما تستطيع وبأي طريقة لتستعيده.

كلما التقت عينا جاين بعيني سيبيل كانت عيناهما

www.elromancia.com

تشتعل كأنهما في صراع الإرادة، وإزداد التوتر داخل جاين الى درجة كبيرة وحين أخيراً نهض رودلف وأستأذن للإنصراف كانت أسنانها تصطك بشدة آلمت فكها.

عادا ببطء الى هوغتون والرحلة لم تخفف من توتر جاين وحين وصلا الى باحة البيت الخلفية وركن رودلف السيارة كانت في مزاج سيء ومستعدة لتسبب له كل الأذى الممكن دون ان تبالي.

«جاين؟» وأمسكت أصابعه برسغها حين كانت تستعد لفتح باب السيارة وتابع: «لقد أعلنا هدنة ألا تذكرين؟».

حدقت به على ضوء القمر لكن لم تستطع ان تقرأ تعابير وجهه فيما رفع يدها وقبلها عليها، تسارعت نبضاتها وسحبت يدها بسرعة مخافة من ان تخونها شجاعتها وإرادتها معه.

«لا تفعل هذا».

«هل أهنتك؟».

هل كان هناك مسحة من تأنيب الضمير في صوته أم ان خيالها هيّىء لها هذا؟.

«انا آسفة رودلف» همست بندم «اعتقد انني فقط متعبة».

- ٧ -

هز رأسه ببطء وبعد لحظات كانا يدخلان البيت الساكن ويصعدان السلالم الى غرفتيهما، تردد قليلاً على بابها وكأنه يريد شيئاً وقفز قلبها من مكانه.

«شكراً لك لأنك دعوتني للعشاء هذا المساء» تدافعت الكلمات من فمها: «تصبح على خير رودلف».

«تصبحين على خير جاين» قال وهو يضحك بسخرية وكأنه شعر بخوفها ثم دار على عقبيه ودخل غرفته وأغلق الباب.

وحيدة في غرفتها، أغلقت جاين عينيها وشعرت بجسدها يرتجف، ماذا توقعت؟ انه سيفرض نفسه بالقوة عليها، مطالباً بدفعها ثمن لطفه؟.

«آه، يا إلهي» تنهدت بحرقة: «ماذا سأفعل؟».

www.elromancia.com

كانت خائفة من قربه منها، من لمسه لها، من قوته الرجولية التي كانت تحيل مقاومتها رماداً، أرادت حبه، لكنها كانت خائفة من عواقب إستسلامها له، هل تستطيع ان تخاطر بتعرضها لمزيد من الألم؟.

بعد إنقضاء أسبوعها الثاني في جوهانسبورغ أخذت جاين تشعر بالراحة والإسترخاء اكثر فأكثر، فإيمي تظهر الحب والتعلق بآندرو وبها، وسرعان ما نشأت بينهما علاقة صداقة مريحة خففت من التوتر الذي كان مسيطراً على البيت.

رودلف كان يذهب للعب الغولف مساء كل يوم سبت وكان يحضر سيبيل معه لشرب كأساً من المشروب قبل ان يوصلها الى بيتها، تملك سيبيل لرودلف كان يزعج جاين لكنها خبأت مشاعرها داخلها بتصميم قوي، وخلال الأسبوع كان رودلف يبقى في مكتبه معظم الأمسيات، لكنه كان يخرج في أمسيات يوم الأحد ويقضي الوقت يلاعب آندرو أو يأخذهم جميعاً بنزهة الى المدينة، كان دائماً يدهشها ويذهلها حين كان يخفي قسوته وصلابته حين يلاعب طفلاً مثل آندرو، وبدا كأنه بدأ يستحوذ على حب آندرو، علاقتهما لم يكن ينقصها الصرامة، فنظرة واحدة من رودلف نحو آندرو كانت تُسكت الصغير وتهدئه.

إنه! كان صعباً جداً على جاين التفكير برودلف على انه والد آندرو، فلمدة طويلة كانت مسؤوليته تقع على عاتقها هي فقط، والآن كانت علاقة رودلف بهما مجمدة، فكلاهما كانا بعيدين عن بعضهما البعض فكرياً وجسدياً مما جعل من المستحيل التصديق انهما كانا يوماً عاشقين وأنهما قد تسببا في إحضار آندرو الى الوجود.

لم يكن عندها أي شيء تقوم به في هذا البيت الكبير الممتلىء بالخدم ولم تأت الفرصة لتسأل أهل البيت عن سر الصورة المعلقة في العلّية، فجاين كانت دائماً تلجأ الى ذلك المكان حين تشعر بالحزن أو التعاسة فتلك العينين الرماديتين كانتا تحدقان بها بنفس التعبير.

وكانت جاين تشعر بالراحة في غرفة العلّية هذه وكان غطاء الطاولة الحريري يذكرها بالبيت الصغير الذي عاشت فيه طوال حياتها.

هذه الغرفة وكل ما بها يسكناها وكانت مترددة اكثر وأكثر في فتح الموضوع والسؤال وإلا فأن الجميع سيعرف انها قد أخترقت هذه الستائر السميكة ودخلت الى هذه الغرفة الشبه معزولة عن باقي البيت.

تنهدت جاين وغادرت الغرفة وأنضمت للسيدة برنك في غرفة الجلوس.

«تبدين شاحبة وحزينة يا عزيزتي» قالت الوالدة وهي ترمق جاين بتفحص: «هل حفيدي يشكو من شيء؟».

ابتسمت مطمأنة المرأة وقالت: «لا يشكو آندرو من أي شيء أمي، لقد رأيته الآن مع دورا وهو يطالب بشرب الشاي بكلماته الغير مفهومة».

«انه يشبه كثيراً رودلف حين كان طفلاً، كما ألاحظ، عنيد ومتطلب يرهقك حتى تظنين انك ستصابين بالدوار وعندها فجأة يبتسم إبتسامته الساحرة ويتبخر غضبك عليه كضباب الصباح» ابتسمت وتابعت: «لم أستطع أبداً ان أحسّن من طباعه».

«الشاي أمي» قالت جاين وناولت السيدة برنك فنجانها.

«شكراً لك يا عزيزتي، هناك شيء أود ان أعترف لك

www.elromancia.com

به، عزيزتي، لكنني أجد الأمر صعباً جداً».

التمعت عينا جاين بتوسل للمعرفة وسألت: «ما هو هذا الأمر والدتي؟».

«عندما وصل رودلف وأنبأنا بخبر زواجه أفكاري كانت مشوشة وغير واضحة» ابتسمت بشعور الذنب متابعة: «انا أشعر بالخجل من نفسي».

«انا لا ألومك لإعتقادك انني قد أوقعت برودلف وأجبرته على الزواج بي» قالت جاين بنعومة.

«الإيقاع به هي كلمة قاسية، جاين لكن ما هو الشي الذي منعك من الزواج منه قبل سنتين؟».

إرتجفت يدا جاين للحظة وقالت: «كان هناك العديد من الأسباب التي أدت الى فسخ علاقتنا سابقاً، لكن اانا... لا أرغب بشرح الأمر الآن، إذا لم يكن عندك مانع؟».

شعرت بضغط السيدة برنك بلطف على ذراعيها لكنها وجدت صعوبة في فهم نظرة المرأة الغريبة.

«لن أضغط عليك بالإجابة جاين» قالت المرأة بنعومة: «لكني أعرف ان علاقتك بإبني هي ليست على ما يرام في هذا الوقت الحاضر».

رفعت جاين نظرها بحدة وقلبها يقفز من بين ضلوعها وسألت: «ماذا... ماذا تقصدين؟».

ابتسمت السيدة برنك بإعتذار وقالت: «انا أرى الطريقة التي تتعاملان بها سوياً، والخدم يتحدثون بينهم وبين أنفسهم، يا عزيزتي، حول السيد وزوجته اللذان يحتلان غرفتين منفصلتين ولا يظهران أي إشارة على انهما يعيشان كزوج وزوجة».

كان من الخطأ عدم تقديرها لملاحظة حماتها الدقيقة،

والعادة الطبيعية للخدم في الشرثرة، لكن لا هي ولا رودلف حاولا إخفاء حقيقة انهما متزوجان بالإسم فقط.

«أمي... سنتي الفراق بيننا قد تركتا فجوة في علاقتنا، نحن بحاجة للوقت لإستعادة...».

«هذا هراء» احتجت السيدة برنك بسرعة: «زوجي ابتعد عني حوالي الثلاث سنوات خلال الحرب الأخيرة الماضية، ولم نجد أي صعوبة في الإستمرار بزواجنا من النقطة التي غادر بها».

«ربما» قالت جاين: «لكن رودلف وأنا لم يكن عندنا أمان الزواج الذي كان عندكما حين أفترقنا».

«اعتقد ان هذا يشكل إختلافاً» وافقتها السيدة برنك بأسف وهي تصب لنفسها فنجاناً آخر من الشاي.

نهضت جاين وتحركت بالغرفة بعدم إرتياح وأخذت تحدق بالنافذة والأشجار في الخارج ثم إستدارت نحو المرأة الجالسة على الكنبة وسألتها: «والدتي... تلك الغرفة في العلّية في نهاية الممر» بدأت وهي تبتلع ريقها بصعوبة: «تلك الغرفة ذات الستائر السميكة التي تخفي مدخلها...».

«لا تدخلي الى هناك يا عزيزتي» حذرتها السيدة برنك بنعومة والتمعت الدموع في عينيها وهي تتابع: «تلك الغرفة تمتلىء بالذكريات الحزينة التي لا أقدر أبداً على التحدث عنها».

حدقت جاين للحظة بالمرأة متسائلة ان كان عليها متابعة إستفسارها ولكنها أدركت ان السيدة برنك هل ليست المرأة التي ستعطيها هذه المعلومات وشعرت بالخيبة تملىء نفسها.

www.elromancia.com

لو لم يرد رودلف منها ان تدخل تلك الغرفة لكان طلب منها هذا لكنها لم تستطع إلا ان تشعر بالذنب وهي تخترق تلك الغرفة التي تخفي سراً عائلياً... سراً أرادت من كل قلبها ان تكتشفه.

وصلتها رسالة من اليسون في نهاية ذلك الأسبوع وأسرعت جاين الى البيت الصيفي لتقرأها على إنفراد، جلست على الأريكة وأسرعت بفتح الرسالة وأخرجت ورقتين زهريتين معطرتين كانت اليسون مغرمة بالكتابة عليها دائماً.

«انها معطرة بالورود» قالت لها اليسون سابقاً «وأنا أرسلها فقط للأشخاص اللذين أحبهم وأهتم بهم».

دمعت عينا جاين حين تذكرت الصداقة العميقة بينهما خلال سنين الجامعة وخلال المشكلة التي مرت في حياة جاين.

تنهدت قليلاً ثم أعادت تركيزها على الرسالة التي بين يديها.

«عزيزتي جاين» بدأت الرسالة: «لم تكتبي لي منذ غادرت كاب تاون لكنني إتصلت بوالدتك التي أعطتني عنوانك، اتمنى ان تكوني قد حللت مشاكلك مع رودلف وأنك قد وجدت السعادة أخيراً».

هل ستتمكن هي ورودلف ان يحلا المشاكل التي تقف في طريق سعادتهما؟ تساءلت جاين بمرارة قبل ان تعود لإكمال الرسالة.

«لقد إلتقيت بأحد زملائنا القدامى في الجامعة منذ ثلاثة اسابيع ديريك ريد... انت تذكرينه اليس كذلك؟ كان في سنته النهائية حين دخلنا نحن الى الجامعة وكان دائماً

هادئاً جداً ورزيناً، وكنت أظن لبعض الوقت انه كان معجباً بك، حسناً، وقد أكمل دراساته العليا بعد الجامعة وتخصص باللغة الإنكليزية وهو يدرس في الجامعة الآن».

وتذكرت جاين شاباً طويلاً أشقر الشعر بعينين حالمتين، والذي كان يبدو اكثر فرحاً بكتبه ودروسه من اللعب والمرح مع الأصدقاء، وإذا كانت اليسون جادة، فهو سيكون الرجل الواثق الرزين الذي تحتاجه صديقتها بقوة.

«يا له من رجل رزين جاين! انه يذهب الى المزرعة عدة مرات، وفي كل مرة اكتشف أشياء رائعة في شخصيته، قبل ثلاث سنوات كنت سأعتبره غبياً ومملاً لكن الآن انا أجده جذاباً مسلياً».

«جاين اعتقد انني غارقة في الحب، لا أستطيع التكلم أو التفكير إلا بديريك، وقد طلب مني الزواج ولكني أصريت على ان يمنحني المزيد من الوقت، فقد وقعت بالحب لعدة مرات في حياتي، كما تعلمين، لذا فيجب عليَّ هذه المرة ان اتأكد ان حبي له سيدوم الى الأبد، هل انا سخيفة جاين في حين ان كل جزء في كياني يريد ان يرمي بنفسه بين ذراعيه؟.

لقد أدركت الآن، ولأول مرة، كيف شعرت نحو رودلف حين التقيته للمرة الأولى، إذا أراد ديريك ان يخرج من حياتي الآن، اظن انني سأفضل الموت.

ارجوك أكتبي لي يا عزيزتي، وأخبريني انك سعيدة الآن بعد ان تلاقيت انت ورودلف أخيراً، لا أستطيع ألا ان أشعر بالمسؤولية فيما حصل، ولن أكون سعيدة إلا إذا عرفت انك ايضاً سعيدة بدورك، تحياتي لرودلف وقبّلي آندرو عني، صديقتك المحبة اليسون».

www.elromancia.com

كانت عينا جاين قد إبتلتا بالدموع حين إستلمت بعد أيام برقية من اليسون تقول: «لقد صممت رأيي جاين، وقد أعطيت ديريك جوابي، سنتزوج خلال الصيف وسأعلمك بالموعد المحدد لاحقاً، مع كل الحب، اليسون».

جلست جاين قليلاً وهي تفكر بصديقتها وتمنت لو ان حياتها وزواجها كان سهلاً وعادياً مثل زواج اليسون، بعدم وجود السيبيل رامبلنغ بالجوار لربما كان الأمر أسهل ولتمكنت من جعل نفسها تحب رودلف مجدداً، لكن ما الفائدة من هذا حين يكون واضحاً ان سعادة رودلف تقع فقط معها؟ لماذا تحطم نفسها على نفس الجدار الذي أصطدمت به قبل سنتين؟ ما كان فائدة حبها له إذا كانت سيبيل هي المرأة التي كان من المقدر ان يتزوج بها حين يتغلب حبها على الشعور بالواجب عنده؟.

في طريقها الى البيت رأت رودلف في السيارة في طريقه الى ملعب الغولف حيث سيقابل سيبيل، كان يبدو رائعاً ببذته الرمادية وقميصه النيلي، أستدار حين سمع وقع أقدامها.

«كم من اللطيف منك ان تأتي لتطمأني على ذهابي بالسلامة» قال بإستفزاز حين اقتربت منه: «ربما أستطعت المرة القادمة ان تأتي معي الى ملعب الغولف؟».

«وأكون ثالثاً غير مرغوب به» قالت بسخرية «كلا، شكراً لك».

يديه القويتين أمسكتا بكتفيها بقوة أجبرتها على الإقتراب اكثر منه حتى التصقت بصدره الصلب وقال: «لم أكن لأقترح عليك مرافقتنا لو لم أعني ذلك».

«نعم أعرف هذا انت لا تقول أبداً شيئاً لا تعنيه».

كان هناك مسحة من النقد الساخر في صوتها لم يغب عن باله فقد شد شعرها الطويل حتى دمعت عيناها من الألم.

«هناك الكثير الذي عليك تعلمه جاين» قال بقسوة: «إذا كان هذا ما تريدينه فسأكون مضطراً لإجبارك على إظهار كل الإحترام اللازم».

«ماذا تعني؟».

التمعت عيناه بغرابة واحمر خداها تحت وطأة نظرته المحدقة وقال: «ليس عندي الوقت لأشرح لك الآن».

وإبتسم قليلاً وترك شعرها وأسدل يديه على ظهرها وتابع: «والدتي تراقبنا من نافذة غرفة نومها».

جاين فقط منعت نفسها من النظر الى تلك الناحية لكن توترها من كونها مراقبة صلب أعصابها وقالت: «انها تعرف كل شيء عنا، فقد سمعت الخدم يثرثرون ويتشككون حول زواجنا».

والتمعت عيناه وهو يقول: «ربما كان علينا ان نخفف من مخاوفها قليلاً بقيامنا بدور غرامي الآن».

اندفع الدم بألم الى خديها حين فهمت ما يعنيه وقالت بتلعثم: «انا... لا اعتقد...».

أمسك ذقنها بين أصابعه ورفع وجهها اليه وقال: «دعيني انا أقوم بالتفكير الآن، فأنا أعرف والدتي وأنا ادرك الآن ماذا تنتظر لمشاهدتنا، وما تأمل في ان تشاهده، نحن لن نخيب أملها اليس كذلك؟».

ولم ينتظر ردها بل إنحنى وطالب بشفتيها بقبلة بطيئة، حركت كل ذرة دم في جسدها وأشعل نبضها، كان هذا تصرفاً متعمداً من قِبله، كانت واثقة، ليبرهن لها كم هي

www.elromancia.com

تواقة اليه ولكنها لم تستطع أو لم ترد ان تحرر نفسها من بين ذراعيه، لاحقاً بعد وقت طويل ستكره وتلوم نفسها على تصرفها بهذا النحو لكن الآن هي لم تستطع ان تمنع شفتيها من التجاوب معه ومع دفء قبلته.

أخيراً وعندما أفلتها ظلت تحدق به وترمش من الشمس المواجهة وأخذت تفتش في عينيه على شيء يخفف من مخاوفها لكنها لم تجد شيئاً خلف قناعه الهازىء.

«إذا تصرفت بهدوء وظللت عاقلة هذا المساء وأنا في الخارج فسآخذك انت وآندرو الى حديقة حيوانات لايك» وعدها وكأنه يخاطب طفلة صغيرة ثم إنحنى وقبلها قبلة سريعة على شفتيها قبل ان يقول: «أراك لاحقاً».

وقفز الى سيارته الجاكوار البيضاء وأختفى على الطريق المنحدر، إستجمعت قواها بعد لحظة وشعرت بالغضب من تعليقه الغير مكترث وعادت الى البيت، لم تكن السيدة برنك على نافذتها كما لاحظت، وشعرت بالرجفة لتفكيرها ان رودلف قد خدعها بدهاء لتسمح له بتقبيلها.

«فلتساعده السماء إذا كان هذا ما فعله» تمتمت لنفسها لكنها إعترفت بالهزيمة حين لم تجد أي طريقة لتنتقم منه لهذا.

الوعد بالذهاب الى حديقة حيوانات لايك لم يكن ناجحاً صباح اليوم التالي، فقد كاد آندرو ان يرمي كوب الشاي على ثوب جاين ومما في المطعم وكان مزاجياً وعصبياً جداً حين أخذاه الى حديقة ألعاب الأطفال، ولم تستطع جاين التمتع بالمنتزه وجماله إلا حين إستأجر رودلف أحد القوارب وأخذا يتنزهان فيه بالبحيرة الموجودة في المنتزه فعندها فقط هدأ آندرو وأستكانت حركته وأخذ

يحدق بذهول ومتعة بيدي رودلف وبالمجاذيف وهي تتحرك داخل الماء.

«يبدو وكأن العفريت الصغير يجد متعة في مراقبتي وأنا إسيِّر القارب» قال رودلف بمرح.

حدقت جاين بالطفل قليلاً وقالت: «لا اظن انه بحالته الطبيعية العادية، فهو يبدو وكأن اكثر من سن داخل فمه يبرز في الوقت ذاته، وهذا عادة يجعله مزعجاً وقلقاً».

«ليس من الجيد كما يبدو، ان نخطط لأي شيء حين يكون للأطفال الصغار مكاناً في هذا التخطيط».

«انا آسفة رودلف» إعتذرت منه: «لربما من الأفضل لنا ان نعود الى البيت».

«انا لا اتذمر جاين» أوضح بسرعة: «انا أتعلم انه رغم كل شيء فمن الممتع للرجل ان يكون والداً، لكن ربما، كما قلت من الأفضل ان نعود الى البيت».

خلال العودة الى هوغتون بقي رودلف صامتاً، وأخذت جاين تشعر بجو من التوتر يخيم بينهما، هل هو ربما مستاءاً من ان آندرو قد أفسد عليهما صباحهما معاً أم ان احتجاجاته هي حقاً صادقة؟.

كان من الصعب القول ومعرفة رودلف، لأن تعابيره ظلت غير مقروئة حين كانت تنظر اليه بين الحين والآخر.

لم يهدأ آندرو طوال اليوم ولم ينام كعادته بعض الظهر، وكان مضطرباً جداً حين كانت تقوم بحمامه اليومي، دخل رودلف دون توقع الى حيث كانت هي وآندرو، فيما كانت ترفع الطفل من المغطس.

«هيا، دعيني أساعدك» قال بسرعة وهو يلف جسد الطفل المتحرك بالمنشفة الكبيرة ودخل به الى غرفة

www.elromancia.com

الحضانة وكأنه معتاداً على هذا النوع من العمل وتابع: «انه لا يبدو على ما يرام، هل يجب ان نستدعي الطبيب؟».

«لا تكن متسرعاً فهو لا يعاني من أي ارتفاع بالحرارة» قالت بعدم إرتياح وهي تجفف آندرو وتلبسه ثيابه بأسرع ما أمكنها: «قد يبقى غير مرتاحاً خلال الليل لكن لا داعي للقلق فقد مررت العديد من هذه الليالي خلال بروز أسنانه».

تصلب فمه قليلاً وقال: «لي الحق في القلق على أحوال إبني!».

«اعتقد هذا» اجابته بسرعة: «لكني قادرة تماماً على معرفة ما إذا كان إستدعاء الطبيب ضروري أم لا».

تصارعت نظراتهما للحظات فوق رأس آندرو قبل ان يستدير رودلف ويغادر الغرفة.

لم تستطع دورا ان تحمل آندرو على النوم وأخذته جاين منها بعد العشاء، نام بإرتياح بين ذراعيها ولكن كلما حاولت وضعه في السرير كان يستيقظ ويبدأ بالصراخ.

«انت حقاً غير معقول هذا اليوم» عنفته بصوت محب: «ماذا سأفعل بك؟».

«ماما» انتحب وهو يمد يديه اليها.

هذا كان اكثر من احتمال جاين فقد مدت يديها اليه فوراً وحملته وجلست به على الكرسي المريح ليعاود النوم.

لم تعرف كم من الوقت مضى وهي تجلس هكذا لكنها أحسّت بعد هذا برأسها ينحني من النعاس لكن رغم هذا لم يظهر آندرو أي إشارة عن نعاسه أو رغبته بالنوم بل كان يحدق بها وقبضته في فمه، كانت تعبة ونعسة لكنها كانت تعرف انها لن تشعر بالراحة وتنام إلا حين يخلد آندرو

بدوره للنوم، وإذا ظل على هذه الحالة فستجد نفسها مضطرة لإصطحابه معها الى سريرها، قررت أخيراً، إنحنى رأسه مجدداً على رقبتها وعندها فقط شعرت بوجود شخص ما بجانب كرسيها.

«أعطيني إياه لبعض الوقت وتوقفي عن إبعادي عن الأمور المختصة بآندرو» قال رودلف وهو يبدو غريباً برداء نومه الحريري الزيتي: «لا يوجد أي داعي الآن، لتتحملي مسؤوليته على عاتقك انت فقط وقد حان الوقت لتدركي هذا».

«لكن انا...».

«إذهبي الى سريرك ونالي قسطاً من الراحة» قاطعها آمراً بتسلط وهو يأخذ الطفل من ذراعيها وتابع: «سأستلم انا من الآن لحين يستغرق بالنوم».

لم يكن من فائدة في الجدال أدركت جاين هذا حين رأت النظرة الصارمة داخل عيني رودلف فأحنت رأسها بصمت وتعب ونهضت الى غرفتها.

إستلقت في السرير وضوء القمر يضيء الغرفة ويحيلها خيالات غامقة ولم تستطع الإستغراق في النوم فظلت مستلقية بسكون وهي تتسمع لصوت رودلف الخافت وهو يحادث ويلاعب آندرو، أحست بالراحة لكون آندرو بين يديه وأخذت تشعر بمتعة داخلية لوجود رودلف قريباً منها في الغرفة المجاورة وأحست بجسدها يؤلمها وبيديها توجعانها من جراء حملها لأندرو طيلة الساعات الماضية، الساعة التي قرب سريرها أخبرتها انها الواحدة بعد منتصف الليل، وتساءلت ما الذي أبقي رودلف ساهراً حتى هذا الوقت وبعد عدة لحظات لم تعد تسمع صوت آندرو

www.elromancia.com

وأدركت انه قد أستغرق بالنوم أخيراً وبعد وقت غير قصير غادر رودلف غرفة الحضانة وأغلق بابها بهدوء ورائه، جاين نهضت فوراً وأضاءت المصباح بجانبها.

«هل هو...».

«انه نائم ولماذا لستِ كذلك انت؟» جاءه ردها المقتضب.

«لم أستطع، نوعاً ما» إعترفت له بلهجة مذنبة وأحست بقلبها ينتفض بجنون فيما كان هو يقترب من مكانها وملامحه تظهر بعدم وضوح تحت الضوء الخافت.

اهتز السرير بجاين لأنه جلس بثقله عليه وبحركة لا شعورية رفعت جاين الغطاء الى تحت ذقنها تقريباً، لاحظت العيون الناعسة حركتها هذه وسخرتا من تصرفها بقوة جعلت الدم يندفع الى وجنتيها.

«لقد تغيرت جاين» قال أخيراً: «بعض الأحيان أرى لمحات قصيرة من الفتاة التي عرفتها يوماً، لكن في اللحظة التي اتعمق بها بالنظر تصبحين باردة وتبتعدين بعيداً، فنحن دائماً على جدال ونقاش، ونشتبك دائماً على أتفه الأسباب والأشياء، انت غير مبالية ومنعزلة بعيدة جداً انك تقريباً كالغريبة».

«رودلف، انا...».

«لا تقولي شيئاً» قاطعها بسرعة ويديه تداعبان شعرها وترسلان شرارات في عروقها ثم لامس عنقها ووجهها، لمساته كانت كالكهرباء على بشرتها ولم تشعر بنفسها إلا وهي بين ذراعيه وسمعته يقول بنعومة: «يا إلهي جاين! انك جميلة جداً».

لم يبدو أي شيء حقيقي في هذه اللحظة سوى يديه

وقبلاته والرغبة التي اجتاحتها وأحست بشوقها للإستسلام له، لكن جزءاً منها حذرها من هذا ونجحت نوعاً ما من التملص منه ومن قبلاته وحاربته بكل إرادتها.

«اتركني» صرخت حين تصلبت ذراعيه حولها.

«إهدائي» قال وهو يتابع تقبيلها وأكمل: «لا تصارعي هكذا، جاين انت زوجتي».

«لقد أجبرتني على الزواج منك لأجل آندرو، انت قلت ان عليه ان يحمل إسمك وهذا هو السبب الوحيد الذي جعلني أوافق».

«السبب الوحيد؟» سألها بتهكم وصوته مخنوق من عواطفه المكبوتة.

«إذا كنت تظن انني تزوجت منك لأني أردت منك ان تشاركني الفراش، فأنت مخطىء» قالت وهي تشعر بالضعف يزداد داخلها ولكنها لاحظت تصلب ملامحه وخوفها من ان يستغلها كشيء يلهو به لبعض الوقت جعلها تتابع: «انا لا اتحمل لمسك لي، ولهذا إبعد يديك عني من فضلك، انا اكرهك وأتمنى ان تتركني وحدي لأتابع حياتي كما اريد».

تركها رودلف فوراً وعينيه تقدحان كالنار من الغضب وكان فمه متصلباً وقاسياً وهو ينطق بالكلمات التي كانت تمزق أحشاءها تمزيقاً.

قال: «إذا اردت ان تتركي وحدك جاين، فسأخبرك على العكس بك إستمتاع، لكل رجل كبريائه، ولكل إمرأة سعرها، لكني أستطيع التأكيد لك انني لن أقضي أيامي وحيداً، أدور حول إمرأة سذاجتها وغبائها يمنعانها من معرفة الحياة على حقيقتها».

إرتجفت من شعورها بالتجلّد لكنها قالت انها تستحق

قسوة هذه الكلمات وقالت له: «اعتقد ان سيبيل رامبلنغ تشغل حيزاً مهماً من هذه المخططات؟».

«ربما» قال بعدم إكتراث وهو ينهض ويحدق بها ورموشه تخفي ما في داخل عينيه الخضراوين وتابع: «لكن لا تدعي تفصيلاً غير مهماً كهذا يزعجك».

«انا أكرهك لما فعلته بي، رودلف برنك» قالت بغضب لتؤذيه بنفس القدر الذي كان يؤذيها به.

«لا تضحكي على نفسك جاين، انت كنت اكثر من راغبة في مشاركتي الفراش في الليلة الأخيرة التي قضيناها معاً على الشاطىء» وضحك بمكر وتابع: «لربما كنت قد خططت لتجري الأمور على ذلك النحو».

«هذا كذب وأنت تعرف هذا».

«هل حقاً أعرف؟» سأل بإستهزاء ونظرته كالسكين التي تمزق قلبها: «ما الذي أعرفه حقاً عنك، كنت اظن انني قد عرفتك سابقاً، لكن يبدو انني كنت على خطأ، الفتاة التي عرفتها كانت محبّة، دافئة وحنونة وقلبها واسعاً وكبيراً ويتسع للعالم بأكمله».

أخفض صوته وهو يسألها بقوة: «ماذا فعلت بتلك الفتاة جاين؟».

تصلبت أصابعها على الغطاء فيما كان قلبها يخفق بشدة وقالت: «انا لا اعرف عمَّا تتكلم».

«كلا، لم اعتقد ان جاين الجديدة هذه التي تظهريها للعالم ستعرف عمَّا أتكلم... لكني اريد ان أعطيك كلمة تحذير. لا تستيقظي على الحقيقة بعد فوات الأوان، لأنني لن أكون حينها مستمعاً متعاطفاً، تصبحين على خير».

أغلق الباب وراءه بقوة أخافتها ولعدة لحظات ظلت

تحدق بالباب غير قادرة على الحراك وترتعش تحت وطأة الوزن الثقيل الذي كان يجثم على صدرها.

في الغرفة المجاورة لها، كان آندرو ينام بهدوء وطمأنينة، ولكن كل الرغبة في ان تحذو حذوه هجرت جاين، فأطفأت الضوء وقضت الساعات وهي تحدق في ظلام الغرفة، وهي تتساءل إن كانت قد تصرفت تصرفاً صحيحاً في رفضها كل ما كان رودلف يقدمه له وأرتجفت حين تخيلته بين ذراعي سيبيل رامبلنغ، سيكون من الطبيعي له ان يعود الى سيبيل وستربح هذه معركتها ضد جاين وتعلن إنتصارها.

أوضح رودلف لها بكل تصرفاته في الأيام التالية انه كان يعني قوله بتركها وحيدة والإبتعاد عنها، فكان يتعامل معها على انها غريبة وأنه مجبَر على معرفتها وكان يهز رأسه ببرود مُحيياً إياها حين يلتقيان، كان هذا الوضع صعب جداً وغير محتمل وشعرت جاين ان عليها التنازل قليلاً عن كبريائها والقيام بالخطوة الأولى لإصلاح علاقتهما لكن رودلف كان يقضي معظم الوقت خارج البيت وحتى في المساء ولهذا لم تجد الفرصة لتكلمه أو تعتذر له.

دعى سيبيل للعشاء في إحدى الأمسيات وفيما دخلت جاين على غرفة الجلوس سمعت سيبيل تتمتم بصوتها المبحوح: «عزيزي، لقد كان من الرائع ان تكون لي وحدي طوال هذه الأيام السابقة، تماماً مثل الأيام القديمة».

وشعرت جاين بغصة في قلبها لأن شكوكها قد تأكدت لكنها لم تُعطِ أي إشارة خارجية، على ان كلام سيبيل قد أزعجها حين أخذ رودلف ينظر اليها بتهكم وعلى فمه

www.elromancia.com

إبتسامة كسولة، إذا كان قد تورط بعلاقة ما مع سيبيل فهذا شأنه الخاص، قررت بنفسها، متجاهلة لسعة الغيرة التي ضربتها وجعلتها ترتجف داخلياً.

وتساءلت بعد حين كيف تمكنت من النجاة من هذه الأمسية المؤلمة، من كلام سيبيل وملاحظاتها أدركت جاين هذه المرأة تعرف ان زواجهما لا يسير على الطريق السليم وانها كانت تستغل هذا لمصلحتها الخاصة وتتجاهل كلياً وجود جاين في محاولاتها لإسترجاع رودلف.

«انت تستحقين عدم إعتباره تماماً لمشاعرك الخاصة» قال صوت خافت داخلها، فيما كانت تلاحظ عدم محاولة رودلف ان يمنع تقربات سيبيل منه.

شعرت جاين برغبتها في الصراخ والبكاء من الألم حين التقت نظراتها مع نظرات إيمي، لكنها ايضاً شعرت بالدهشة للتعبير الصارم الذي كان على وجه إيمي والذي يعبر عن الإنزعاج.

«ماذا يظن رودلف انه يفعل؟» سألتها إيمي لاحقاً حين انفردتا لبعض الوقت وتابعت بغضب: «الطريقة التي يسمح بها لسيبيل لتسلبه هي طريقة مقرفة! لماذا لا تفعلين شيئاً بهذا الخصوص؟».

«لا يوجد أي شيء أستطيع القيام به» قالت جاين بهدوء وهي تشعر بالدهشة من موقف إيمي.

فأعلنت إيمي بغضب: «حسناً، لو كنت مكانك لذهبت اليهما وشددت لها أذنها أو لكمتها على وجهها، لطالما كنت معجبة بسيبيل لكن طريقة تصرفها هذا المساء تكاد تجعلني أكرهها، والأكثر من هذا، أستطيع ان أرى ما يحصل يكدّر والدتي ويشغل بالها ويزرع التوتر داخلها وهذا

سيؤدي حتماً الى مرضها والى بقاءها في السرير وتناولها المهدئات».

وكما تنبأت إيمي فقد بقيت السيدة برنك في الفراش صباح اليوم التالي وشعرت جاين انه عليها التنازل عن كبريائها والتوصل مع رودلف الى حل لتغيير هذا الوضع السيء بينهما، فأخذت سيارة إيمي صباح اليوم التالي وذهبت الى المدينة لتشتري بعض الأشياء وهناك وعند الساعة الثانية والنصف إتصلت بمكتب رودلف من أحد مراكز الهاتف لتدعوه لتناول الغداء معاً في أحد المطاعم.

رد عليها صوتاً نسائياً قائلاً: «مكتب السيد برنك، أهلاً».

«مرحباً» بدأت جاين ويديها تمسكان بالسماعة بعصبية: «هل أستطيع التحدث مع زوجي من فضلك؟».

«انا آسفة سيدة برنك لكن زوجك قد غادر المكتب قبل بضعة دقائق ليذهب الى موعد على الغداء مع الآنسة رامبلنغ».

«هكذا؟» قالت جاين بهمس فيما تناثرت آمالها حولها.

ثم بعد تردد تابعت سكرتيرة رودلف: «إذا أردت أستطيع ان أعطيك إسم المطعم الذي ذهبا ليه».

«لا... لا شكراً لك، هذا ليس ضرورياً».

«سأخبره انك قد إتصلت به حين يعود».

«ارجوك لا تفعلي» توسلت جاين بسرعة: «لم يكن الأمر مهماً».

كانت ترتعد وهي تمشي وتدخل الى أحد المقاهي حيث طلبت القهوة، لن تستطيع ان تأكل وهي في هذه الحالة من الغضب والتوتر وإلا فأن الطعام سيخنقها، وسيطر الغضب

على باقي مشاعرها للحظة، فإذا أراد رودلف ان يتناسى ولا يعتبر مشاعرها فيجب عليه على الأقل ان يراعي مشاعر والدته والقلق المتزايد الذي يتسبب لها به.

أخذت تنظر الى الناس في الخارج وهي تحتسي القهوة بيدين مرتجفتين ولكنها لم تكن ترى أحداً أو شيئاً، وحاولت السيطرة على مشاعرها، فإذا أراد رودلف الإستمرار بهذه الحرب الباردة بينهما فليفعل وهي ستكون قادرة تماماً على تحديه وتجاهله.

لدهشتها لم يغادر رودلف البيت ذلك المساء وحين غادرت إيمي الغرفة وبقيا وحدهما نهضت جاين بدورها لتخرج لكن أصابعه القوية التفتا على رسغها حين مرت بجانب كرسيه ونهض عنها.

قال: «لقد علمت انك قد إتصلتي بي في المكتب هذا اليوم» وترك يدها فيما وقفت بهدوء قبالته.

«نعم، لقد فعلت، لكنك كنت قد خرجت للغداء».

«مع سيبيل، اجل» اعترف بنعومة مبتعداً عنها ليشعل سيجارة تاركاً لها الوقت لتدرك انه لا يشعر بأي ذنب بإشهاره لعلاقته مع سيبيل أمامها.

«هذا ما عرفته» قالت بهدوء.

«لماذا أردت التحدث إليّ؟».

«لم يكن الأمر مهماً».

إلتفت بسرعة نحوها وشعرت بنفسها محتجزة بين الستائر المخملية وراءها وبين نظرة عينيه الحريرية وقال: «عزيزتي جاين، الأحصنة المتوحشة ما كانت لتجبرك على مكالمتي لو لم يكن الأمر مهماً، إذن دعينا نحصل على الحقيقة».

حاربت ذعرها وأجابته ببرود كان بعيداً كل البعد عنها:

«إذا أردت ان تعرف، فأنا كنت قلقة على والدتك، وكنت آمل ان نخرج سوياً للغداء في أحد مطاعم البلدة حيث ستتمكن من إصلاح هذا الوضع قليلاً لأجلها».

«لم يعد الأمر ضرورياً» قالت ونظرها مركز على زر قميصه وتابعت: «سأتدبر الأمر بطريقة ما دون مساعدتك».

للحظات ساد الصمت بينهما، ثم تحرك رودلف وقال: «كما تريدين».

لأنصراف، فهرولت سريعاً خارج الغرفة وكادت ان تصطدم بإيمي على السلالم، فاتكأت على الدرابزين محاربة الدموع التي كادت تتساقط من عينيها.

«ترغب أمي في رؤيتك قبل ذهابك للنوم» قالت إيمي وهي تنظر اليها بفضول.

طأطأت جاين رأسها وأستدارت.

«وجاين...» ترددت إيمي قليلاً قل ان تتابع: «إذا احتجت للتكلم مع أحدهم فأنا أستطيع ان أكون مستمعة جيدة إذا أردت».

موجة من الدفء غمرت قلب جاين البارد وشوشت الدموع داخل عينيها رؤيتها، وأندفعت تعانق إيمي بحب وتمتمت: «شكراً لك، إيمي س... سأتذكر هذا».

دخلت جاين بعد هذا الى غرفة السيدة برنك التي بدت تعبة وشاحبة في سريرها، وهي متكئة على المساند وعينيها مغلقتين، تليّنت نظرة جاين وهي ترمق وجه هذه المرأة اللطيفة.

رمشت الوالدة بعينها وفتحتهما وكأنها أحست انها لم تعد وحيدة في الغرفة.

إنحنت جاين قربها وقالت: «أمي... أردت رؤيتي؟».

www.elromancia.com

«نعم يا ابنتي» قالت بصوت متعب وهي تزيح الكتاب عن الكرسي المجاور لسريرها لتجلس جاين عليه.

«هل هناك أي شيء أستطيع القيام به لأجلك؟» سألتها جاين بإهتمام.

«نعم يا عزيزتي... أخبريني لماذا تدعين سيبيل تدخل بينك وبين رودلف؟».

انتفض قلب جاين بقوة لكنها تمالكت نفسها وأبتسمت للمرأة بإطمئنان وقالت: «الأمر ليس سيئاً كما يبدو في الظاهر».

«إذا حاولت أي إمرأة العبث مع زوجي بالطريقة التي تعبث بها سيبيل مع رودلف مؤخراً، لكنت طردتها خارج بيتي ولتأكدت انها لن تعود اليه أبداً» تابعت وتنفسها لاهث: «بصفتك زوجة رودلف، انت الآن سيدة هذا البيت، جاين ولك كل الحق في إختيار ضيوفك الخاصين».

«لا تزعجي نفسك أمي» قالت جاين بحنان وهي تمسك اليدين المعروقتين.

«اريدك ان تكوني سعيدة جاين، ومن الطبيعي ايضاً ان أرغب في ان يكون إبني سعيداً ايضاً، رودلف يستحق السعادة، الله يعلم انه قد سخر نفسه حتى الموت لعدة أشهر بعد وفاة زوجي، ليؤمن لي ولإيمي كل شيء، وحاول بنفس الوقت إحياء العمل والشركة مجدداً... كان دائماً غير مهتم حين يصل الأمر الى صحته وعنائه، كان يعمل أربع وعشرون ساعة في اليوم ويسترق فقط بعض لحظات الأستراحة حين يصبح الضغط لا يطاق».

تصلبت حنجرة جاين وتمتمت: «هل كان الأمر...

بهذا السوء؟».

«لا يمكن ان يكون الوضع أسوأ مما كان عليه يا إبنتي» إعترفت السيدة برنك ويديها تتصلب داخل يدا جاين «كنا على وشك الإفلاس، على حافة الأنهيار وكنا سنخسر كل ما نملك، الجميع نصح رودلف بالبيع قبل ان نخسر آخر فلس معنا، لكن شعوره بالواجب، إخلاصه وتصميمه لم يمكناه من الإستسلام دون مقاومة، وأشكر الله على هذا، لأنه بظرف سنة عادت الأعمال لتزدهر في شركتنا، وتوسعت جداً لدرجة ان رأسي يدوخ حين أفكر بمداها».

فيما كانت السيدة برنك تتكلم تذكرت جاين صوت رودلف في السنتين السابقتين، خلال المكالمات القليلة التي تبادلاها قبل قطع علاقتهما، هل كان من الممكن انها أخطأت وظنت ان لهجته المرهقة كانت بسبب فتور شعوره نحوها وليس بسبب التعب والمصاعب التي كان يمر بها؟ فهذا يفسر فقدان الحيوية والإندفاع في صوته في ذلك الوقت، لكن هذا لا يفسر حقيقة إتصال سيبيل بها وإخبارها ان قطع علاقتهما سيسبب الإرتياح لرودلف ولم يكن عندها أي سبب لتشك في هذا الواقع.

«أمي...» بدأت جاين وهي تفتش بصعوبة عن الكلمات المناسبة وأكملت: «هل كان هناك تفاهماً بين سيبيل ورودلف؟».

«إذا كان هناك، فأعتقد ان هذا كان عادياً جداً» أجابت السيدة برنك بتفكير: «لأن رودلف وسيبيل قد ترعرعا سوياً، وكانت هي من النساء القليلات التي كان يقضي رودلف وقته معها، وكنا جميعاً نعتقد انهما سيتزوجان، كما كانت سيبيل دائماً تلمح» ثم إنحنت الى الأمام قليلاً

www.elromancia.com

وسألت جاين بعجل: «جاين، هل كان رودلف على علم انك تحملين طفله في أحشائك؟».

«كلا».

«ولماذا لم تخبريه؟».

عادت الى جاين ذكرى تلك الأيام الماضية بقوة فأخذت تقضم شفتها بقوة وعصبية قبل ان تتمكن من الكلام.

«لسبب واحد، انا لم أرد ان أكون عبئاً إضافياً على كاهل رودلف، ولسبب آخر، انا... اعتقدت انه يريد الزواج من سيبيل!».

«ما الذي بحق السماء أوحى لك بهذه الفكرة؟».

«لا يهم هذا الآن، أمي».

إرتجفت يدا السيدة برنك قليلاً قبل ان تقول: «جاين... أغفري لي حشريتي، لكن... هل تحبين إبني؟».

اشتعلت خدا جاين ونظرت الى المرأة المستلقية بصدق وقالت: «نعم أمي، اني أحبه، لمدة سنتين حاولت إقناع نفسي اني نسيت كل شيء عنه وأن حبّه قد زال من قلبي نهائياً، لكنني اكتشفت ان الحب ليس شيئاً يمكننا الإستمرار به او التوقف عنه بإرادتنا، فأنت إما تحبين شخصاً ما أو لا» وخنقت دموعها وهي تتابع: «وحتى الآن وبعد زواجنا فقد حاولت نكران هذا الحب ومحاربته ولكن يبدو اننا في هذه اللحظة بعيدين جداً عن متناول بعضنا البعض... لكنني لا أزال أحب رودلف كثيراً، كثيراً جداً».

«انا سعيدة لسماعي هذا يا عزيزتي» قالت السيدة برنك بتنهد وأستلقت مجدداً على المساند وأغلقت عينيها للحظة

قصيرة ثم تابعت: «حبك سيجد وسيلة ما لربط الجسور بينكما، ليفكك سوء التفاهم الذي يمنعك من تذوق فاكهة حبك».

نهضت جاين ومشت الى النافذة مخبأة دموعها عن عيني المرأة، حركة في الشرفة جذبت إنتباهها فمسحت دموعها بسرعة لتتمكن من الرؤية ورأت رودلف متكئاً على حافة الشرفة وإحدى يديه داخل جيبة بنطاله، تعابيره كانت قاسية ومتصلبة، حاجبيه كانا منعقدين بتقطيب كأن أفكاره تغضبه.

«انت متفهمة جداً وثاقبة النظر يا أمي» قالت وهي تستدير بسرعة عن النافذة وتعود الى جهة السيدة برنك.

«انا أعرف إبني وأعتقد انني بدأت أعرفك انت ايضاً» ابتسمت قليلاً وتابعت: «بإمكاني مساعدتك ولكن تجارب الحياة علمتني انه من الأفضل لك ان تجدي حلولك الخاصة لمشاكلك ومصاعبك، عندها فقط بإمكان القدر ان يمحي الماضي كله ويفسح الطريق أمام البداية الجديدة».

www.elromancia.com

- ٨ -

البداية الجديدة، كررت جاين الكلمات لاحقاً، هل سيكون لها ولرودلف بداية، جديدة فيما لا يزال هناك الكثير من الشك في عقلها حول مصداقيته؟ كانت واثقة من شيء واحد فقط، وهو ان سيبيل لن تفلته من قبضتها أبداً.

وصل رودلف متأخراً من المكتب مساء اليوم التالي، ودخل فوراً الى مكتبه وهو بالكاد لمس عشائه، صعدت إيمي الى غرفتها لتدرس، فيما إلتجأت جاين الى وحدة غرفتها، آندرو كان نائماً والصمت المطبق حولها إزداد لدرجة انها لم تستطع مقاومة رغبتها في زيارة غرفتها المفضلة العلّية.

نظرت الى الممر بسرعة قبل ان تهرول الى الستائر التي

تخفي باب الغرفة ودخلتها وأغلقت الباب وراءها ثم أضاءت المصباح.

اللوحة ظهرت مختلفة بشكل غريب تحت الضوء الإصطناعي، كان هناك مرحاً واضحاً في تلك العينين الرماديتين، ونعومة حول الشفتين لم تلحظها جاين من قبل، وأخذت تتساءل إن كانت حالتها النفسية هي التي تهيأ لها هذا التعبير الكبير من تحليلها للوحة.

فالمرأة التي كانت تنظر اليها من اللوحة كانت مشرقة من السعادة، وقد ذكرتها بشخص تعرفه... لكن من؟ وفتشت في ذاكرتها عن هذا الشخص لكنها لم تصل الى نتيجة.

غرقت في أفكارها وقفزت بسرعة فجأة حين سمعت وقع خطوات خلفها تماماً.

فالتقطت أنفاسها وإستدارت لتجد نفسها وجهاً لوجه مع رودلف، نظرته الفاحصة رأت إلتماع في عينيها فإرتسمت على شفتيها إبتسامة هازئة صغيرة.

«اعتقد... اعتقد انه ليس لي الحق بالدخول الى هنا» خرجت الكلمات من فمها بسرعة وتدافع فيما أمسكت يديها وراء ظهرها.

«المفتاح دائماً معلق قرب الباب وبإمكان أي شخص الدخول الى هنا».

سيطر الصمت المتوتر على الهواء وتساءلت جاين إذا كانت ستستقبل الآن تعنيفاً قوياً من هذا الرجل الطويل القامة الصامت والواقف أمامها.

«هل تستأثر هذه اللوحة بإهتمامك؟» سألها فجأة ودون مقدمات مما جعل أعصابها تقفز بسرعة، فحدقت به للحظة وكأنها لم تفهم أو تسمع ما قال، فأعاد عليها السؤال ثانية.

www.elromancia.com

احمرت وجنتاها فيما إستدارت وواجهت اللوحة وقالت: «هناك شيء ما مألوف جداً حولها، لكني لا أستطيع ان اكتشف ما هو».

ثانية سيطر الصمت المتوتر بينهما جاعلاً أعصابها ترتجف بشدة، بكل ذرة في كيانها كانت تشعر بوجود رودلف الواقف قريباً منها، وإغراء إتكائها على صدره كان كبيراً، ورغبتها في ان تشعر بذراعيه حولها كادت تقضي عليها.

«تعالي الى هنا» أمرها وأمسك بذراعيها وقربها من مرآة الخزانة، واضعاً يديه على كتفيها أدارها وجعلها تواجه صورتها المنعكسة في المرآة: «أنظري جيداً الى نفسك» قال بقسوة: «والآن أنظري الى اللوحة وأخبريني ماذا ترين؟».

إرتعشت جاين وهي تحدق بنفسها مدركة للمرة الأولى الشبه الكبير بينها وبين المرأة الموجودة في اللوحة، لكن هذا غير ممكن فكرت بنفسها بعناد وهي تستدير عن المرآة وتنظر الى اللوحة.

«لكنني لا أبدو مثلها، انا...».

«بالطبع انك تبدين مثلها» قاطعها رودلف وقد عيل صبره: «نفس لون الشعر، نفس العيون، نفس ملامح الوجه».

إبتعد عنها بعد هذا ووضع يديه في جيبي بنطاله وأتكىء على الحائط، بجانب اللوحة ونظر اليها بنقد لاذع وقال: «حتى ان هناك تشابهاً بالإسماء، فإسمها هو يورشيا دويل، مصادفة عجيبة حتى إسم عائلتها نفس إسم عائلتك».

يورشيا دويل! تكرر الإسم داخل عقلها، محاولاً طرق

ذاكرتها لكنه لم يجد أي تجاوب، كانت وجنتا جاين شاحبتان حين رفعت نظرها مجدداً الى المرأة ذات العينين الضاحكتين هل من المفروض ان تكون تعرفها، أم ان تشابه الأسمين هو مجرد مصادفة؟.

«سأذهب الى كاب تاون الأسبوع المقبل» قاطع رودلف أفكارها المضطربة: «وأعتقد انك ترغبين بالمجيء معي، أترغبين؟».

«هل... هل تسمح لي؟» سألت وهي تستعيد رباطة جأشها.

«انا أسألك اليس كذلك؟».

السخرية القاسية في نبرته لم تفوتها لكنها أختارت ان تتجاهلها وسألته: «وماذا عن آندرو؟».

«سيأتي معنا بالطبع، انا واثق ان جدّيه يرغبان برؤيته».

غضت بصرها بسرعة وتمتمت: «شكراً لك رودلف، انا... انا أرغب جداً بالذهاب».

عضت شفتها بقوة وهي تتمنى لو انها كانت قادرة على عدم التلعثم هكذا كطفلة. الصمت كان لا يحتمل بينهما، وتساءلت إن كان هناك شيء نسيت ان تقوله.

كان هناك مسحة من عدم الصبر في تحرك رودلف من مكانه وهو يستعد للمغادرة وقال: «سأتصل بوالديك وأقوم بالتدابير اللازمة».

تخلصت قليلاً من حالة الإضطراب المسيطرة عليها وتساءلت إن كان لا يمانع في ان تتحدث شخصياً مع والديها.

«رودلف...» بدأت بتردد حين فتح الباب ليغادر.

«نعم؟».

www.elromancia.com

وأنتظر بصبر لما ستقول، لكنها لم تستطع ان تمكّن نفسها من النطق وعوضاً عن هذا هزت رأسها بأعتذار وقالت: «لا يهم».

إلتمعت عيناه بغرابة وهو يواجهها بتلك الإبتسامة الساخرة الحائمة حول فمه وقال: «إذا نزلت الى مكتبي بعد حوالي النصف ساعة فستتمكنين من التحدث مع والديك بنفسك».

وغادر قبل ان تشفى كلياً من الإضطراب لترد على كلامه، من غير المعقول الطريقة التي ينجح بها دائماً في قراءة أفكارها، تاركاً إياها بصحبة الشعور المزعج المقلق، انها لا تستطيع إخفاء أي شيء عنه.

بقيت في العلّية لبعض الوقت بعد ذهابه وأخذت تحدق باللوحة، قد يكون مجرد صدفة التشابه الكبير بينها وبين يورشيا دويل صاحبة اللوحة هذه، لكن كيف بإمكانها شرح خقيقة ان إسمي عائلتهما هو نفسه دويل؟ هل من الممكن ان هناك صلة قرابة بينهما؟.

ستساءل والديها عن هذا قررت جاين هي في طريقها الى مكتب رودلف لتجده يتحدث مع والدها عبر الهاتف، فقطع فوراً كلامه وناولها السماعة.

كان صوتها مرتجفاً وهي تتحدث مع والدتها ورغم تظاهر رودلف بالإنشغال بالأوراق التي كانت أمامه إلا ان جاين كانت متأكدة انه ينتبه لكل كلمة تنطق بها.

«والدتي تصر على بقاء آندرو معهم خلال فترة زيارتنا» قالت جاين أخيراً بعد ان وضعت السماعة مكانها.

«من الطبيعي انهما يريدان ان يستمتعا بوجوده معهما قدر ما يستطيعان» قال بموافقة مدهشة وهو ينهض عن

المكتب وتابع: «وسيعطيك هذا الوقت لتزوري كل أصحابك القدامى ومعارفك».

«ليس لي الكثير من المعارف في كاب تاون!».

إنحنى رودلف على مكتبه وأشعل سيجارة وقال: «وماذا عن اليسون بيترز؟».

أدهشها انه لا يزال يتذكر إسم صديقتها بهذه الدقة لكنها تجاهلت التعليق على هذا وقالت: «اليسون تدرس في مدرسة في قرية كاوو القريبة من مزرعة والديها وأيضاً، لا شك انها مشغولة جداً في هذا الوقت بالتحضير لحفلة زفافها.

رفع حاجبيه بإستفسار وسارعت بإخباره بإختصار بمحتوى رسالة اليسون وقالت: «انها ترسل لك تحياتها».

أحنى رودلف رأسه بشكر ثم إستدار عنها وكأنه بدأ يجد المحادثة بينهما مملة، ربما أرادها ان تغادر، فكرت وهي تلمح الوثائق المهمة الموضوعة على مكتبه فهو قد أحضر العمل معه ليكمله هنا، لكن كان من غير المجدي عدم الإعتراف انها لم تكن راغبة في المغادرة.

«شكراً لك لأنك... لأنك دعوتني لمرافقتك» تمتمت بصوت منخفض وهي تشعر بالغضب من نفسها لإظهارها له عدم رغبتها في المغادرة والإبتعاد عنه.

«كان الأمر سيبدو غريباً لو انني لم أصطحبك!».

صراحة إجابته حطمت أوهامها وأشعلت غضباً داخلها، لم تتمكن من السيطرة عليه.

فقالت: «كان يجب عليَّ ان أدرك ان دعوتك لي لم تصدر بسبب إهتمامك بمشاعري».

«لا تكوني مشككة دائماً هكذا جاين» قال بقوة وهو

www.elromancia.com

يستدير ليواجهها: «لقد مضى على مغادرتك بيت أهلك عدة أسابيع حتى الآن، ووالديك بالتأكيد سيرغبان برؤيتك ولو حتى فقط ليطمأنوا انني لم أسبب لك الأذى بأي طريقة».

«وما الذي يجعلك تعتقد انهم بحاجة للتطمين؟».

«فكري بذلك جاين» قالت وهو يرفع يديه داخل شعره بحركة عصبية لم تلحظها فيه من قبل وتابع: «ما الذي يعرفانه حقاً عني؟ رأوني لقليل من الساعات وقبل ان يتمكنوا من تكوين رأي حولي كنا قد تزوجنا وكنت في طريقي ثانية الى جوهانسبورغ وبعد شهر لحقتي بي، ومع اني قد طمأنتهم على الهاتف انك بخير فلا شك انهما يريدان ان يروا هذا بأنفسهم».

كلامه المنطقي كان صحيحاً، لكن كان هناك شيء آخر في إقتراحه الذهاب الى كاب تاون شيء جعلها غير سعيدة فسألته: «لماذا لا نستطيع ان نبقى عند أهلي؟».

«عزيزتي جاين، انا ذاهب الى كاب تاون بسبب العمل وليس للمتعة، ولا أستطيع ان أفقد دقائق ثمينة بإنتقالي من البلدة الى المدينة وأنت، جاين ستبقين معي في الفندق».

رفعت ذقنها بتحدي وقالت: «وإذا قلت لك انني أفضل البقاء عندهم؟».

رفع رودلف حاجبيه بإستهزاء وقال: «عندها سأكون مضطراً انا ايضاً بالبقاء عندهم وستجدين الأمر مربكاً جداً لتشرحي لهم لماذا نحن لا نتشارك نفس غرفة النوم».

احمرّت من الإذلال والغضب وقالت له وهي تنظر مباشرة الى وجهه: «اعتقد انك تظن نفسك ذكياً».

«كلا، انا فقط أتفادى المشكلة بطريقة منطقية» أجاب

بتعجرف وثقة جعلاها ترتجف من الغضب وتابع: «في الفندق سيكون عندنا جناحاً بسريرين ولن يكون هناك أية أسئلة أو إستفسارات، فما الذي تفضلين؟».

السخرية الظاهرة في نبرته رفعت حدة اللون على وجنتيها فغضت بصرها فوراً وقالت: «انت تعلم جيداً انك لا تترك لي أي خيار».

«انا سعيد لأنك تعقّلت أخيراً».

قضمت جاين شفتها مجدداً ورمته بنظرة غاضبة قبل ان تسرع بالخروج من الغرفة ندمت بمرارة على تشوقها لقبول دعوته، وإذا غيرت رأيها الآن فستتسبب بخيبة أمل لوالديها وسيحرمها من معرفة المزيد حول يورشيا دويل، كانت عالقة بين قرارها الخاص وبين تأكدها ان والديها سيتمكنان من حل اللغز الذي يحيرها.

كانت هناك سيارة بإنتظارهما خارج مطار د. ف مالان لتقلهما الى الفندق، وتصاعدت إثارة جاين حين رأت المناظر المألوفة حولها والجبال التي تحيط بالمكان، هذه كانت كاب تاون، حيث النسيم المنعش الجنوبي الغربي يجعل شعرك يتطاير حول وجهك ويضع طعمة الملح على شفتيك، فيما المحيط المتماوج يظهر وكأنه يمتد الى اللا نهاية.

«كدنا ان نصل» أعلن رودلف وهو يلاحظ حركات آندرو الغير مرتاحة.

الرحلة من جوهانسبورغ لم تكن متعبة كما توقعت، آندرو ظل نائماً معظم الوقت على المقعد الذي جهزته المضيفة له، تاركاً جاين حرة في الأسترخاء والإستمتاع بالتجربة، رودلف قضى معظم وقت الرحلة وحقيبة أوراقه

على ركبتيه ومرتباً بعض الأوراق وواضعاً الملاحظات لربما كان هذا أفضل فكرت جاين، فهما دائماً ينتهيان بالشجار كلما تناقشا أو تحدثا معاً.

الفندق الذي كان قد حجزه كان من أغلى الفنادق في المدينة، وحبست جاين أنفاسها حين قادهما الموظف المختص عبر الأرض المغطاة بالسجاد السميك الى جناحهما، نظرت بدهشة الى رودلف لكنه كان يبدو معتاداً على ما حوله، جناحهما كان رائعاً بدوره وله جهة صغيرة خاصة، الأبواب الزجاجية كانت تفتح على شرفة واسعة تعطيهما منظراً رائعاً عن الجبال الخضراء المحيط بهم، وبين الكرسيين المزخرفيين كان هناك طاولة صغيرة عليها العديد من المجلات والكتب التي توحي بالألفة والتي سببت لها الغصة في قلبها.

هذه الأيام القليلة مع رودلف في كاب تاون كان من الممكن ان تكون مثالية لو ان فقط... إستجمعت أفكارها فوراً وتحركات آندرو بين ذراعيها أعادتها الى أمور واقعية اكثر فيما غيَّر رودلف ملابسه مرتدياً قميصاً مريحاً أهتمت جاين بأمور آندرو قبل ان تفك الحقائب.

«لقد أمرت بإحضار الغداء الى هنا» قال وهو يدخل الى غرفة جاين بعد قليل وكأن له كل الحق بإختراق غرفتها هكذا دون الطرق على الباب: «يجب ان أذهب الآن لبعض الوقت لكنني سأعود قبل الغداء».

«الى اين... الى اين انت ذاهب؟» سألته بعصبية وهي تشعر بالخوف من بقائها وحيدة في هذه الغرف المتقابلة ولو حتى لبضع دقائق.

«هل تريدين ان تعرفي حقاً؟».

مسحة السخرية الخفيفة في صوته جعلتها تهز رأسها علامة السلبية وكذبت قائلة: «لا اريد فعلاً ان اعرف الى اين انت ذاهب» وأدارت وجهها، لتمنع عنه رؤية خديها الموردين وتابعت: «انا أسأل فقط من باب اللياقة».

أصابعه القوية امسكت بوجهها وأدارته اليه: «أستطيع البقاء دون اللياقة منك، جاين على كل حال ليس عندي الوقت الآن للدخول في مناقشات مطوَّلة».

كان هناك لمعة من الغضب داخل عينيه جعلتاها تشعر بالخوف ولكن لراحتها فقد تركها فوراً وغادر الغرفة، وبعد لحظات سمعت باب جناحهما يغلق وراءه، وربتت على ذراعيها حيث كانت أصابعه القوية قد أمسكتاها بقسوة، فتنهدت ثم أخذت بفتح حقيبتها ووضع الثياب مكانها فيما كان آندرو يلعب بهدوء على السجادة قرب السرير.

كان قد مضى على خروج رودلف حوالي الساعة حين دخلت جاين الى غرفة نومه ورأت الحقيبة المفتوحة على السرير ورأت القميص الذي خلعه موضوعاً على الكرسي قرب السرير فإبتسمت قليلاً ثم أسرعت بتوضيب ملابسه في الخزانة قبل ان تغير رأيها وبإثارة إستدارت بعد قليل لتجد رودلف يدخل الغرفة حاملاً آندرو بين ذراعيه.

«لقد وضبت لك ثيابك... ارجو ان لا يكون عندك مانعاً؟».

«ولماذا أمانع كونك قد أرحتني من القيام بهذا العمل المزعج بنفسي؟» سأل ببراءة ساخرة وأستدار نحو باب الجناح بعد سماعهما صوت طرقة عليه: «يبدو ان غداءنا قد وصل».

وكان هذا فعلاً الغداء وجل النادل الطاولة ذات الدواليب

ووضعها في منتصف الغرفة ثم غادر.

آندرو الغير مهتم بمنظر الصحون المرتبة جيداً على الطاول استقر رأيه فوراً على صحن سلطة الفاكهة.

«يبدو ان لديك أفكاراً محددة عمّا يريد» علّق رودلف بمرح والتمتعت عيناه حين التقت بعينيها وتابع: «مثلي تماماً».

الملاحظة الأخيرة كانت متعمدة فتسارع نبض جاين، لكنها لن تسمح له بأخذها والتمتع بها لبعض الوقت ثم رميها قالت لنفسها وهي تصارع رغبتها المتزايدة بالإستسلام له، وحين تكلمت أخيراً كان صوتها مهتزاً قليلاً رغم محاولاتها للسيطرة.

«الحياة لا يمكن مقارنتها بإنتقاء طبق سلطة الفاكهة».

«ماذا يعني هذا؟» سألها وعينيه تلتمعان بنظرة خطيرة أصبحت تعرفها جيداً.

«انه يعني ببساطة ان الحياة اكثر تعقيداً من هذا بكثير» قالت وهي تبدى بالطعام وتنتبه بنفس الوقت كي لا يرمي آندرو أي شيء على الأرض.

«هل خطر ببالك يوماً اننا نختار ان نعقد حياتنا بتصرفاتنا وأهوائنا الخاصة؟» سألها وهو يكمل حديثهما بعد ان وضعت آندرو ليلعب بالألعاب التي أحضرتها له معها.

«لدرجة كبيرة اعتقد اننا نفعل اجل» إعترفت وهي تشعر بالدهشة من سؤاله.

«لماذا؟».

«لأنه غالباً، تصرفاتنا تحكمها عواطفنا وأهوائنا» قالت بعد لحظة تردد.

العيون ذات الرموش السميكة سخرتا منها بحدة: «هل

تقترحين إذن انه للتغلب على هذه المشكلة على الإنسان ان يفكر فقط بعقله وأن يعمل فقط بما يميله عقله عليه؟».

«هذا سيكون مستحيلاً».

ارتفع حاجبيه وسأل: «هل تعتقدين هذا؟».

«سيكون الإنسان عندها غير إنساني» قالت بوضوح.

«لكن الحياة ستكون أقل تعقيداً بدون صراعات العاطفة».

كان هناك تياراً خفياً خلف مناقشتهما، كانا كأنهما يدوران بعناية حول موضوع حيوي لكن أحداً منهما لم يكن عنده الجرأة على فتح هذا الموضوع بطريقة مباشرة وصريحة، وعوضاً عن ذلك كانا يلعبان لعبة الإحاطة هذه التي لن تؤدي الى أي مكان.

«العقل لا يعطي السعادة» سمعت نفسها تقول بصوت جامد.

«لكنه قد يوصلك الى بديل منطقي قريب منها».

«لن يكون هذا ناجحاً أبداً» اعترضت.

«ألا تعتقدين هذا؟».

كلمات قالت وهي تلتقي بنظرته مجرد كلمات لا معنى لها يتجاذبانها بينما عميقاً داخل قلبها كان هناك صوت يصرخ ليصل الى فمها.

«معظم الناس يتوقون الى السعادة الكاملة وليس الى بديل غير حقيقي عنها» قالت بغضب وهي تسمع صوت قلبها: «وهذا يعيدنا مجدداً الى صراعات العاطفة».

«انها دائرة مغلقة اليس كذلك؟».

المرح اللامع في عينيه أثار غضبها.

«انت تهزىء مني» اتهمته هي ترفع كوبها بعيداً.

www.elromancia.com

«كلا» قال وعينيه تنظران اليها بتفكير عميق: «دعيني أعطيك رأي المعتبر، الظروف بعض الأحيان تخلق مشاكلا لا نتمكن من حلها لا بالعقل ولا بالعاطفة، والوقت هو الحل الوحيد الذي أستطيع ان أقترحه».

كان محقاً قالت في نفسها ببعض القهر، الوقت كان الحل الوحيد لمشكلتهم، وحتى حينها لم تكن واثقة بأنهما سينجحان.

«اعتقد اننا قد أرهقنا الموضوع» قالت بصراحة وهي تنهض: «هلاّ من فضلك طلبت لي سيارة أجرة؟».

«لا داعي لذلك» قال وتحولت ملامحه فوراً الى قناع مغلق: «سأوصلك بنفسي الى منزل والديك».

«هل انت واثق ان عندك الوقت لذلك؟» سألته بإستهزاء وهي تتذكر تعليقه السابق انه في كاب تاون للعمل وليس للمتعة.

إلتمعت عيناه بغضب لكنه تمالك نفسك وقال: «اللعنة على مخالبك جاين، انا أرفض ان أكون الطعم».

الرحلة الى بيلڤيل تمت بصمت مطبق بإستثناء آندرو الذي خفف من التوتر بينهما بتمتمته بالكلمات والحروف التي بإمكانه التلفظ بها، وتنهدت جاين بإرتياح حين وصلا الى مدخل بيتهما ومرا بالسيارة عبر الحديقة الجميلة التي يفتخر بها والدها.

وبعد لحظات كانا واقفين خلف الباب، وكان رودلف يرمق التحسينات الجديدة في واجهة البيت بعينين مرحتين، وعندما التقت جاين بنظراته من فوق أكتاف والدها كان هناك تعبيراً غريباً على وجهها سبب لها الإضطراب، هل من الممكن ان يكون يشعر بأنه منفي؟.

تبعهما رودلف الى الداخل وبقي فقط لعدة لحظات أعلن بعدها ان عليه المغادرة لموعد عمل وقال: «سأرسل سيارة لإصطحابك في الساعة الخامسة والنصف».

«هذا لن يكون ضروري» جادلته وهي ترافقه الى السيارة: «سأستقل الباص الى الفندق».

«كما تشائين» قال: «لكن لا تتأخري فقد دعينا لتناول العشاء في منزل أحد أصدقائي في راوند بوش».

شهقة دهشتها إختفت بصوت محرك السيارة ولم يعطيها رودلف الوقت لتسأله وتستفسر فقد إنطلق بالشيفروليه الى الطريق دون ان يلتفت ولو لمرة.

«راوند بوش!» اكثر منطقة فخمة في كاب تاون! لم تحلم أبداً انها ستتمكن في أحد الأيام من رؤية داخل أحد تلك الڤيلات الضخمة وشكرت إيمي بنفسها لأنها وضعت لها ثوباً للسهرة في الحقيبة، انها تحتاج لشيء يعكس البساطة والأناقة، قالت إيمي، لأن أصدقاء رودلف ومعارفه في في كاب تاون سينظرون بتفحص الى الزوجة التي إختارها.

«انهم عصبة ناقدة» قالت إيمي: «لكنك ستحبينهم».

وجدت جاين والديها في المطبخ، كان هذا مكانهما المفضل لشرب شاي بعد الغداء، آندرو كان جالساً على ركبتي والدتها فرحاً بالضجة التي مصدرها هو، فيما ثرثرته الغير مفهومة كانت تجعل والدها يبتسم بإستمتاع وهو يشعل غليونه، كان الجو مريحاً ومألوفاً مما أشعرها بغصة في حلقها وهي تقف على الباب وتراقبهم.

«من المؤسف ان رودلف لم يستطع البقاء لفترة أطول» قال والدها بأسف وهي تشاركهم الشاي: «كنت سأستمتع

www.elromancia.com

بتوطيد معرفتي به».

«لدى رودلف برنامجاً ممتلئاً عليه إتباعه» أعتذرت جاين فوراً: «لكن أخبرني، لماذا أدين لشرف بقاءك معنا هذا اليوم؟».

«حسناً، انا آتي وأذهب من البيت الى العمل وبالعكس على حسب رغبتي هذا الشهر» شرح والدها وهو يبتسم: «فأنا سأُحال على التقاعد نهاية هذه السنة وبوجود الشباب الجدد الذين سيستلمون بعدي، انا العب دور المعلم وحرية الوقت معي».

قطبت جاين حاجبيها فكان من المستحيل لها ان تفكر ان والدها قد أصبح في سن التقاعد.

سألته: «هل ستتدبر أمرك مالياً حين تتوقف عن العمل؟».

«مع سنوات والدك في العمل في الحكومة» قالت والدتها: «فتعويضه يجب ان يكون كافياً ليؤمننا لفترة طويلة».

«لكن...».

«عندنا مبلغاً من المال مخبأ في مكان ما نستطيع إستعماله في وقت الحاجة» قال والدها مربتاً على ذراعها وهو يشعر بقلقها.

تقبلت جاين تطمين والدها لها بإبتسامة لكنها أحتفظت بهذه الملاحظة في عقلها لتؤمن لهم ما يحتاجانه حين يحين الوقت، فهما لن يعانيا الحاجة في حين انها تتمتع بكل هذه الرفاهية والثراء.

«والدي هل إسم يورشيا دويل يعني شيئاً لك؟» سألته فجأة وهي غير قادرة على إخفاء فضولها اكثر.

«حسناً، كان لجدي أخت تعرف بإسم يورشيا».

إرتعشت جاين من الإثارة وسألته: «هل انت متأكد؟».

«سأحضر شجرة العائلة» قال وهو ينهض عن كرسيه: «فكل الأسماء موجودة فيها».

«لماذا تسألين والدك عن هذه... اليورشيا؟» سألتها والدتها.

«سأشرح هذا لاحقاً» قالت جاين بسرعة حين سمعت صوت والدها يعود الى المطبخ.

وضعت الورقة السميكة المرسوم عليها أسماء كافة أجدادها وأقاربها وكان كل شيء مكتوب بقلم حبر فقرأت جاين اسمها وتاريخ ميلادها وتاريخ وفاتها.

«هذا يدل انها... في السادسة والستين» همهمت جاين بتفكير وأخذت تقدر عمر المرأة في اللوحة.

«همم...» قال والدها وهو يمسك غليونه بين يديه: «لقد تذكرت شيئاً أخبرني إياه جدي مرّة، ليس بعد فترة طويلة من زواج جدي، أنتقل والده، أي جدّي الأكبر، الى جوهانسبورغ مع زوجته وأبنته يورشيا، كان هذا وقت التنقيب عن الذهب إذا كنت أذكر تماماً، وتوفي جدّي الأكبر بعد فترة قصيرة من انتقالهما الى هناك، لكن جدتي الأكبر ويورشيا قررتا البقاء في جوهانسبورغ، وفقط بعد وفاة يورشيا المفاجيء عادت الجدة الكبرى الى كاب تاون، وعاشت مع إبنها أي جدي، لكنها لم تعمر طويلاً وسرعان ما ماتت هي ايضاً، كما يبدو ان الرحلة وموت يورشيا كانا اكثر مما تستطيع تحمله».

تسارعت نبضات جاين بإثارة غريبة وسألت: «ألا تملك صورة عن يورشيا؟».

www.elromancia.com

«قد أكون أحتفظ بواحدة في الصندوق الخشبي القديم في الغرفة الخلفية».

«هل نستطيع ان نلقي نظرة عليه؟» تردد والدها الواضح في التنقيب في الصندوق القديم الممتلأ ولا شك غباراً جعلتها تتعلق بذراعه وتتوسل قائلة: «ارجوك والدي، ان الأمر مهم جداً».

«تعالي إذن» قال ومشى أمامها الى الغرفة الخلفية حيث كان الصندوق يجثم في أحد زواياها، كان صندوقاً صغيراً أمسكه والدها ونفض عنه الغبار وقربه من النافذة حيث الضوء أقوى وقال: «ها هو محفور عليه، الى أخي الحبيب مع كل إشتياقي، يورشيا».

«انها هي» قالت جاين بإثارة ونفسها متقطع وهي تنظر الى الصورة الشمسية الصغيرة بين يديها، فرغم انها كانت صورة بالأبيض والأسود لكن لم يكن هناك أي شك انها نفس التي في اللوحة هناك.

«والدي هل تلاحظ شيئاً ما في هذه الصورة؟».

درس والدها الصورة بدقة قبل ان يقول: «حسناً، انها قديمة جداً وبالية لكن... يا إلهي... الشبه بينكما كبير جداً».

«جاين، ما هو الأمر؟» سألتها والدتها حين عادا الى المطبخ وبعد ان أرتها صورة يورشيا دويل.

حدقت جاين بالصورة وقالت: «في العلّية الكبيرة الموجودة في بيت آل برنك هناك لوحة زيتية معلقة على الحائط، انها لوحة كبيرة ليورشيا دويل».

الصمت المطبق الذي سيطر بعد إعلان جاين قطعه فقط صوت دقات الساعة المعلقة فوق باب المطبخ، كان من

المستحيل ان تحيط بأهمية هذا الإكتشاف بينما كان عقلها مشتتاً بين عدة شروحات، فقط لتكتشف خطأهم بعد لحظة وأخرى.

«هل سألتهم عنها؟» إستفسرت والدتها أخيراً وهي تداعب آندرو.

«لقد... فعلت.. نوعاً ما... لكن الآن بعد ان عرفت المزيد عنها فسأصر على السيدة برنك ان تخبرني القصة كاملة وبكل التفاصيل».

الفكرة التي ظلت تتراوح داخل عقل جاين طوال فترة عودتها للفندق كانت ما الذي كانت تفعله إحدى لوحات أسلافها في منزل آل برنك؟.

ما هي صلة الوصل التي كانت تربط بين عائلته وعائلة رودلف؟ كان كل هذا غامضاً ومحيراً؟ لكن سيكون عليها الإنتظار لحين تقابل السيدة برنك وتعرف منها كل شيء.

- ٩ -

رودلف كان يتحدث بالهاتف حين وصلت الى جناحهما، وأدركت فوراً انه كان يتحدث مع سيبيل، هذا كان فعلاً شيئاً لا يحتمل، فكرت بغضب، فقد مضى على وصولهما الى كاب تاون بضعة ساعات فقط وهو كان فوراً يحادث تلك المرأة.

إستدار حينها ورآها: «انتظري لحظة، جاين» قال وهو يضع يده على فم السماعة.

«ارجوك لا تدعني أقاطعك» قالت بغضب ومرت بجانبه لتدخل الى غرفتها، لكنه أنهى المكالمة فوراً وأمسك بيدها وهي تمر بجانبه ومنعها من التحرك.

جاين» قال: «تريد سيبيل مني ان أحضر لها بعض الأغراض من المدينة».

«لا داعي لتشرح أي شيء» قالت بصوت جامد كالجليد.

«بل من الواجب عليَّ ان أفعل، نظراً للطريقة التي تتصرفين بها» وكانت نظرته هازئة حين ترك يدها لكنه لم يفسح لها الطريق لتدخل الى غرفتها.

فأشتعل الغضب داخلها وصاحت به: «علاقتك مع سيبيل رامبلنغ لا تعنيني البتة، لكني أتمنى ان تكون اكثر سرية ولو قليلاً».

أسود وجهه وقال: «إنتبهي جاين، انت ترمين بالإتهامات وهذا قد يتسبب في إثارة غضبي».

«وما الذي سأظنه غير هذا وأنا أرى انك تقضي كل لحظة فراغ لك معها؟ حتى انك تتصل بها من كاب تاون؟».

عينيه العابستين ووجهه الصارم حدقا بها بتركيز جعلها تدرك الوضع الخطر الذي كانت فيه، فهي وحدها معه وتحت رحمته كلياً إذا أراد تجاهل وعده لها بتركها وشأنها.

«يوماً ما جاين» قال بصوت منخفض ومحذر: «يوما ما ستدفعينني قليلاً اكثر من اللازم، وعندها لن أكون مسؤولاً عن تصرفاتي، إذن كوني حذرة».

إبتعد عن طريقها بعد هذا وخطت نحو الباب وقلبها يرتعد ومرت بجانبه ودخلت فوراً الى غرفتها وأغلقت الباب وراءها.

«أقترح ان تتعجلي وترتدي ملابسك» صاح رودلف عبر الباب: «فلدينا ساعة من الوقت فقط قبل ان ننطلق الى راوند بوش».

آه، يا لهذا الرجل! قالت في نفسها وهي تأخذ أغراضها

الى الحمام لتغتسل، كان اكثر من الجيد ان لكلا الغرفتين حمامين منفصلين، وإلا لكان عليهما التصادم في هذا ايضاً قالت لنفسها بأسى وهي تفتح المياه وتستعد للإستحمام.

أسرعت بإستحمامها ثم إرتدت ثوباً مناسباً للأمسية وحين نظرت الى نفسها في المرآة أدركت انها قد إختارت الثوب المناسب، الثوب الحريري الثمين الأزرق كان يعكس لون عينيها وينساب بأناقة على جسدها الرشيق، ليتهدل بنعومة على قدميها الصغيرتين داخل حذاءها الفضي اللامع.

ياقة الثوب كانت تظهر عنقها وقليلاً من نعومة كتفيها ورفعت شعرها عن وجهها وتركته ينسدل على كتفيها بتمشيطة جميلة وجذابة.

شعرت بالرضى عن نفسها وغادرت الغرفة الى البهو حيث كان رودلف بإنتظارها. بدا رائعاً كالعادة في بذته السوداء الرسمية لكن عينيه أزعجتاها حين نظرتا اليها من رأسها حتى قدميها، ولم تستطع ان تعرف من تعابيره سواء أأعجبه ما رأى أم لا.

«لدى شيء من أجلك» قال وهو يخرج علبة مخملية من جيبه الداخلي ويفتحها.

داخل الساتان كان يلتمع عقداً إلماسياً رائعاً فيما كان يقربه رودلف من الضوء وتابع: «انه يليق تماماً بالرداء الذي تضعين كما وأنه يوافق ذوقك الفاخر».

صامتة من المفاجأة وتجاهلت ملاحظته الأخيرة وسمحت له بتثبيت العقد حول عنقها وأرتعشت قليلاً حين أزاحت أصابعه شعرها ولامست رقبتها.

«انا... لا، لا اعرف كيف أشكرك» تلعثمت فيما

أدارها لينظر اليها.

«حاولي وأشكريني بقبلة» إقترح بإستهزاء ويداه تمسدان كتفيها وترسلان شرارات في كيانها.

لم يكن عندها أي مهرب من لمسته أو من المشاعر التي تثيرها لمساته فيها، ولا حتى إستهزائه كان لديه القوة لإثارة غضبها في تلك اللحظة حين رفعت نفسها على رؤوس أصابعها وفعلت كما إقترح، لكن قبلتها حطت على جانب فمه وإزدادت سخريته حين إزداد إحمرارها وتمتمت شكرها بتلعثم.

«كنت بعيدة قليلاً في إعطائك العلامة الكاملة جاين! لكن ليس عندنا الوقت الآن لنتابع هذه القضية».

«الى اين نحن ذاهبون والى عند من؟» سألته أخيراً وهما في طريقهما الى المكان.

«نحن ذاهبان الى منزل أحد أصدقائي في راوند بوش... بيار وميرنا فان فيشك».

ونظر اليها للحظة ثم تابع: «ستكون أمسية عمل ومتعة، فحضوري نفسك إذن لوجود عدد آخر من الزوار غيرنا نحن».

فكرة مقابلتها لبحر من الوجوه الغريبة أشعرتها بالإضطراب فغرقت في صمت متوتر، كانت غير مستعدة على كل حال لفخامة البيت المحاط بحديقة غناء الذي وصلت اليه ونسيت مظهرها للحظة وهي تنظر بإعجاب الى ما حولها، من صف السيارات الطويل، الذي كان في الباحة الخلفية، أدركت جاين ان ضيوف آل فيشك بدون شك يربو على العشرين.

كانت نوافذ الڤيلا وأبوابها كلها مفتوحة في هذه الأمسية

www.elromancia.com

الدافئة وكانت أضواء المنزل جميعاً مضاءة، دخلت ورودلف الى المكان وأشعرتها ذراع رودلف المحيطة بخصرها ببعض الراحة والثقة.

استقبلتهما إمرأة أنيقة، جذابة ولطيفة كانت هي السيدة فيشك وأشعرت جاين بإبتسامتها الرائعة إنها في بيتها.

وبعد قليل أتى بيار فيشك ليستقبلهما ايضاً وعلى وجهه إبتسامة مرحبة، كان رجلاً طويل القامة داكن البشرة وبعض الشعيرات البيضاء قد أخذت تغزو شعره، عانق رودلف قليلاً ثم التفت وحيا جاين قائلاً: «كالعادة رودلف، انت دائماً تختار الأفضل».

احمرت وجنتا جاين بقوة ولم تجرؤ على مقابلة نظرة رودلف اليها، وأنقذت الموقف ميرنا فيشك حين أخذتهما وبدأت تعرفهما على باقي الضيوف، لم تستطع جاين ان تحتفظ بالأسماء الكثيرة التي ذكرتها ميرنا أمامها وحين جلسوا على طاولة العشاء الطويلة جداً انتبهت فقط لأحد الضيوف الذي كان يدعى طوني باركر، كان أطول قليلاً من جاين وملامحه وسيمة وشعره أشقر وهو أميركي الجنسية، ولاحظت جاين ان هذا الشاب كان يطيل النظر اليها بطريقة واضحة.

لم يكن هناك من نظام معين لحفلة عشاء آل فيشك، فبعد ان انتهوا من تناول الطعام تفرق الجميع وأخذ كل ينضم الى مجموعة ما ليتناقش بالعمل أو أي شيء آخر، وهكذا فعل رودلف ووجدت جاين نفسها وحيدة في غرفة الجلوس مع مجموعة من الضيوف الباقين بما فيهم الأميركي، طوني باركر، نظرت حولها بإنزعاج وهو قد لاحظ هذا فإقترب منها فوراً.

«هل لي ان أحضر لك مشروباً ما؟» سألها بأدب وهو يشير الى صينية المشروبات الموضوعة على الطاولة المجاورة.

«نعم من فضلك» قالت بنعومة وهي تفتش عن رودلف ضمن مجموعة الضيوف في هذه الغرفة لكنها لم تجده، وقالت في نفسها انه بما انه رودلف قد تركها وحدها مع الضيوف الأغراب، فلماذا إذن لا تتمتع برفقة أحد الضيوف مثل طوني باركر مثلاً، فهو لم يحاول ان يخفي إعجابه بها طوال فترة العشاء، فلماذا لا تتشارك معه في قضاء بعض وقت السهرة بما ان رودلف غير موجود معها؟.

«اتمنى ان يعجبك مزيجي الخاص للمشروبات» قال الأميركي وهو يناولها كأساً من المشروب، لونه ذهبي وبه بعض قطع الثلج.

تذوقته جاين ثم قالت بمرح: «مهما كان مزيجه فهو لذيذ الطعم».

«هذا مزيج باركر الخاص» قال بإبتسام وأنزلقت نظرته عليها حتى قدميها وحين تلاقت نظراتهما شعر بالخجل قليلاً وقال: «هل تسمحي لي ان أقول لك انك ألطف شيء قد حصل لي في حياتي؟».

غضت نظرها فوراً وقالت: «انت تزيد من إطرائي سيد باركر».

«أؤكد لك انني لست كذلك» عارضها بسرعة وذراعه خلف خصرها ليرشدها بأدب الى كرسيين فارغين كانا في زاوية الغرفة وتابع: «والإسم هو أنطوين... طوني ينادني الأصدقاء».

جلسا على الكرسيين وقالت له جاين وهي تبتسم:

www.elromancia.com

«شكراً لك... طوني» لكن نظرتها التقت فوراً بالعينين الرماديتين اللتين كانتا تنظران اليها بإتهام وبغضب للحظات قبل ان يعد وينشغل بالحديث مع مضيفهما، اندهشت بتصرف رودلف وملامحه وقالت أول شيء خطر على بالها.

«هل انت متزوج طوني».

«كلا سيدتي» قال وهز رأسه بحزن مع ان العيني الداكنتين اللتين نظرتا اليها كانتا مرحتين: «انا لم اتشرف بعد بالدخول الى قفص الزوجية الذهبي».

إسترخت جاين في كرسيها لكنها كانت غير قادرة على تجاهل وجود رودلف الطاغي بطول قامته على بقية المدعوين وقالت: «اظن ان السيد فيشك قد ذكر انك كنت هنا في جنوب إفريقيا بسبب العمل؟».

«نعم، الهندسة هي إختصاصي» قال: «وإذا كانت الفتيات بمثل جمالك ولطفك فقد أقرر فوراً البقاء هنا».

الإرتباك ظهر على خدود جاين وهي تبتسم بمرح وقالت: «كنت أفضل ان تقول انك سترغب بالبقاء هنا لأنك أعجبت ببلدي وليس بي».

«لكنني كذلك جاين» أصر بجدية وهو يستعمل إسمها بحرية بعد ان سمع ميرنا تناديها به وسأل: «هل تعرفين كاب تاون جيداً؟».

«لقد عشت هنا معظم حياتي» أخبرته وهي تحتسي من مشروبها وتتساءل عن العمل الطائش الذي كانت تقوم به.

«إذن ما انت فاعلة غداً؟» سألها طوني وهو ينحني مقترباً منها.

«لا شيء خاص، لماذا؟».

«انا متفرغ للصباح» شرح بحماس ونظر الى الجهة

الأخرى من الغرفة وتابع: «هل تظنين ان زوجك المحترم سيعارض إذا طلبت منك مرافقتي بجولة سريعة في المدينة غداً صباحاً».

أمسكت جاين بأنفاسها، ليذهب الى الجحيم، فكرت جاين، إذا كان بإمكان رودلف ان يلهو مع سيبيل فإذن لم لا تستمتع هي بقضاء صباحاً مسلياً مع طوني باركر؟.

«لا أرى أي سبب يمنع زوجي من الموافقة» قالت بعد قليل وقلبها ينتفض بسرعة لتفكيرها فيما ستكون ردة فعل رودلف.

«هذا رائع» قال طوني بإبتسام: «سأمر لإصطحابك من الفندق لنقل... الساعة التاسعة صباحاً؟».

هذا سيكون مناسباً جداً».

في طريقهما الى الفندق تلك الليلة بدأت جاين تعيد التفكير بما إتفقت عليه مع طوني، الشيطان جعلها توافق على شيء تعتبره غير طبيعي، لكن فات الأوان الآن على إخفاء اتفاقهما... وأيضاً لم يكن عندها فكرة عن مكان إقامة طوني وسؤال ميرنا عنه سيكون أمراً غير معقول.

«لقد لاحظت انك لم تفتقري للصحبة هذه الأمسية» قال رودلف معلقاً وهو يخلع الجاكيت لدى وصولهما الى الجناح.

«في الواقع انا أجد طوني محدثاً لبقاً جداً» قالت له بتحدي.

«إذن انه طوني، اليس كذلك؟».

تصلبت للهجته الساخرة وقالت: «هذا هو إسمه كما قيل لي».

«إنتبهي، مخالبك أخذت تظهر».

www.elromancia.com

التمعت عينا جاين بغضب لكنها قررت التجاهل وقالت: «سأذهب للنوم».

«إنتظري لحظة» قال وأمسك بها بقوة من ذراعها وهي تخطو بسرعة الى غرفتها مما جعلها تستدير بقوة كادت ترتطم بصدره وتابع: «انا لا اهتم كثيراً للطريقة التي ظل بها يدور حولك طوال الأمسية».

«انت تجعل الأمر يبدو مقرفاً، في حين انه في الواقع لم يكن شيئاً من هذا القبيل» قالت وهي تجد صعوبة كبيرة بالحفاظ على غضبها بالرغم من شعورها القوي بقربه منها وبرجولته، ونجحت في تخليص ذراعها وإبتعدت بضعة خطوات عنه وتابعت: «بعد العشاء تفرق الجميع وبمن فيهم انت رودلف، وقد تُركت مع مجموعة من الضيوف الأغراب اللذين كانوا مشغولين جداً حتى ليلاحظوا هذا ما عدا طوني، وكان لطيفاً كفاية ليشاركني الصحبة».

«يا له من مؤدب» قال بقسوة: «ولربما من الجيد اننا سنعود الى جوهانسبورغ بعد غد».

«وماذا يعني هذا لي؟».

تفحصها رودلف بدقة بعينيه قبل ان يقول: «هذا يعني يا عزيزتي، ان طوني باركر يجمع النساء كما يجمع صائد الغزلان الغزال».

ضحكت بإستهزاء وقالت له: «حقاً؟ يبدو ان صائد الغزلان هو من يكتشف غيره من الصيادين ايضاً».

خلال فترة الصمت المتفجر التي تلت شعرت جاين بأن الغضب كان يتزايد داخله، يديه كانتا كالقبضتين وعندما رفعت نظرها اليه شهقت كأنه قد آذاها جسدياً.

«لا تدعي الذكاء الحاد جاين وإلا فأنك ستؤذين

نفسك».

صوته كان يحمل التحذير في طياته وترك عندها شعور بالخوف وقالت: «إذا لا تمانع، انا متعبة وأريد...».

«قبل ان تذهبي» قاطعها وهو يشعل سيجارة بيدين ترتجفان بوضوح: «سأكون في إفتتاحية المصنع الجديد غداً صباحاً، لكني سأكون حراً طيلة فترة بعد الظهر، اظن اننا نستطيع قضاء هذا الوقت والمساء مع عائلتك».

إنذهلت لإقتراحه وسمعت نفسها تقول: «هذا سيكون لطيفاً جداً شكراً لك».

«ماذا ستفعلين في الصباح؟».

إرتعشت بوضوح لسؤاله المباشر هذا، لربما كان عليها مصارحته وتتحمل العواقب فكرت بعقلها، لكن مجرد ذكرها لطوني الآن، سيشعل غضبه مجدداً.

«لا تقلق بشأني انا... سوف أجد شيئاً أقوم به» أجابته بسرعة أخيراً متفادية النظر الى وجهه ثم إتجهت نحو غرفتها وقالت له: «تصبح على خير».

هذه المرة لم يعترض طريقها فدخلت الغرفة وأحكمت إغلاق الباب وراءها وقلبها يقفز بين ضلوعها، لم يكن عليها أبداً الموافقة على إقتراح طوني عنّفت نفسها بشدة إذا أكتشف رودلف الأمر... وأرتعشت لا إرادياً للفكرة.

النزهة المقررة هذه ستكون بريئة لكن هل ستستطيع إقناع رودلف بهذا؟، التمع العقد على عنقها حين أضاءت الضوء وتذكرت فجأة ملاحظته حول العقد كسطع البرق.

«انه يوافق ذوقك الفاخر» كانت هذه كلماته وكان هنا مناسبتين أخريين عندما قال ما يشبه هذا التعليق، أولاً حين

www.elromancia.com

أخبرته انها لا تكترث لثروته فبدا كأنه يقيم كلامها بسخرية وعدم تصديق وأيضاً حين رفضت شرائه لسيارة خاصة بها، عدم تصديقه ودهشته كانا تقريباً نفس المرة الأولى.

هل هو لسبب ما، يعتبر انها متأثرة بثروته؟ أو ان ثروته كانت السبب الرئيسي الذي جعلها توافق على الزواج منه؟.

هذا كان أمراً يستحق التفكير به، قررت أخيراً وهي تفك العقد وتضعه في راحة يدها، رودلف قد أعطاها هذه الهدية، ليس لأنه يرغب في إرضائها بل لأنه اعتقد ان هذا ما تتوقعه هي منه.

كانت هذه فكرة مقلقة لتنهي بها اليوم، وفكرة عليها ان تحللها بدقة وروية.

اقترب طوني باركر بشوق منها حين خرجت من المصعد، كان يرتدي بنطالاً وقميصاً لون بيج.

«هل تأخرت؟» سألته بعصبية.

«على الوقت تماماً يا عزيزتي» قال بإبتسام وهو يمسك بذراعها ويقودها الى حيث ركن سيارته.

إسترخت على مقعد السيارة السبور المريح ونظرت اليه وسألت: «الى اين ترغبين في ان اصطحبك؟».

عينيه الداكنتين كانتا دافئتين مما جعلها تشعر بالإضطراب، إذا كان ما قاله رودلف صحيحاً فعليها ان تكون منتبهة وإلا فإنه سيعتقد انها مستعدة للتجاوب مع ما تريد.

«هل ستصدقيني يا عزيزتي إذا قلت لك» قال أخيراً: «انه قد مضى لي هنا حوالي الثلاثة أسابيع وما ذهبت بعد الى جبل التاب المشهور عندكم؟».

«اليوم هو رائع للقيام بهذا» قالت وهي ترمق السماء الزرقاء الصافية.

«إذن فما الذي نتنظره؟».

عكس كل مخاوفها، ظهر طوني باركر على انه رفيق مسلي ومرح ومؤدب وبعد وقت قصير وجدت جاين نفسها تشعر بالراحة التامة معه، والأكثر من هذا انها كانت معجبة به، فطريقته السهلة والمرحة جعلتها تسترخي فيما كانا يصعدان الى الجبل بالسيارة المكشوفة، التقط العديد من الصور كما يفعل باقي السواح، ووجدت متعة في إرشاده على المناطق الأكثر جمالاً وهما ينظران اليها من علو الجبل.

كان يوماً حاراً وصافياً وكانت المدينة تمتد تحتهما على أسفل الجبل، ولفتت نظره الى الجبلين الأقل حجماً، قمة الشيطان ورأس الأسد، اللذان يقابلان جبل التاب.

«اصدق انني أستطيع رؤية القلعة من هنا» قال وكأن هذه الحقيقة قد أدهشته.

«نعم، انك تستطيع» قالت ضاحكة: «وتستطيع ايضاً ان ترى الغراند باراد والذي هو عبارة عن موقف ضخم للسيارات طوال الأسبوع ما عاد يوم السبت».

«وما المميز في يوم السبت؟» سألها.

«حينها تضج الحياة في الغراند باراد، ويتحول الى سوق محلي متنوع حيث الناس من جميع الأعراق ومن كل أقسام المجتمع يستطيعون ان يشتروا كل إحتياجاتهم، انت نادراً ما ترغب بشراء شيء ما لكنك لن تغادر إلا وبيدك إحدى المشتريات».

ذكريات سوق محلي آخر في في مكان آخر التمعت في

www.elromancia.com

ذاكرتها، كانت حينها مع رودلف... رودلف مختلف عن الرجل القاسي الذي تزوجت منه الآن، وكانت على وشك الوقوع في الحب للمرة الأولى والأخيرة في حياتها.

«عودي الى هنا يا عزيزتي» قطع صوت طوني أفكارها: «لدي شعور انك أصبحت فجأة بعيدة عدة أميال».

هزت رأسها مبعدة تلك الأفكار والذكريات عنها وإبتسمت له قليلاً وقالت: «إذا مشينا الى جهة الجبل المقابلة ستستطيع ان ترى حتى جبال هولندا».

«لا بد انك تمزحين» احتج وهو يخطو بإتجاهها: «ذلك الجبل بإسمه الصعب اللفظ لا بد يبعد حوالي الخمسين كيلو متراً».

ضحكت وقالت: «تعال وشاهد ذلك بنفسك» وبعد وقت قصير ظهر حقيقة ما تقول، وأخيراً وهي تقف على حافة الجبل وترى كاب تاون كلها تحتها أحست وأدركت كم هي تشتاق لهذه البلدة وتشعر بالحنين اليها، كانت تخطط يوماً ما لتتشارك مع رودلف بنزهة تريه فيها كل أماكنها المفضلة في هذه البلدة لكنها عوضاً عن ذلك تتشارك هذا مع الغريب... طوني... لقد نسيت كل شيء عنه وحين إلتفتت اليه فجأة وجدته يحدق بها بقوة جعلت خديها توردان.

«هل تعلمين جاين انت جميلة كلوحة مرسومة تحيي السماء».

«انا متأكدة انك تقول هذه الأشياء الجميلة لكل إمرأة تلتقي بها» قالت له وهي تضحك وقفزت ثم جلست على الصخرة الكبيرة بجانبه.

«انت تؤذين مشاعري يا عزيزتي حين تقولين أشياء

كهذه!».

«لكن هذا هو الواقع اليس كذلك؟» الحّت وهي تقابل نظرته: «هناك العديد من النساء وأنت تستفيد من أعمال الغزل لأنها جزء من تقنياتك».

إرتجف بشدة وقال: «انت تجعلينني أشعر وكأنني وحش يلهو مع النساء ويغويهن ليصل الى مأربه منهن».

«لم أكن اقصد ان يبدو كلامي بمثل هذا السوء».

«كلا، عزيزتي» وافقها فوراً: «لكن جزءاً من كلامك صحيح، انا احب النساء... كل النساء... ولهذا لم يستقر إختياري على واحدة فقط لتكون زوجتي، لم أكن قد قابلت أي واحدة فكرت بها على انها المرأة التي سأقضي بقية عمري كله معها الى ان...» تردد بوضوح وعينيه داكنتين وعاطفيتين وهو ينظر اليها وتابع: «جاين انت لست مغفلة فدعيني إذن أكون صريحاً معك».

شيء ما حذر جاين بإنهاء هذه المناقشة وكأنه أحس بذلك فقد رفع يده علامة التوقف.

وقال: «انتظري، يا عزيزتي، اسمعيني لمرة واحدة ولن اعود فأذكر هذا الموضوع مرة ثانية».

عِرقٌ خائف نبض في حنجرتها وهي تنتظره ليكمل كلامه ويديها متصلبتين بشدة في حجرها.

«انني واقع في حبك جاين، أعلم ان الأمر يبدو جنونياً، لكني عرفت هذا في اللحظة التي وقعت عيني عليك، حاولت ان أكون منطقياً مع نفسي وأن أقول ان ما أشعر به تجاهك هو نفس شعوري نحو النساء الأخريات، لكن هذه المرة لم أستطع ان أقنع نفسي بذلك».

صارعت جاين لتنتقي الكلمات المناسبة وقالت:

«اتظنين انني لا أدرك هذا؟» قال بسرعة: «لكنني ادرك ايضاً انك غير سعيدة جاين، المرأة السعيدة حقاً في زواجها تملك بريقاً خاصاً لا يغيب عن أي شخص» كان هناك تصلب في أصابعه حين رفع ذقنها ورفع وجهها اليه وتابع: «في عينيك يا عزيزتي أرى حزناً عميقاً يدفعني لآخذك بين ذراعي وأحميك من عواطف الحياة».

كان هناك شيء ما في نظرته الدافئة لامس قلبها، لكن ليس بالطريقة التي يتمناها هو فتمتمت: «طوني... انا... لا أعرف ماذا أقول...».

«هل تحبين زوجك؟» سألها.

«كثيراً جداً».

«إذن لماذا الحزن يا عزيزتي؟».

تنهدت وهي تنهض وتبتعد عدة خطوات عنه وقالت: «أشياء كثيرة حصلت بيني وبين رودلف، طوني أشياء ليست سهلة النسيان أو سهلة الفهم».

«هل ترغبين بأن تتحدثي عنها؟» نهض فوراً ووقف قبالتها: «عزيزتي، إذا كان بإستطاعتي المساعدة بأي طريقة...».

«كلا» قاطعته فوراً: «انت لطيف جداً طوني لكننا سنجد الحلول لمشاكلنا بطرقنا الخاصة».

عينيه الداكنتين كانتا مراقبتين وقال: «ماذا ستقولين إذا أخبرتك ان لدي كل النيّة في القيام بأقصى ما أستطيعه لأفوز بحبك؟».

أبعدت خصلة من الشعر عن وجهها وإبتسمت بلطف: «سأقول لك انك تضيع وقتك، فقلبي ليس ملكي طوني،

انا أتشرف بشعورك هذا نحوي لكن تقبل هذه الحقيقة انني لن أتمكن من تقديم أي شيء لك سوى الصداقة، والصداقة البريئة فقط».

كان هناك مسحة إنهزام في عينيه فيما أخذا يمشيان بصمت ويستقلا السيارة الكهربائية لينزلا من الجبل.

«هل تتناولين الغداء معي جاين؟» سألها فيما كانا يعودان الى المدينة.

«نظرت الى ساعتها وإندهشت حين رأتها الثانية عشرة والنصف فقالت: «يجب ان أعود الى الفندق».

«هل هذا طلب كبير مني في حين انني قد لا أراك مجدداً أبداً؟».

«لا اعتقد هذا طوني» أجابته مدركة ان هذا تصرفاً خاطئاً لكنها لم تكن قادرة على رفض التوسل الحار في صوته.

لمس يدها بسرعة ونعومة قبل ان يدير محرك السيارة وكان هذا علامة كافية عن شكره العميق لقبولها دعوته.

تناولا الغداء في مطعم صغير يدعى نقطة البحر، ومع انهما لم يريدا ان يطيلا وقت الغداء إلا انها كانت الثانية والنصف حين ركن طوني سيارته قرب باب الفندق وساعدها على النزول.

«لو كان بإمكاني إطالة هذه الساعات حتى نهاية العالم لكنت فعلت هذا جاين» قال لها وهو يقبل يديها مودعاً: «لن أنساكِ أبداً جاين».

لكنه سينسى، قالت جاين في نفسها ببعض التأكيد وهي تدخل الى المصعد ومنه الى جناحها، الرجال أمثال طوني ينسون فوراً وعودهم العاطفة بالأستمرار في التذكر حين يقابلون أول وجه جميل آخر في حياتهم.

www.elromancia.com

خطا رودلف داخل الغرفة من حيث كان على الشرفة حين فتحت جاين باب الجناح، كان قد خلع ربطة عنقه وأرخى أزراد قميصه، لاحظت ذلك، لكنها شعرت بالخوف حين رفعت نظرها الى وجهه، كان داكناً من الغضب فيما إقترب منها، عضلات خديه متصلبتين في محاولاته لضبط نفسه، وعرفت بتأكيد مفزع انه ولا شك رأى طوني باركر وهو ينزلها قرب باب الفندق.

«أتمنى ان تكوني قد استمتعت بصباح جميل!» علّق بسخرية وهي تصارع لتجد الكلمات: «ربما لم تدركي هذا، لكن من الشرفة يتمتع الرائي بمنظر كامل للشارع وأيضاً لمدخل الفندق».

لعقت شفتيها بعصبية وقالت: «اعتقد انني أدين لك ببعض الشرح».

«عليك اللعنة، بالطبع انت تدينين لي بالشرح» انفجر قائلاً بغضب: «لكن لا اظن انني مهتم بسماع هذا الشرح».

لم يكن من الصعب معرفة الإتجاه الذي أخذته أفكاره، فشحبت جاين بشدة وقالت: «رودلف، لم يحصل بيننا أي شيء أشعر بالخجل أو العار منه!».

«وهل تتوقعين مني ان أصدق هذا؟» سألها بسخرية: «لقد قضيت حوالي الست ساعات مع رجل مثل طوني باركر وتتوقعين مني ان أصدق انه لم يحصل شيء بينكما؟ ماذا عن ذلك المشهد المؤثر الذي رأيته حين كان يودعك عند المدخل؟».

«لقد قبّل يدي، هذا كل شيء» احتجت قائلة.

«انه تصرف مقبول بعد ساعات من العاطفة الجياشة ألا

تعتقدين هذا؟» تابع إتهاماته بتأكيد أثار غضبها.

«هذا إفتراض مقرف».

«هل هو كذلك؟» قال بسخرية: أثبتي لي ذلك».

إرتعشت جاين وهي تحدق به خلال لحظة الصمت التي سيطرت بينهما وعقلها غير قادر على فهم طلبه، كان يبدو بأنه كالبرج الرجولي الهائل فيما كانت هي تحاول جاهدة ان تضبط أعصابها وحواسها وتتمنى بحرارة ان تكون مخطأة.

«لا اعتقد انني... أفهم ما تقصد؟».

«ألا تفهمين؟» نظرته كانت قاسية وساخرة: «إذن دعيني أهجي الكلمات لك، أعطيني ما كنت تمنعيني عنه بقوة منذ لحظة زواجنا».

«هذا غير مضحك» قالت وهي تبتعد عنه: «وأنا لا اعتقد انني اريد ان أتابع هذه المناقشة».

تعابيره أخافتها وأسرعت الى غرفتها فقط لتجده قد أصبح وراءها ويتكيء على الباب ليمنعها من إغلاقه بوجهه، خوفها تحول الى ذعر عندما دفعها الى داخل الغرفة وأغلق الباب وراءهما.

«لقد عنيت كل كلمة تفوهت بها».

«كلا» صرخت وهي تفتش بيأس عن طريقة للهروب: «لا تستطيع ان تتوقع مني ان أفعل ما تقوله».

«للحظة الآن، انا لا اقول...» أكمل وكأنه لم يسمع كلامها ولم تستطع الهروب من اليدين القاسيتين اللتين الصقتاها به وقال: «انا أفعل».

قلبها كان يخفق بشدة جنونية فيما ثبت رودلف يديها خلف ظهرها ومنعها من الحركة، صارعت دون فائدة لتفلت

من قبضته لكنها أدركت ان جهودها ستذهب هباءاً مقابل قوته الهائلة، وأدرك رودلف هذا ايضاً فقد أخذ يضحك بإستهزاء لمحاولاتها للهرب.

«دعني أذهب... ارجوك» توسلت اليه بقوة، وأنفاسها متقطعة في حنجرتها وهي ترفع وجهها لتنظر اليه، لكن لم يكن هناك أي رحمة في ذلك الوجه القاسي.

«ليس هذه المرة جاين» قال بقسوة وهو يرفعها بين ذراعيه ويرميها على السرير ثم ينقض عليها ويتابع: «هذه المرة عليك تحمل عواقب جنونك».

حاولت مقاومته بكل قوتها لكنها كانت تنهار شيئاً فشيئاً رغماً عنها وحين كادت تستسلم كلياً له سمعت صوت الهاتف يرن ويرن مما أعادها الى الواقع قليلاً فرفعته عنها وقالت: «رودلف... الهاتف».

«دعيه يرن» همس وعاد الى تقبيلها.

لكنها أبعدته عنها وقد تجددت قوتها وقالت: «من الأفضل ان ترد عليه، قد يكون إتصالاً هاماً» ثم نهضت ووضعت قدميها على الأرض.

أدارت ظهرها له وهي تعيد أصلاح ثوبها وبعد لحظات سمعته يغادر الغرفة ويلتقط سماعة الهاتف، وضعت جاين رأسها بين يديها وقالت ان الأمر لن يكون سهلاً أبداً، فرودلف ليس شخصاً غبياً ولا انه أدرك انها رغم كل محاولاتها للمقاومة إلا انها كانت ترغب أكثر منه لإعطائه ما يرغب به.

«آه يا إلهي» همست بأنين: «كيف سأشرح له تصرفاتي هذه؟».

إستجمعت نفسها حين سمعته يعيد السماعة الى مكانها

ويعود الى الغرفة.

«هناك مشاكل في المصنع الجديد حول بعض الآلات الحديثة» قال لها بإيجاز: «إذا جهزت نفسك بسرعة فسأوصلك الى بيت والديك وأعود فألاقيك هناك بعد ان أحل الإشكال في المصنع».

«انا... سأجهز بلحظة».

«ولا تفرحي كثيراً» قال بقسوة وعينه تنظران اليها من الرأس حتى القدمين: «فهذا فقط إنقاذ مؤقت».

«إنقاذ مؤقت!» ظلت كلماته هذه داخل عقلها مسببة لها الإضطراب، والخوف طوال الوقت وحتى ضحكات آندرو وحركاته لم تستطيع ان تبعد هذه الكلمات عنها، هذه المرة قد أنقذها الهاتف ومنعها من جعل نفسها أضحوكة ولكنها لا تستطيع ان تعتمد على هذا المنقذ للمرة الثانية.

حاولت عدم التفكير بهذا فيما كانت تساعد والدتها في المطبخ آملة ان غضب رودلف سيهدأ ويبرد لحين رجوعهما الى الفندق.

لكنه بدا تعباً ومرهقاً حين وصل الى بيت والديها قبل موعد العشاء بقليل ثم أنضم بعد هذا الى والدها في غرفة الجلوس، لم تكن هذه علامة مبشرة لكنها إندهشت لاحقاً حين وجدته يسترخي بعد ان تناول كأساً من مشروب والدها الخاص وأخذ يتحدث وإياه عن التقاعد في نهاية السنة.

«ألا يوجد أي إمكانية في ان تتابع عملك ثلاث سنوات بعد لحين بلوغك سن الثالثة والستين؟» سأل رودلف.

«أستطيع ان أفعل هذا نعم، لكن أصبح العمل مرهقاً قليلاً لي في هذا العمر، ولا يوجد أي مقاعد شاغرة في بقية الأعمال».

«هل تعرف شيئاً حول الآلات الميكانيكية؟».

«لقد عملت في نطاق الآلات طوال حياتي».

«إتساءل...» بدأ رودلف بتفكير وهو يحتسي كأسه: «سأحتاج لشخص ما في نهاية هذه السنة ليستلم مركز الآلات الزراعية، سيكون عملاً مكتبياً وبحاجة لجهد جسدي بسيط جداً» أمسكت جاين أنفاسها فيما إنحنى الى الأمام وحدق بوالدها قائلاً: «هل يهمك هذا العمل؟».

«حسناً، انا...» ولاقت جاين نظرة والدها المستفسرة فهزت رأسها لتخبره ان لا دخل لها في ما يقدمه رودلف وتابع الوالد: «هل تعتقد انه من المفيد لك ان تستعين بشخص مثلي لن يتمكن من إعطائك سوى خمس أو سبع سنوات من العمل على الأكثر؟».

«انا بحاجة لشخص عنده الخبرة الكافية في هذا الوقت وسيكون عندك الوقت الكافي لتدرب مساعديك».

وقفت جاين خلف كرسي رودلف وشعرت ان قلبها يذوب إمتناناً لرودلف، لو ان والدها فقط يقبل بعرض رودلف، فكرت بإضطراب فيما راقبته وهو يمضغ بتفكير جذر غليونه.

«هل أستطيع ان أناقش هذا الأمر مع زوجتي قبل ان أعطيك جوابي النهائي؟».

«بالطبع» اجابه رودلف بسرعة وهو ينظر الى جاين للمرة الأولى، وإرتجفت للدفء الغير متوقع داخل عينيه.

«العشاء جاهز» قالت جاين بنعومة، فنهض الرجلين وتبعاها الى غرفة المائدة.

خلال بقية الأمسية وجدت جاين نفسها متعرضة مراراً لنظرات رودلف الفاحصة والخارقة والتي كانت تدفع بالدم

الى وجهها وتزيد من تسارع نبضات قلبها، عندما كان يتكلم معها كان صوته منخفضاً ومرحاً، ووجدت نفسها تستجيب بفرح ومتعة للدفء والعاطفة التي يظهرها نحوها، هذا كله كان بسبب وجوده مع والدي قالت جاين بنفسها لكنها لم تستطع ان تبقى غير متأثرة كلياً بنواياه ولطفه.

بعد ان اتفقوا على المرور لإصطحاب آندرو في ساعة معينة صباح اليوم التالي، غادرا جاين ورودلف عائدين بصمت الى الفندق.

مرات عدة حاولت التحدث مع رودلف، لكن في كل مرة كانت الكلمات تموت على شفتيها قبل ان تُلفظ، كيف ستستطيع شكره على عرضه الرائع الذي قدمه لوالدها، فيما كان التهديد المخيف يسيطر بينهما؟ ماذا بإمكانها ان تقول لتبعد المحتوم؟.

حرب الأعصاب إستمرت وتصاعدت لحين وصولهما الى غرفتيهما، إستحمت وأستعدت للنوم ثم أخذت جاين تسرح شعرها وأعصابها تقفز عند سماعها لأية حركة في الغرفة المجاورة، هل سينفذ تهديده أم هلى سينسى ذلك الآن بعد ان برد غضبه؟.

هذا كان سخيفاً، فكرت وهي تضع الفرشاة جانباً بعصبية، كانت مرعوبة ولكن آملة انه سيأتي وهاتان العاطفتان كانتا تتصارعان بمعركتهما داخلها بقوة لدرجة شعرت بها انها تريد الصراخ، ليذهب رودلف الى الجحيم، قالت وهي تغطي نفسها بالغطاء وتستلقي داخل السرير فلتنام هي الآن ويستطيع هو ان يختنق بتهديداته.

فتح الباب فجأة وقفز قلبها الى فمها، فأقترب من السرير وجلس عليه وكان يرتدي مئزر النوم ورائحة صابون

الإستحمام تخرج منه.

حدقت جاين بإضطراب به وقالت بتلعثم: «رودلف... انا... انا اريد ان أشرح لك ماذا حصل هذا الصباح».

ظل صامتاً وهو ينظر اليها وهي تخبره بما حصل وسمعت نفسها تقول في النهاية: «لديك كلمتي رودلف ان شيئاً آخر لم يحدث أبداً بيني وبينه».

الصمت الذي تلا كان رهيباً فيما كانت هي غارقة بين الوسائد وتصلي بصمت لتعرف النهاية، لكن رودلف هز رأسه ببساطة وهدوء وقال: «سأقبل بهذا، لكن هذا الأمر لن يغير شيئاً من الوضع الحالي».

وإنحنى عليها وأخذ يعانقها بشوق ولهفة وتجاوبت معه بكل شوقها وإشتياقها له، لكنها تمتمت بعد قليل: «رودلف أرجوك... لا تستطيع ان تبني زواجاً على الرغبة الجسدية فقط».

همس: «ربما لا، لكن الآن هو ليس الوقت للتحليل والمناقشة» وتابع معانقته لها.

«كلا، كلا... كلا» همست بآخر ما تبقى لها من قوة.

سألها دون ان يرفع رأسه عنها: «هل تنكرين انك تريدينني بنفس القوة التي اريدك بها؟».

«نعم» قالت بتحدي لكن نفسها المتقطع السريع أظهر بهتان ما قالته فضحك بنعومة وقال: «كاذبة».

المرارة وكره الذات سيكون شعورها حين تشرق الشمس هذا بالتأكيد لكنها الآن تريد ان تنسى كل شيء، ان تستمتع فقط بوجوده معها وأن تنسى ايضاً خداعه، ووجود إمرأة تدعى سيبيل رامبلنغ.

لم تكن جاين متفاجئة حين عوضاً عن تخفيف التوتر

بينهما فقد إزداد هذا التوتر بعد ما فعلاه سوياً في الفندق، فحين عادا الى جوهانسبورغ لم يعودا يلتقيان إلا نادراً وعاد كل شيء الى ما كان عليه سابقاً وأدركت جاين ان سيبيل عادت لتحتل مكانها في حياته.

وفي أول فرصة تمكنت بها جاين من التحدث مع السيدة برنك إقتربت جاين من الموضوع الذي كان يشغلها.

«أمي، تلك اللوحة في العلّية... صورة يورشيا دويل... يجب ان اعرف أمي» قالت جاين بعد ان لاحظت تردد السيدة برنك في متابعة هذا الموضوع.

«الأمر يزعجك اليس كذلك؟».

«نعم انه كذلك» قالت جاين وهي تناولها الصورة من جيب قميصها وقالت: «أنظري الى هذه».

ظهرت الدهشة على وجه السيدة برنك وهي تدرس الصورة وقالت: «اين وجدتيها؟».

«في صندوق قديم يحتوي على صور قديمة لعائلتي».

«جاين، انا...» ولم تستطع إكمال الجملة وسقطت الصورة من أصابعها المتجلدة.

«إخبريني عنها يا أمي» توسلت جاين بإصرار.

«جد رودلف الأكبر، لويس برنك، بنى هذا القصر من أجل يورشيا» بدأت السيدة برنك وهي تتكىء على مقعدها: «لقد أتم بنائه قبل أسابيع من زواجهما وإنتقلا اليه برفقة والدة يورشيا، من الواضح ان يورشيا كانت مسحورة بالغرفة التي في العلّية لجمال المناظر المطلة عليه، يجب ان تتذكري جاين جوهانسبورغ لم تكن بشكلها الحالي حينها وكان هذا من ضمن أحد المنازل القليلة المبنية في

www.elromancia.com

هذا المكان ولم يكن حولنا سوى الأراضي الخضراء الواسعة» وتابعت وقد تصلب صوتها: «وتوسلت يورشيا للويس في ان تجعل غرفة العلّية غرفة نومها وسمح لها بذلك، كان يحبها بجنون كما أظن، لكنها أصيبت بالمرض وماتت في اليوم المحدد لزواجهما» وترقرقت الدموع في عينيها وتابعت: «أغرق نفسه بالحزن والأسى بعدها وأبقى غرفتها كما هي، نظيفة ومرتبة وكأنها لا تزال تعيش بها، الشيء الوحيد الذي أضافه على الغرفة كان اللوحة وظل لويس يقضي العديد من الساعات هناك، وهو يحدق باللوحة فقط، وذكرياته ظلت حيَّة في قلبه، كان عاطفياً وحساساً جداً وحين توفي أوصى ان تحفظ الغرفة كما هي وأن تبقى نظيفة ومرتبة طالما أحفاده يعيشون في هذا القصر».

«ومن تزوج أخيراً؟» سألت جاين وهي تجد صعوبة في النطق بسبب حزنها الشديد.

«تزوج من إحدى زميلات طفولته، ساره فان هيوستين» قالت السيدة برنك بتنهد وهي تمسح عيونها بفوطتها: «ساره، كما أُخبرت كانت تحب لويس منذ البداية، لكن حين قابل يورشيا، عرفت انها قد خسرته، فظلت صديقة مخلصة لهما معاً، وحين توفيت يورشيا بسرعة مفاجئة لم يجد لويس إلا ساره لتؤمن له الراحة، كانت امرأة هادئة وغير متطلبة وأحترمت رغبته بالحفاظ على غرفة يورشيا كما هي وتفهمت رغبته بقضاء الساعات في تلك الغرفة» وإبتسمت إبتسامة باهتة وهي تنظر الى جاين وتابعت: «أعترف لك ان تفهمها هذا كان نادراً جداً، فأنا لما كنت رضيت بالعيش وظل إمرأة أخرى يحوم حولي».

ظل إمرأة أخرى... إمرأة مثل سيبيل... فكرت جاين بمرارة، اليس هذا بالضبط هو ما تفعله؟ متزوجة من رودلف ولكن تعيش خلف ظل سيبيل... سيبيل حيَّة تماماً وبكل معنى الكلمة؟.

«ماذا حدث لوالدة يورشيا؟» سألت جاين وهي تبتعد عن مشاكلها الخاصة.

«أرادها لويس ان تبقى في بيته لكنها شكرته على عرضه وعادت الى عائلتها في كاب تاون» قطبت السيدة برنك قليلاً ثم تابعت: «لست واثقة تماماً لكني اعتقد انه كان لها ابناً يعيش هناك، لماذا؟».

آخر قطعة من المعضلة وقعت مكانها وشعرت جاين بالإثارة، كان الأمر لا يصدق لكنه كان صحيحاً.

«ذلك الإبن... شقيق يورشيا... كان جدي الأكبر» قالت جاين للسيدة برنك.

«لكن هذا مستحيلاً» تعجبت الوالدة بإستغراب: «هل تقصدين ان تخبريني انه بعد كل هذه السنين، انت ورودلف نجحتما حيث فشل لويس ويورشيا؟».

«هذا ما يبدو!».

«يا للغرابة» تمتمت السيدة برنك بتنهد.

كان الأمر سيكون اكثر غرابة لو ان جاين أخبرتها عن الرابطة السريعة التي تكونت بينها وبين رودلف من أول لحظة شاهدا بها بعضهما البعض، لكن هذا كان شيئاً قد حصل في الماضي، والرابطة هذه ستبقى مقطوعة حين يقرر رودلف أخيراً الزواج من سيبيل.

ألمحت إيمي لاحقاً ذلك اليوم ان سيبيل كانت تخطط لقضاء عطلة قصيرة في دوربان وأكدت سيبيل هذا حين

www.elromancia.com

إنضمت للعشاء عندهم ذلك المساء ووافت جاين الى الشرفة حيث كانت وحدها.

«انا بحاجة للتغيير» قالت سيبيل بصوتها ذا البحة المميزة: «اظن ان بعض الأيام في دوربان ستفيدني كثيراً، فالطقس هناك رائع في مثل هذا الوقت من السنة».

«متى تخططين للسفر؟» سألتها جاين بنبرة عادية.

«آه، انا لم أقرر بعد، ربما الأسبوع المقبل، أو الأسبوع الذي يليه، انا لست واثقة» شعرت جاين بالإضطراب داخل سيبيل وأحست ان هذه الرحلة هي اكثر من مجرد رحلة إستجمام وتغيير جو.

رسالة من اليسون وصلت الى جاين وأبعدت تلك الأفكار المزعجة عن بالها مؤقتاً، كتبت لتخبر جاين عن موعد زفافها الواقع في الثامن والعشرين من شهر نيسان لأن زوجها المستقبلي ديريك، سيسافر الى أميركا في منحة دراسية وسترافقه هي بدورها، لا يوجد عنده عائلة كبيرة ولهذا فهما سيتزوجان بحفلة هادئة في كاب تاون، وكانت تأمل ان تأتي جاين ورودلف لحضور حفلة الزفاف.

لم تتمكن جاين ان تحدث رودلف بهذا إلا في الأسبوع الثاني وحينها فقط بدأت مخاوفها تأخذ شكلاً محدداً، دعاها الى مكتبه مساء يوم الخميس وأخبرها انه سيسافر الى دوربان في اليوم التالي وأنه يريدها ان توصله الى المطار.

«لن أرغب في تركك دون وسيلة نقل» قال بإيجاز: «وإيمي نادراً ما تتواجد في البيت هذه الأيام بسبب جامعتها».

«ستسافر الى دوربان؟» سألت بغباء وهي تصارع لتوضح الحقائق.

«هناك بعض المشاكل في فرعنا هناك وهذا يستدعي وجودي» قال وهو يجلس ويشعل سيجارة.

«منذ متى علمت ان عليك الذهاب الى دوربان؟» سألته وهي تشعر بأنها تسير على شفير هاوية سحيقة.

«منذ حوالي الأسبوعين لماذا؟».

«مجرد فضول» قالت وهي تجبر نفسها على الهدوء: «كنت أتمنى ان نتمكن من الذهاب الى كاب تاون لحضور حفلة زفاف اليسون الأسبوع القادم فهي وزوجها سيسافران الى أميركا وقد لا أتمكن من رؤيتها ثانية».

«أستطيع تدبر أمر ذهابنا الى هناك الخميس المقبل» قال بإيجاز وهو يتفحص دفتر مواعيده وتابع: «هل يناسبك هذا؟».

«نعم، شكراً لك».

لم تتوقع ان يوافق بهذه السرعة وكانت فرحة جداً لهذا. ظهرت السخرية فوراً عليه وقال: «هل ستفتقدينني؟».

«هذا يعتمد» قالت وهي تتحكم بإرتجاف صوتها وتنهض الى النافذة وتحدق بالظلام في الخارج وسألته: «هل ستذهب وحدك؟».

«انا لن آخذ أحد من أعضاء المكتب، إذا كان هذا ما تعنيه!» رد عليها.

لا أحد من المكتب، قالت والألم يعتصر قلبها لكن سيبيل؟ هل يظن انها ستكون غبية كفاية كي لا تدرك ان هذه الرحلة ليس هدفها العمل بل هدفه قضاء بضعة أيام مع المرأة التي يحب؟.

تنفس بعمق وسألته: «ما هي المدة التي ستقضيها هناك؟».

«أربع أو خمسة أيام ربما» وأمسكت يداه بكتفيها وأدارتاها لتواجهه وسأل: «ما الأمر جاين؟ انت لست فقط تظهرين متشككة بل كلامك يقول هذا ايضاً».

«اعتقد ان لدي سبب لهذا».

«هل لديك؟» وظهرت الجدية على ملامحه: «أوضحي نفسك».

«انت لا تحتاجني لأوضح لك الوضع» قالت له بغضب وهي تبتعد عنه وتتجه الى الباب، لكنه قطع عليها الطريق وحدق بها بتصميم بارد أرسل القشعريرة في جسدها.

«جاين انا لن أتركك تغادرين هذه الغرفة قبل ان تقولي لي ما هي الأفكار الشريرة التي تدور في عقلك الصغير هذا».

«إذا أردت ان تعرف» قالت بحنق: «فقد ألمحت لي سيبيل انها ستقضي بعض الأيام في دوربان، وقد أخبرتني انت الآن انك ذاهب الى هناك ايضاً» وإبتسمت بسخرية وتابعت: «ويا للطرافة في هذه المصادفة الغريبة؟».

تقلصت عيناه وقال: «انا لا علم لي بنوايا سيبيل للسفر الى دوربان».

«ألا تعلم؟» سألته وهي تضحك بعصبية: «انت لا تتوقع مني ان اصدق هذا، اليس كذلك؟».

تقلصت عيناه بغرابة وهو ينظر اليها وقال: «انا اتوقع منك ان تثقي بي».

إبتلعت جاين ريقها بصعوبة وقالت: «لقد وثقت بك مرّة، وخنتني فلماذا أثق بك ثانية؟».

سيطر الصمت الثقيل بينهما بعد ملاحظتها هذه والعواطف المتصارعة داخلها هددت بالأنفجار فغضت

بصرها وحدقت بالأرض.

«هناك أوقات جاين، أستطيع بهابكل نيّة ان أعاقبك، وهذه المرة هي واحدة من تلك الأوقات».

«لن يدهشني ان تفعل هذا» قالت بتحدي.

«جاين انت طلبتي هذا» قال بقسوة وأمسك بها بين ذراعيه وأطبق على فمها بقبلة عقابية قاسية، هجومه هذا كان سريعاً جداً ولم تجد الوقت لتقاومه.

«والآن من الأفضل لك ان تذهبي فوراً قبل ان أكمل العقاب الذي تستحقينه... وكوني جاهزة في التاسعة صباحاً لتوصليني الى المطار».

بثقتها المبعثرة وقلبها المفتت أسرعت بالهروب من الغرفة صاعدة الى غرفتها وهي تتمنى لو انها لم تسمح لمزاجها الغاضب ان يسيطر عليها، لقد حكمت على رودلف مسبقاً دون ان تعطيه منحة الشك، كان هذا تصرفاً غير مغتفر منها وهي تستحق كل العقاب الذي عاقبها به.

فيما كانا في بهو المطار ينتظران الإعلان عن رحلة رودلف إستجمعت جاين شجاعتها وقالت له ما ترمنت عليه طوال الليل.

فقالت بهمس: «رودلف انا آسفة لأنني قفزت الى إستنتاجات سريعة الليلة الماضية، انا آسفة».

شبح إبتسامة لاح على وجهه: «إعتذار منك جاين هو شيء نادراً جداً أتقبله بكل طيبة خاطر».

تلونت خداها وقالت: «لا تهزىء بي!».

«انا لن أحلم بالقيام بهذا» قال وهو يرفع ذقنها بأصابعه وتابع: «انا أعني كل كلمة قلتها».

شكت جاين بهذا لكنها إمتنعت عن قول هذا، فتحديقه

www.elromancia.com

المركز بها هكذا كان دائماً يثير بها الإضطراب لإدراكها انه يتمكن من قراءة أفكارها فوراً.

«لقد وصلتني رسالة من والدك البارحة» قال بإيجاز قاطعاً الصمت: «لقد قبل العمل الذي عرضته عليه».

«انا سعيدة جداً» تنهدت بفرح: «كان لطفاً منك ان تعرض عليه هذا العمل، لأن الجلوس دون عمل كان سيقتل والدي».

«انا لا أعرض الوظائف على أحد بسبب اللطف» قال بقسوة: «فوالدك يملك المتطلبات التي تحتاجها الوظيفة، وهذا هو سبب عرضي العمل عليه فقط».

طأطأت جاين رأسها مدركة للمرة الأولى كم من الممكن ان يكون قاسياً، لربما هذه الخاصية هي التي جعلته ينجح بأعماله.

على طرف البهو الآخر ظهرت إمرأة شعرها أسود جعلت الأنفاس تتقطع داخل حنجرة جاين، شعرت بالدماء تهرب من وجهها حين إقتربت سيبيل منها بنظرتها المتحدية اللامعة للحظة قبل ان تختفي بين المسافرين.

إرتعشت جاين بقوة فسخر اللحظات القليلة مع رودلف قد خدعتها، إحتجاجاته كانت مجرد تغطية لمرافقته سيبيل على متن الطائرة ومنها الى دوربان.

«جاين؟» هزتها يديه فقفزت بسرعة عنه ورأت نظرة الدهشة في عينيه وسألها: «جاين ماذا هناك؟ لقد شحب لونك فجأة؟».

«لا شيء... حقاً لا شيء».

«جاين إذا لم تكوني تشعرين بصحة جيدة...».

«انا بخير، بخير تماماً» احتجت مقاطعة إياه: «توقف

عن القلق ارجوك رودلف».

«حسناً... إذا كنت متأكدة».

«نعم انا كذلك...» قالت بسرعة حين أُعلن إسم رحلته من مكبر الصوت وتابعت: «هذه رحلتك، من الأفضل ان تذهب».

«جاين؟» قال وهو ينظر اليها بشك.

يجب ان تهرب، تهرب فوراً فكرت بوحشية، قبل ان تنهمر الدموع من عينيها وتسبب الإحراج لكلاهما، رفعت يدها اليه مودعة وقالت: «وداعاً رودلف».

نظر اليها بإستغراب للحظة ثم أمسك بيدها وقال: «ليس وداعاً جاين» وشدها اليه فجأة وعانقها ثم قال: «بل الى اللقاء».

شعرت بضغط شفتيه على فمها ثم ذهب، ظلت جاين واقفة في مكانها للحظات يجب ان تتأكد! نعم هذا ما يجب ان تفعله والآن، نظرت ورأت تلك المرأة بمعطفها الأحمر القصير الذي يميزها عن باقي المسافرين المتجهين الى دوربان.

غصة إختنقت في حنجرة جاين وهي تعود الى سيارة رودلف الجاكوار البيضاء! لماذا؟ لماذا كان يفعل هذا بها؟ لماذا أصر على الكذب عليها حتى حين واجهته بالحقيقة؟.

إرتعشت ومنعت الدموع من التساقط على خديها فيما هي في طريقها الى المنزل، لا فكرة عندها عما ستقول للسيدة برنك أو لإيمي، لكنها كانت مصممة على وضع نهاية لهذا الزواج الممزق القاتل، لن تعطي رودلف الرضى بالطلب منه الرحيل بعد ان يتأكد ان سيبيل هي من يريد

www.elromancia.com

ولن تبقى معه بسبب الواجب.

شجرات البلوط العتيقة كانت مزينة بألوان الخريف الذهبية المتلوحة بشمس الخريف الباهتة وكانت الأراضي الملونة تضحك للشمس المرتفعة في السماء لكن جاين لم تكن عالمة بكل الجمال الذي يحيط بها وأحست بالحنين الجارف الى بيتها في كاب تاون بجبالها المألوفة وسهولها والوجود المريح لوالديها هناك.

قابلت إيمي جاين عند مدخل المنزل وإندهلت لمنظر جاين الشاحب والشبه ميت ومتعب، فأسرعت اليها فوراً وأمسكت بذراعها وقادتها الى غرفة الجلوس.

«هناك بعض الشاي الجاهز في الشرفة» قالت بسرعة: «الطقس أدفأ هناك».

«كانت الشمس ترسل إشعاعاتها الدافئة على الشرفة وهدأ الشاي قليلاً من أعصاب جاين المتوترة ما عدا الألم الغائص في قلبها ظل قوياً وغير محتملاً.

كانت مدركة لنظرات إيمي الفضولية لكنها لم تكن في هذه اللحظة قادرة على أي شروحات حول المرارة التي تغرق مشاعرها وتقتل أي لمحة أمل، كانت واثقة الآن ان رودلف وسيبيل كانا سيقضيان هذه العطلة معاً في دوربان، قد أرادت سيبيل ان تفهمها هذا، لقد خطط للأمر هكذا، ولكن حين واجهت رودلف بالحقيقة في الليلة السابقة فقد أنكر الأمر بشدة وتتابع خداعه.

تصرف سيبيل الغير عادي في المطار يؤكد شكوك جاين، فلو انها كانت مجرد مصادفة لإقتربت سيبيل منهما وأمسكت بذراع رودلف بتفاجوء ودهشة، لكنها تعمدت ان تظهر لجاين عدم أهميتها وسمحت لهذه الفرصة ان تفلت

دون ان تتدخل هي بالظهور.

للمرة الثانية في حياتها لقد خسرت حبها وراحت تتخبط في ظلمات اليأس.

«جاين ما الأمر؟» سألتها إيمي بصوت قلق.

صمتت جاين لفترة قبل ان تقول: «رودلف وسيبيل في نفس الرحلة المتوجهة الى دوربان، وأنا لا اعتقد ان هذا الأمر مجرد مصادفة».

تلبدت ملامح إيمي للحظة ثم قالت: «بالطبع انهما لا يخططان لعلاقة عاطفية بينهما، فهو لن يفعل شيئاً كهذا، جاين انه نشيط وبعض الأحيان قاسي بوصفه رجل أعمال لكن كشخص انه دائماً وأبداً مخلص وشريف» إقتربت اكثر ووضعت يدها على ذراع جاين وتابعت: «لا بد ان هناك تفسيراً بسيطاً لما شاهدتيه».

«ربما، لكنني لن أظل بإنتظار هذا التفسير» قالت جاين بتصميم، لن يمنعها الآن شيء بعد ان قررت وإنتهت.

«لا تقومي بعمل مجنون» توسلت إيمي اليها وهي تشعر بما تفكر جاين به: «على الأقل أعطيه الفرصة ليشرح لك الحقيقة».

إرتعشت جاين من الفكرة وقالت: «لا اظن انني سأكترث لشروحاته حول كيفية إنهاء زواجنا».

«هو لن يفعل هذا» سارعت إيمي بالقول: «رودلف يحتاج اليك».

رودلف يحتاجك... آه يا الله لو ان هذا كان صحيحاً، فكرت جاين، وهي تحرك يديها بيأس، لو كان هناك مجرد أمل بسيط في إنجاح زواجهما لتمسكت جاين بهذه الفرصة مهما كانت ضئيلة. لكن بوجود سيبيل كتذكار حي عن

الحب الذي فقد فسيكون من المستحيل لزواجهما ان يستمر، قد تكون قادرة على إرضائه جسدياً ولكن ستكون سبيل من يعود اليها من اجل الحب.

ضحكت بألم وهي تنهض على قدميها وقالت: «انه إطراء لي ان تقولي ان رودلف يحتاجني، لكني لا اظن انني اوافق معك كلياً».

أمسكت إيمي ذراعها بقوة وهي تمر بجانبها وحدقت بها وقالت: «فكري جيداً جاين قبل ان تقومي بعمل تندمين عليه لاحقاً، وأرجوك لا تخبري أمي بذلك الآن، ليس بعد، هل تفعلين؟».

طأطأت جاين برأسها موافقة وهرعت الى غرفتها، وحيدة في غرفتها، تسارعت أفكارها الى الأحداث التي أوصلتها الى هذه المرحلة، كل حدث كان حياً تماماً أمامها يعتصر قلبها ويزيد من آلامها، كان هناك غضب، إستياء، ندم وخيبة أمل، أربعة عواطف كانت تحطم قلبها وتحيل حياتها ظلاماً داكناً فرمت بنفسها على السرير وأخذت تبكي وتبكي تشهق بدموعها وجسدها كله ينتفض بقوة، وبللت الوسادة بأنهار دموعها، دموعها التي لن تسبب لها الراحة لكنها لم تعد قادرة على التحكم بنفسها لتفكر بالقضية بمنطقية وعقلانية.

هذه المرة لن يكون هناك عودة، لقد قامت بهذا مرة في السابق، وذرفت نفس هذه الدموع وفكرت بنفس هذه الأفكار، كان على ذلك ان يكون درساً لها ولكنها عادت لتتوسل المزيد، كانت قد بنت مكاناً مسالماً لها ولأندرو ولكن ظهور رودلف مجدداً في حياتها وضع فوراً حداً لهذا السلام وتلك الراحة، لم تكن قد توقفت عن حبه لحظة

واحدة خلال تلك الأشهر التي قضتها وحيدة مع ثمرة حبها له، حبها كان قد إخترق حاجز الكراهية الوهمي الذي بنته في قلبها ضده وكان سريعاً في إختراقه كما تخترق السكين قطعة الزبدة.

أنهكت دموعها أخيراً وتمالكت نفسها ودخلت الى الحمام، كانت عيناها متورمتين وحمراء كبرك الدم، شعرت بالإنكسار والموت بينما ثقتها القوية بنفسها كانت قد هجرتها، الفكرة الوحيدة التي كانت ثابتة في رأسها الآن هي الهروب من سبب تعاستها وشقاءها هروباً دون عودة أبداً.

كانت دورا قد إصطحبت آندرو لتلاعبه في الحديقة قبل موعد الغداء فوجدت جاين نفسها وحيدة دون عمل فأسرعت الى غرفة العلّية لتفتش عن الهدوء الموجود داخل عيني يورشيا الرماديتين.

- ١٠ -

تهالكت على الكنبة المقابلة للوحة وهمست بإنكسار: «لقد خسرت وأنتهيت تماماً وكأن الموت هو الذي سرقه مني».

وتهاوى حائط الصبر ثانية وعادت جاين للبكاء والنحيب لوقت خالته لا ينتهي، وظلت تبكي لحين شعرت بالخواء التام داخلها وسيطر عليها هدوء غريب بدا كأنه قد قتل آخر شعور بالألم داخلها، إذا كانت هذه هي النهاية فستقبلها إذن بإستسلام، قررت أخيراً وهي تغلق باب العلّية وراءها وتعود بخطاها الى غرفتها.

الغداء كان مرحلة من الصمت تخللتها نظرات إيمي القلقة إتجاه جاين من وقت لآخر، فيما كانت السيدة برنك هي الوحيدة التي تستمتع بالطعام الذي تتناوله، الجو كان

متوتراً ومنتظراً وكأن شيئا ما سيحدث بين لحظة وأخرى.

«انت لا تأكلين جاين!» قالت السيدة برنك وهي تحدق بها.

«إعذريني يا أمي لكني لست جائعة».

تركزت نظرة السيدة برنك عليها اكثر وقالت: «انت شديدة الشحوب يا عزيزتي».

«انه مجرد وجع رأس خفيف، لا شيء اكثر» طمأنتها جاين وقفزت فجأة حين رن جرس الهاتف في الغرفة، هل من الممكن انه رودلف؟ تساءلت وقد إشتعلت لمحة الأمل داخلها.

«سأرد عليه يا والدتي» قالت إيمي فوراً حين رأت والدتها تستعد للنهوض وبنظرة سريعة الى جاين، كأنها أحست بما تفكر، أسرعت إيمي الى الهاتف لتعود بعد لحظات وقد بدت خيبة الأمل عليها وقالت: «لقد حصل بعض التغيير بالمحاضرات في الجامعة ويجب ان أذهب حالاً وإلا فاتتني محاضرة مهمة جداً، قد أتأخر قليلاً فلا تقلقا».

«قودي بتمهل إيمي» حذرتها والدتها: «فأنت تعلمين كم تكون الطرقات مزدحمة في مثل هذا الوقت من النهار».

«لا تقلقي أمي» طمأنتها إيمي وهي تقبلها على خدها قبل ان تلتفت الى جاين التي بدت أشد شحوباً وقالت: «هل تستطيعين ان تساعديني في حمل بعض هذه الكتب، وإلا فإني سأوقع نصفهم قبل وصولي الى السيارة؟».

فهمت جاين عليها فوراً وغادرت وإياها الغرفة.

«كان يجب عليَّ ان أراك لوحدك» شرحت لها إيمي حين وصلتا الى السيارة: «ارجوك جاين لا تقومي بأي شيء قبل عودتي هذا المساء».

www.elromancia.com

تحركت شفتا جاين لكن بدون ان يخرج منهما أي صوت، فطأطأت رأسها ببطء وقد وجدت من الصعب عليها ان تتجاهل هكذا توسل مهتم وتكافئت فوراً ولدهشتها بقبلة قوية على خدها.

«بارك الله بك جاين».

ظلت جاين مكانها لعدة لحظات بعد ذهاب إيمي ثم سارعت بعد هذا للدخول مجدداً الى البيت.

«تلك الفتاة تشيّب رأسي بسبب سرعتها في القيادة» قالت السيدة برنك بقلق حين إنضمت جاين اليها مجدداً في غرفة المائدة.

«انها شابة يا أمي، لكنها متعقلة جداً بالنسبة الى عمرها».

«اعتقد انك على حق» وافقتها الوالدة فوراً: «لقد كبرت بسرعة رهيبة، وأنا لا أزال افكر بها على انها طفلتي الصغيرة، حسناً، سأصعد الآن الى غرفتي لأخذ قيلولة الظهيرة وأقترح ان تتناولي انت بعض حبات الأسبرين لوجع رأسك قبل ان تنالي فترة من النوم انت بدورك».

«لا تقلقي والدتي فسأفعل هذا» أجابتها جاين وهي تتمنى بجنون لو ان آلامها تنتهي إذا تناولت الأسبيرين هذا.

«الوالدة لا تتوقف أبداً عن القلق على أبناءها جاين، فأنا أقلق عليك وعلى رودلف وعلى إيمي، بل أقلق عليكما انت ورودلف اكثر من قلقي على إيمي».

ابتسمت جاين لتطمئن الوالدة وقالت: «أمي، نحن ناضجين كفاية لنحل مشاكلنا الخاصة».

«اعرف هذا، لكن بعض الأحيان الناس تحتاج لدفعة صغيرة في الطريق الصحيح».

تنهدت السيدة برنك وتابعت: «على كل حال، لقد قلت انني لن أتدخل وهذا ما سأفعله».

الفراغ والصمت بعد ذهاب السيدة برنك جثم على صدر جاين وعادت ليأسها وأحزانها، وأخذت تستمع لصوت دقات الساعة، دقة خلف دقة.

ماذا كانت تنتظر؟ تساءلت بسخرية، فمعجزة فقط بإمكانها حل مشاكلها في هذه اللحظة والمعجزات لا تحصل بمثل هذه السهولة.

«اتوقع منك ان تثقي بي» هذا ما قاله رودلف لها، لكن هل تستطيع الثقة به وهي تدرك تماماً انه قد تزوجها بدافع شعوره بالواجب فقط؟ لقد مارس الحب معها نعم، لكن الرغبة هي ليست الأساس، كانت بحاجة لحبه، الحب الذي ظنته ملكها خلال تلك الأيام الرائعة التي قضياها معاً على الساحل قديماً، لقد كان حباً أعطاها إياه ليست بكل حرية لكن شبابها وبراءتها جعلاها تتقبل ذلك الحب بكل صدق.

دقت الساعة الثانية، كان هذا كالحكم بالإعدام، فقد وقفت جاين الشاحبة، الباردة الخاوية وأغمضت عينيها على صورة رودلف، ثم لغضب ما بداخلها بسببه قررت تنفيذ ما صممت عليه الآن وفي هذه اللحظة بالذات.

لم يكن لها أي مكان في حياة رودلف، قالت في نفسها وهي تصعد الى غرفتها وتضع حقيبتها على السرير، أخذت توضب الحقيبة بشكل آلي وأفكارها وكل شيء في داخلها ميت، لم تسمع باب الغرفة حين فُتح ولكن عندما أُغلق بصوت واضح إلتفتت بقوة وبسرعة وشعرت بشبه الإغماء.

«رودلف؟» إرتجف إسمه على شفتيها، فيما تمسكت

www.elromancia.com

بباب الخزانة لتمنع نفسها من السقوط.

لم تكن قد رأته بمثل هذه الحالة الغريبة من قبل، كان شعره مبعثراً بطريقة واضحة وكأن أصابعه قد مُررت لعدة مرات فيه في الساعات السابقة، البذة الرمادية الملساء التي كانت مرتبة في الصباح أصبحت مجعدة فيما ربطة عنقه مرخية وزر قميصه الأعلى مفتوح، لكن تعابيره هي التي أذهلتها، تلك العينين اللامعتين كانتا ممتلأتين غضباً داخلياً بينما كانت عضلات فكه متصلبة في جهد واضح ليمسك أعصابه ويتمالك غضبه، وأكثر ما خشيته هو الرجفان الخفيف في فمه وهو يقترب منها بغضب كالبركان الذي يوشك على الإنفجار.

«ماذا بحق الشيطان تظنين انك فاعلة؟» جاءها صوته كالرعد القاصف بقسوة جعلتها تنتفض وتبتعد فوراً عن الحقيبة الموضوعة على السرير.

«انا أوضب أغراضي» قالت بهدوء كان أبعد ما يكون عما بداخلها وتابعت: «سأعود الى كاب تاون».

«انت لن تذهبين الى أي مكان أتفهمين؟» قال بصوت حديدي وهو يرمي بالحقيبة ومحتوياتها على الأرض: «إذا كنت تظنين انني سأدعك ترحلين فأنت مخطأة تماماً».

وإقترب منها بخطوات مهددة فتكورت قرب خزانة الثياب ومفاصلها ترتعد.

«لقد تحملت أقصى ما أستطيع تحمل منك جاين، وأنا لن أهذب دفاعك» قال وصدره يعلو وينخفض بقوة تظهر عمق الغضب الذي يعتمل داخله وتابع: «بحق الله، لا تقفي فقط هكذا... قولي شيئاً».

«اعتقد اننا قد قلنا كل ما يجب ان يقال بيننا» همست

وهي تشعر بإضطراب مشاعره مما أربكها وحيرها.

«هل تعلمين شيئاً جاين؟» سأل ببطء متعمد جعلها ترتعش: «خلال هذه الأسابيع التي مرت كنت قد بدأت أُعجب ببرودك وصلابتك، لكن هذه المرة فقط، اتمنى لو انك لم تعطيني فقط لمحة عن جاين القديمة!».

كلماته هزت أعماقها فقالت له بهمس: «لقد دمرت ما تبقى منها».

«لا تقولي هذا» قال بحدة ويديه تمسكان بقسوة بذراعيها: «ماذا تريدين مني ان أفعل جاين؟ هل تريدينني ان أجثو على ركبتي أمامك؟ هل هذا ما كنت تهدفين اليه طوال هذه الأسابيع؟».

«كلا» قالت وعينيها ترتجفان لتمنع الدموع: «انا اريد الحقيقة رودلف، الحقيقة المطلقة، لا يهم مهما كانت مؤلمة».

نظرت تعب بدون نهاية مرت في عينيه فيما ترك ذراعها وقال: «تقولين هذا وكأنك قد توصلت وإنتهيت الى بعض الإستنتاجات».

«ربما» اعترفت وأكملت: «لكن في هذه اللحظة بالذات انا متعبة جداً ومرتبكة ولن أتمكن من التفكير».

وللحظات طويلة ظلا واقفين يحدقان ببعضهما البعض بصمت لا يقطعه إلا صوت تنفس رودلف اللاهث والطرقات القوية لقلبها المرتجف، كانت هذه هي اللحظة التي كانت تخشاها لكن يجب عليها مواجهتها مهما كانت نتائجها أليمة وقاتلة.

«حسناً! لنبدى الآن بالمشكلة الحالية ثم نصل بعدها الى أصول هذه المشكلة، خطوة خطوة» قال أخيراً بقسوة

www.elromancia.com

وهو يشعل سيجارة وينظر اليها بعمق وعينيه محدقتين: «هل انا محق في إعتقادي انك قد رأيت سيبيل في المطار هذا الصباح؟».

أجابته: «نعم لقد لمحتها للحظة».

«لقد خمنت هذا لاحقاً، عندما رأيتها في الطائرة معي وتذكرت تصرفك الغير طبيعي حين نودي على رحلتي، وطبيعي انك قد استنتجت ان سيبيل وأنا قد خططنا لهذه الرحلة سوياً؟».

«وماذا تريدني ان اظن غير هذا؟» همست وهي تتحاشى النظر الى وجهه.

«لم يكن عندي أي فكرة ان سيبيل ستكون على متن الطائرة أو انها ستقيم في الفندق الذي أنزل فيه» شرح لها بصراحة: «لقد أستغليت صداقتها لدرجة معينة في السابق، لكن فوراً بعد وصولنا الى دوربان، أتت الى غرفتي وبرأسها فكرة مجنونة بأنني كنت مستعداً لتحطيم زواجي من أجلها، وأدركت حينها ان هذا هو الوقت المناسب لأفهمها وضعها بالنسبة لي، ولا اظن انها ستزعجنا أبداً بعد هذا».

مذهولة ومرتبكة ظلت جاين تحدق به للحظات، هل من الممكن انها كانت مخطأة بإقتناعها ان رودلف يحب سيبيل؟ هل من الممكن ان سيبيل قد كذبت منذ البداية، فقط لتصل الى غاياتها؟ إذا كان رودلف غير مغرماً بسيبيل إذن... أستجمعت جاين أفكارها المبعثرة قبل ان تصبح متأملة، وخيالية.

«وفوراً بعد هذا إستأجرت طائرة خاصة وعدت الى البيت» تابع رودلف وطيف إبتسامة خفيفة على فمه: «كان عندي هذا الشعور الغريب بأنك كنت ستفعلين ما رأيته

الآن أمامي».

«وهل كان سيهمك سواء رجعت ولم تجدني هنا؟».

خلال الصمت القصير الذي تلا هذا، إرتفع اللون الى وجهها بقوة، ورفعت نظرها اليه بأمل، لكن التعبير الغريب على وجهه لم يكن قد تغير.

قال: «إذا لم تكوني تعرفي الجواب لهذا السؤال، جاين إذن لن أتمكن من مساعدتك» إستدار عنها يرمي بعقب سيجارته من النافذة، وحدقت هي بظهره مدركة لما يجب ان يقال ولكن بنفس الوقت غير قادرة على قوله إلا حين تأكدت تماماً انها لن ترفض.

«أحب جداً ان افكر انك قد عدت بسرعة هكذا لأنك تهتم كفاية بي ولا تريدني ان أرحل، لكن لا يزال هناك العديد من الأشياء التي تحتاج للشرح» تمكنت أخيراً من القول بصوت مخنوق.

«نعم» قال بتنهد، وهو يجلس على حافة النافذة الواسعة: «جاين، لماذا لم تخبريني سابقاً انك تحملين بطفلي ولماذا أرسلت لي قطعة الورق البالية تلك لتخبريني فيها فيه ان علاقتنا لم تكن تعني شيئاً لك؟ هل كان السبب، أحوالي المادية المتردية؟ فأنا لم أكن حينها الشخص الثري؟».

السؤال الأخير نخر عظامها وأشعل بعض الغضب داخلها فقالت له فوراً: «المال لم يكن أبداً ضمن تفكيري في ذلك الوقت، لكن مشاكلك بدت لا متناهية وكثيرة، وعندما إقترحت عليَّ أخيراً الزواج، وجدت نفسي أتساءل إذا كان من العدل أن أضيف الى مشاكلك وكاهلك عبء زوجة وطفل، كنت بحاجة لبعض الوقت للتفكير وللقيام بمثل هذا

www.elromancia.com

العمل».

«لكن لم يكن لتفكيرك أي داعي يمنعك من إخباري» قال بقسوة: «كان من حقي ان اعرف».

فارتعشت وقالت: «لقد أدركت هذا، لكن قبل ان أتمكن من القيام بأي عمل لأفعل هذا، إتصلت سيبيل بي».

«سيبيل؟» قال بصوت غير مصدق: «لكن لماذا تتصل سيبيل بك، وكيف حصلت على رقم هاتفك؟».

«أخشى انني لا أستطيع الإجابة على سؤالك الأخير».

قطب رودلف قليلاً وقال: «حسناً، كانت دائماً تدخل وتخرج من مكتبي في تلك الأيام، من الممكن جداً انها قد رأت رقم هاتفك المكتوب على دفتر مواعيدي الموجود على المكتب، كانت تعرف عنك، كنت قد أخبرتها و... اعتقد انني عرفت الآن ما حصل، تابعي» أمرها.

اهتزت قدما جاين وجلست على حافة السرير وأكملت بإختصار ما دار بينها وبين سيبيل في تلك المكالمة.

«وعلى أساس تلك المكالمة كتبت رسالتك اللعينة؟» سألها حين انتهت.

«ليس تماماً» قالت له: «فأنا كنت قد بدأت أشك حقاً بصدقك وشعورك نحوي، فأنت نادراً ما كنت تتصل بي، وعندما تفعل كنت أترك دائماً بإنطباع انك لم تعد مهتماً بي، وعندما أخبرتني سيبيل انك تنوي الزواج منها، لم يكن عندي أي سبب لأشك فيما تقوله لأنه بساطة قد أكد شكوكي».

صمت غريب ساد بعد كلماتها وحين رفعت نظرها اليه أدركت كم كان يبدو متعباً ومرهقاً، أرادت بيأس ان تخطو

هذه الخطوات التي تفصلهما عن بعض وتأخذه بين ذراعيها وأن تزيل خطوط الألم الظاهرة حول فمه.

«جاين، والدي كان دائماً يراهن مسبقاً على نجاح العمل في صفقة ما، لكنه في النهاية استثمر الكثير وبغير حكمة، وقد خسر كل شيء تقريباً، وهذا كان السبب المباشر في إصابته بالنوبة القلبية التي أودت بحياته» شرح لها رودلف بتعب وهو يضع رأسه بين يديه، وتابع: «لقد تركني مع أعمال العائلة المنهارة والشبه مفلسة كان عليَّ ان أفعل شيئاً وإلا كنت سأجد نفسي وعائلتي في الشارع دون أي قرش، كان أمام إيمي سنتين في الثانوية قبل الدخول الى الجامعة ووالدتي كانت تعاني الإنهيار العصبي التام وموظفين مصنعنا كانوا ينتظرون بصبر قبض رواتبهم المتأخرة» وقف وأخذ يخطو قليلاً وكأن الألم الذي يشعر به لم يعد محتملاً وتابع: «لحسن الحظ فمعظم العمال والموظفين كانوا أوائل من عمل في المصنع والشركة فظلوا معي وساندوني وأنتظروا على قبض رواتبهم لأعيد إيقاف الشركة على قدميها مجدداً، وفي هذا الوقت بالذات وصلتني رسالتك ولم أكن في موقع يجعلني أهتم وأفكر بسعادتي الشخصية قبل التفكير بعائلتي وموظفيني، انا لا أحاول خلق الأعذار لنفسي، لكني أحاول شرح الظروف التي كنت بها» توقف عن الخطو وحدق بها بقوة وسألها: «انت تعلمين، اليس كذلك، انني لم أكن لأضحي بك وأتركك لو انني فقط علمت انك كنت تحملين طفلي؟».

«نعم... أعرف» قالت بألم: «رودلف... هل فات الأوان لنا لنبدأ من جديد؟».

كان هناك دفء جديد في عينيه وجد صداه في قلبها

www.elromancia.com

فيما أنهضها على قدميها وقال: «هل تحتاجين للسؤال؟».

«أحتاج لأن تخبرني رودلف» إعترفت بإرتعاش: «انا بحاجة ماسة لأعرف..».

ذراعيه كانتا دافئتين حول كتفيها وقال: «جاين، هل انت لي؟».

«نعم» قالت بتنهد وهي تخفي الرغبة المجنونة بإخفاء مكنونات صدرها.

«هل ستصدقيني إذا قلت، يا حبيبتي، انني لم أنفك أفكر بك في كل لحظة مرت وأنه طوال تلك السنتين الماضيتين اللتين قضيتهما بدونك كانت حياتي كالجحيم؟» سألها بصوت متهدج العاطفة وتابع: «وكنت أقضي الساعات في علّية يورشيا لأن لوحتها كانت تشعرني كأنني معك وكأننا كنا قريبين من بعضنا البعض».

«آه، رودلف» همست بصوت مخنوق ورمت بنفسها بين ذراعيه وهي تذرف الدموع الغزيرة التي إجتاحتها بسبب شعورها الجارف بالسعادة وكانت تبكي وتضحك بالتناوب وهي متكأة على صدره وهمست: «آه حبيبي، انا أحبك بجنون».

«هذه هي جاين التي أعرفها، البكاء والضحك المتناوب، انت لا تعلمين كم أنتظرت بشوق ولوعة سماع هذه الكلمات منك؟».

«كان لا بد ان تعرف».

«كنت آمل هذا» إعترف لها وهو يرفع وجهها اليه وقال: «انا أحبك جاين، أحبك».

وغمرتها قبلاته الحارة وحين تركها أخيراً طارت أفكارها فوراً الى اللوحة في العلّية فقالت له وصوتها يرتعش:

«رودلف، حول يورشيا، هل كنت تعلم ان أخيها يكون جدي الأكبر؟».

«نعم، فقد قمت ببعض الأبحاث في الأرشيف فيما كنا في كاب تاون».

«ولماذا لم تخبرني؟» سألته بعدم تصديق وهي تتحاشى قبلاته.

«كنت أنوي ان أجعلها لك مفاجأة عندما تصبحين في مزاج أهدأ» قال لها بجدية: «فمنذ اللحظة الأولى التي رأيتها بك لاحظت الشبه بينك وبين يورشيا، وإسم عائلتك أضاف التأكيد لشكوكي انه لا بد من وجود رابطة ما بينكما، ولكن فقط بعد زواجنا، عندما أصبحت مهتمة جداً بصورتها قررت ان أقوم ببعض الإستعلامات».

«كل هذا يبدو غريباً».

«نعم» قال وإبتسم: «الصلة المقطوعة قد أُعيد وصلها».

«يبدو الأمر اكثر غرابة حتى حين نضعه في هذه الصورة».

«حبنا كان مقدراً له ان يكون يا حبيبتي».

«أحب ان أؤمن بهذا وأصدقه» تنهدت بفرح.

«تستطيعين ذلك» قال لها بتأكيد وهو يعاود عناقها وتقبيلها فشعرت بنفسها تطير فوق الغمام وقد غمرها ذلك الشعور الرائع الساحر الذي إسمه السعادة في الحب.

وبعد لحظات طويلة دفعها قليلاً عنه وأخذ يصلح من وضع ربطة عنقه وقال: «إخرجي بعض الأغراض جاين».

حدقت به بعدم فهم وقالت: «لكن، رودلف...».

«الطائرة التي أستأجرتها تعيد تعبئة خزان الوقود وتنتظرنا لتقلنا الى دوربان» قاطعها بنعومة: «ومن هناك سنذهب الى

www.elromancia.com

كاب تاون لنحضر حفل زفاف اليسون».

«يجب ان أشتري شيئاً مناسباً لإرتدائه في حفل الزفاف» قالت وهي لا تزال غير قادرة على التفكير بوضوح بسبب السرعة التي فاجأها رودلف بها بهذا الطلب.

«تستطيعين شراء ما تريدينه من دوربان أو من كاب تاون».

«آندرو. . .» حاولت مجدداً ويداها تتحركان بحيرة.

«آندرو يبقى هنا مع والدتي وإيمي» قال وهو يضمها مجدداً اليه: «إعتبري هذه الرحلة شهر عسل لنا».

وأسكتت شفتاه أي إعتراض آخر منها وحين تركها أخيراً حدقت به بحب وتلهف وهو في طريقه لبغادر الغرفة.

«سأذهب لأخبر والدتي بمخططاتنا، كوني مستعدة حين أعود» قال مهدداً وهو يرمي لها قبلة في الهواء قبل ان يغلق الباب خلفه.

قلب جاين كان ينبض بقوة فبالكاد إستطاعت ترتيب بعض الأشياء في الحقيبة الصغيرة خاصتها والتي كانت متناثرة على الأرض، قبل ان تستحم وترتدي شيئاً مناسباً للرحلة.

ابتسمت قليلاً لعجلتها وهي تدخل غرفة الحضانة وترى دورا تضع آندرو في السرير مد يده بنعس ولامس شعر جاين فعانقته جاين وطبعت قبلة رقيقة على خده الوردي، ليس مهماً كم كانت تكره فكرة تركه هنا والسفر وحدها مع رودلف لكنها كانت تدين لرودلف بقضاء بعض الأيام معه لوحدهما، فعليهما ان يجدا أنفسهما مجدداً بعد كل سوء التفاهم الذي أبقاهما بعيدين لمدة سنتين عن بعضهما البعض وعليهما ان يجددا وعد حبهما.

تركت جاين دورا لتكمل عملها وعادت الى غرفتها لتحدق بحلم بالحديقة في الخارج، هذا أصبح بيتها الآن، وستعود اليه مع رودلف وهي تعلم أخيراً انها تنتمي له، سيبيل لم تكن ولن تكن تهديداً لسعادتها الآن بعد ان إقتنعت كلياً بحب رودلف لها، وطار قلبها من فرح إشتاقت للشعور به منذ سنوات طوال، ودفء كاد يُنسي غمرها وأضاء عينيها الرماديتين ومنح وجهها إشعاعاً وضوءاً.

«مستعدة؟» سأل رودلف بعد ان دخل غرفتها وحمل حقيبتها.

«مستعدة» قالت وهي تضحك وترتعش للنار التي إلتمعت في عينيه.

فرمى حقيبتها على السرير ومد لها ذراعيه وغمرها بهما وأخذ يقبلها بشوق وحرارة ذابت هي في حماها بلهفة وحنان.

«انا أحتاجك جاين» تمتم بصوت تغمره العاطفة: «لقد حُرمت من دفئك وحبك لفترة طويلة جداً، لا تحرميني منك مجدداً حبيبتي أبداً».

أجابته بالطريقة الوحيدة التي عرفتها، بغمرها شفتيها بشفتيه ناقلة اليه بصمت الوعد الذي يريده، وعدٌ غير مهدد بشكوك بلهاء ومخاوف لا أساس لها.

www.elromancia.com